مولد الفداء

بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام

• السيد عبد الأمير جمال الدين

جُنَّتْ عَصافيرُ الهوى لنشيدِي ... وَتَناغَمَتْ صَـدّاحَـةً بِغَريدي

نَسَجَت مِنَ الحُبِّ المُصَفّى حُلَّةً ... رَفَلَتْ بِها حسناً بيوتُ قصيدي

فَغَفا على هامِ المَجَرّةِ مِقْوَلي ... فـي طـارفٍ مـن حُـبّـهِ وَتَليدِ

وَعصَرْتُ قَلبي في كؤوسِ مَحبتي ... شِعْراً شَربْتُ بِهِ صَفاءَ وجودي

وَسَكَبْتُهُ والصُبْحُ ضَحّاكُ السَّنا ... في ساقياتٍ مِـنْ دِمـاءِ شَهيدِ

هَـتَـفَـتْ بِدُنيا أمتي نَفَحاتُهُ ... مـيـدي بـأفـراحِ الـنـبـوةِ ميدي

ألمحْتُ مِنْ خَلفِ الشروقِ جَبينهُ ... في عالم الإيـجـادَ عالَمَ جودِ

وُلـدَتْ بمَوْلدهِ الحَياةُ لشرْعَةٍ ... قَـدْ هُـدِّدَتْ بِبَراثِنِ ابـنِ طَريدِ

بَلْ سامَها الطُلَقاءُ خَسْفاً عِنْدَما ... أَبْـدوا لها بالحِقْدِ كُـلَّ صُـدودِ

واللهُ خالِقُنا الـمـتِـمُّ لِـنـورِهِ ... رَغمَ الحقودِ ورغَـمَ كلِّ حَسودِ

فَتَنَفَّسَ الصبْحُ الأَغـرُّ رسالةً ... بَيضاءَ يكتبُها رسـولُ خلودِ

وإذا بـذَيّـاكَ الـسـريـرُ تـهـزُّهُ ... يُمْنى ابنةِ الهادي لخيرِ وَليدِ

فَتَهزُّ في الأُخرى هُنالِكَ عالَماً ... سَحَقَ النجومَ وَلـمْ يهنْ لِقيودِ

هُـزّي سريرَ السبطِ إنَّ سَريرَهُ ... بَـزَّ السَّما فضلاً بقطعَةِ عودِ

كمْ تَعْشَقُ الشمسُ المنيرةُ لو غدتْ ... مَـهْـداً يُـهَـزُّ بـهِ لأَجـلِ رقـودِ

وكمْ اشتهى البدرُ المُضيءُ لو اغتدى ... نَمنومَةً في جيدِ خيرِ حفيدِ

هـذا الـذي سَيَهزُّ دُنيـا ظالِمٍ خَـصْـم لأَبـنـاءِ الـنَـبـي لـدودِ
هـذا الحسينُ أمـا رأيـتـمْ أَنَّـهُ عنوانُ كُـلِّ بطولةٍ وَصُـمـودِ؟!
هذا هو النفسُ الرساليُّ الذي لـولاهُ كـانَ الخلقُ غيرَ سعيدِ

* * * * *

يـا ليلةَ الـمـيـلادِ إنَّ قلوبَنا كالدهرِ تَلْمَحُ فيكِ قلبَ خُلودِ
أمْـرَعْـتِ آمـالَ النُبوَّةِ بَعْدَما كادَتْ تُصَوَّحُ مِنْ حَوالِكِ سودِ
وَزَرَعْتِ حَبّاتِ القلوبِ على الولا فَنَمَتْ سنابُلُها بَشَائِرَ جُـودِ
وَبَدا نهارُ الوحي يَمسَحُ وَجْهَهُ بزهورِ قُدْسِكِ والشذا وَوَرودِ
وَحَمدْتُ فيكِ العُمرَ حَمْداً نامياً لـولاك كـانَ العُمْرُ غَيْرَ حَميدِ
وَفَرشْتُ رُوحي في طريقكَ سيدي أدنـو لصرحٍ مِـنْ عُـلاكَ مَشيدِ
فرأيتُ فيكَ مُحَمَّداً بشَجاعةٍ والمرتَضى بالسوح ليثَ أُسودِ
شَحَّتْ دُنا الأسيافِ تشكو مِن ظما فأجبتُها بِمَسيحِ كفّكَ جودي
جادَت فَخَلَّصَتِ الشريعة مِن أذى بـاغٍ، بـأبـطـالٍ هـنـالـكَ صيدِ
حَملوا مضاءَ الدهرِ فوقَ لوائِهم وَأبـوا مَـعَ الإِقْـدامِ ذُلَّ قُعودِ
نـادى بهمْ ديـنُ النبيّ مُحَمّدٍ يا لـلأبـاةِ الحافظينَ حـدودي
هاتوا ضَحاياكمْ عليها يُبْتَنى صَـرحٌ فَلَحْنُ القولِ غيرُ مُفيدِ
وَمضَوا يُلبّونَ النداء فدينُهمْ نـادى على أَيـام أحمدَ عودي
وَتَقهقرَ الماضي ليظْهرَ مَـرَّة أخـرى ومـا في الأمـرِ أيّ جَديدِ
فمُحمّدٌ وحُسَـيْنُهُ فـي كربلا وشـيـوخُ بَـدرٍ منهُ غيرَ بعيدِ

* * * * *

مسكينةٌ يا أُمتي ما زِلــتَ في سجنِ التَخلفِ تحتَ وطأِ قيودِ
فلقدْ بُليتِ بمنْ نَـأَوْا عن دينهمْ خَدماً لخصمٍ عاشَ غيرَ مجيدِ
هُمْ في الخطابةِ أليثٌ ولدى الوغى مَــن تعرفينهمُ بــبـذلِ وعــودِ!
هَلْ لي بهمْ قلبٌ حُسينيُ العطا عنْ حومةِ الساحاتِ غير قعيدِ
لم يحملوهُ على العدوِ وَبينَهمْ للغدرِ قد حَمَلوا فــؤادَ يزيدِ

* * * * *

مولايَ ما زالتْ جراحُكَ ترتمي في كــلِّ قلبٍ في هــواكَ عَميدِ
ورؤى دمــاكَ بكربلاءَ تلوحُ في دُنيا تضجُّ مِــنَ الأسـى وعبيدِ
ونهارُ عــاشــوراكَ يقسمنا إلى حــبٍّ وخـصــمٍ عــابــسٍ وكنودِ
ما للنواصبِ قَدْ أُصيحَ بدارهمْ فغدا لَهمْ (هــدّام) شــرَّ عميدِ
أهْــدَوا إلينا كــربــلاءَ مُــجـدّداً في كُلِّ أرضٍ مِن عــراقِ جدودِ
قتلٌ وإرهــابٌ وسلبُ حرائرٍ ودمــوعُ أيــتــامٍ مَــعَ التشريدِ
هــي هجمةٌ أمــويــةٌ هَمجيةٌ تنزو على الموتى برقصِ قرودِ!
يأبى لها الإســلامُ كُــلَّ جَريمةٍ فتلفعوا خِــزيــاً بــراقــعَ ســودِ
فليفرحوا أو يحزنوا فأنا الذي أبصرتُ يــومَ البشرِ غيرَ بَعيدِ
يومُ الحصونِ يُذيقُها ريبُ المُنى عزمُ (الإمام) ومِنْ جحافلِ صيدِ
فيذوقَ طعمَ البشرِ كلُّ مُعذّبٍ تحلو لــهُ البُشرى وكُــلُّ طريدِ
وهناكَ آكلُ خُبز عيدِكَ بَعد أنْ لاحَ الشروقُ لنا وأقبل عيدي
يــومٌ بــهِ (المهديُّ) يرفعُ رايــةً للحقِّ فــوقَ فــدافــدٍ ونــجــودِ

* * * * *

كلمة العدد

التناقض المرير
المشرف العام ٨

قرآنيـات

الإيحاء الصوتي في النص القرآني
د. زهير غازي زاهد ١٠

أنماط الاستفتاح في الخطاب القرآني
أ. د. مشكور العوادي ١٨

في النفس والمجتمع

أسس بناء المجتمع الإسلامي الصالح
د. علي خضير حجي ٢٤

قضايا معاصرة

سياسة التهجير.. عودٌ على بدء
الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي ٣٠

آمن الرسول

الإمامة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
مهدي عابدين ٣٤

تحقيقات

المشهد الكاظمي في بغداد
د. علي ثويني ٤٦

مرقد ابن الحمزة
سلمان هادي آل طعمة ٥٨

ردود وتعقيبات

تعقيب على استطلاع مقام إبراهيم
سعد حاتم مرزه ٦٢

رد على تعقيب على أثر القرينة اللفظية
عادل عباس النصراوي ٦٤

استطلاع المجلة

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة
حيدر الجد ٦٨

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى
سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٨٦

ص ١٢٤

ص ٣٠

ص ١٠٢

ص ١٢٠

ص ٩٦

ص ٤٦

واحة الأدب

القوّة في خطاب الحوراء زينب(ع)
م.م. عباس علي الفحام ٩٠

قصيدة: وأطل فجر
محمود محمد حسين الموصلي ٩٦

قصة قصيرة: انتظار
بنت العراق ٩٨

قصيدة: زينب(ع) والكلم الرائعات
الشيخ الدكتور أحمد الوائلي ١٠١

إضاءات السيرة

أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي(ع)
هادي عيسى الحكيم ١٠٢

العودة إلى بغداد/ الحلقة ٣
علي سعد النجفي ١٠٨

للفضيلة نجومها

الشيخ علاء الدين الشفهيني
سعد الحداد ١١٤

الشيخ عبد الحسين البشيري
حيدر المالكي ١٢٠

الشيخ فرج العمران القطيفي
حسين جهاد الحساني ١٢٤

طروحات عامة

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين(ع)
السيد محمد علي الحلو ١٣٠

الصلة بين مفهوم الدين والدولة
ثائر عباس النصراوي ١٣٨

الديمقراطية بين المنهج والتطبيق
ضياء المؤذن ١٤٣

الحجامة بين الماضي والحاضر
م.م. نبيل سليم تويج ١٤٨

قراءات في أصول الثقافة النجفية
حيدر نزار السيد سلمان ١٥٤

في الذاكرة ٦٦

أجوبة مسابقة العدد (١١) وأسماء الفائزين ١٦٠

مسابقة العدد ١٦١

كلمة العدد

التناقض المرير

بسم الله الرحمن الرحيم

نعيش اليوم تناقضاً صريحاً مريراً ففي الوقت الذي تتعالى صيحات الشتائم المقذعة والاتهامات غير المسؤولة والسب العلني ضد أصحاب المبدأ الحق الذين تركوا المواجهة الكبرى ريثما تتحقق النتائج المثمرة، حفاظاً على الكيان العام للأمة الإسلامية، وحقناً للدماء البريئة التي حرمها الله تعالى.. حتى تعدت إلى أكثر من ذلك، فطالت دماء الأبرياء نساء وأطفال وشباب عزل، ونرى الرموز يفتخرون ويتبجحون بما يجري داعين إلى مزيد من ذلك والضرب بيد من حديد، حتى تناسوا كل القيم الإنسانية فضلاً عن الإسلامية، في مواجهة هي الأعنف على مرّ قرون من الزمن.

وكل ذلك يجري بحجة واهية وهي عدم التصدي للمواجهة الكبرى ومصالحة العدو بشكل لا يقبله المسلمون. مع أن الأمة على قناعة تامّة بأن الأمر ليس كذلك، بل ما يجري إنما هو من أجل قضايا معروفة.

لكن وفي الوقت نفسه وبعد أن دارت دائرة الزمن، وتغيرت بعض المعطيات السياسية العامة، وبدأت مرحلة جديدة من المواجهة على صعيد آخر، وفي ساحات مختلفة، وبمقاييس أخرى، وإذا بنا نرى أولئك الذين كانوا يحثون على المواجهة وترك الدعة والاستسلام، وينهشون لحوم الأبرياء بذريعة تركهم المواجهة، يحمّلون المسؤولية ويعتبرون هذه المواجهة خاطئة، ويدلون بتصاريح غير مسؤولة تتبنى موقف العدو في كثير من الأحيان.

عجباً!.. ما الذي اختلف في البين؟! حتى تصدر مثل هذه المواقف غير المسؤولة؟!

أين الروح الجهادية المزعومة التي كانت تزج بعشرات الأفراد بل مئاتها في ميادين مواجهة الشعوب لتنثر لحومهم في الهواء؟! وما هو المقياس الحقيقي الذي يمكن أن يعتمد عليه في ذلك ليصح تسميته بالجهاد تارة، وبالظلم والطغيان تارة أخرى؟! بل لماذا هذه التصريحات غير المسؤولة التي تطلق بشكل عشوائي لتوجب الضعف في صفوف الأمة، وتعطي ضوءاً أخضر للأعداء ليعيثوا في الأرض

فساداً ويحرقوا الحرث والنسل؟!. ولماذا هذا التعتيم الإعلامي غير المبرر لواقع الحال الذي عليه الأمة حتى يبلغ الحال بهم إلى السعي لإيجاد مناخات ملائمة لمصالحة العدو؟! بل رفع أعلامهم من قبل ذلك في عقر البلاد الإسلامية.

ولماذا هذا السكوت الأعمى الذي أصبح داءً أبتليت به الحكام وهم يرون بأم أعينهم ضرب الشعوب بشكل مفرط.. بل وترك الأمة في ساحاتنا اليوم تذبح كما يذبح الكبش حتى شاعت المثلة في أوساط المواجهة بشكل يندى له جبين الإنسانية؟!. نعجب لذلك أشد العجب ونتجرعه بأشد من طعم العلقم، ولكن ليس هو بأول تناقض تعيشه الأمة الإسلامية في تاريخها العريق.

إن لكل الأمم المختلفة في مبادئها عدو مشترك تتحد فيما بينها عليه، مهما كان الاختلاف بينها عميقاً. أما نحن فإنه لا عدو مشترك بيننا وبين الآخرين، ولا اتحاد معنا من أجل الوقوف ضد عدونا، بل قد نكون نحن العدو الأول والأخير، وكل من يقاطعنا يتم الاتحاد معه على أساس مواجهتنا مهما كلف ذلك.

وفي تقديرنا وتقدير كل من ينظر إلى الواقع الإسلامي اليوم، بل وقبل اليوم أن هناك عداءً متأصلاً لا يقبل الشك، عداءً لفئة واحدة مهما تكثرت الأسماء والعناوين، الفئة التي تحمل بين جوانحها دعوة الحق.. عداءً متوارثاً من الآباء والأجداد، وقد بنوا له أسساً قوية، حتى أصبحوا يدينون به في جميع العصور وفي مختلف الحالات.

ولذا فإن قاومت أمتنا على أسس رصينة ومبادئ واضحة، جوبهت بالرد، وقطع الطريق والإمدادات اللوجستية. وإن هادنت ـ وإن كانت لصالح الأمة بأسرها ـ قوبلت بالتنكيل والسب والشتم.

فكأن القضية واحدة، وهي النيل من هذه الأمة في جميع الظروف، ومختلف الأحوال، وليست القضية دعوةٌ للجهاد والوقوف أمام القوى الكافرة.

وهذه وإن كانت حقيقة مرة يصعب تحملها، إلا أنه يكفينا كوننا على الحق، وسلوتنا نهج الصواب، وقد قال من قبل سيدنا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة**».

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، وإنا لله وإنا إليه راجعون ■

المشرف العام

الإيحاء الصوتي.. في النص القرآني

• د. زهير غازي زاهد

ينابيع إنَّ إيحاء أصوات اللغة بالمعنى ومحاكاته له صور كثيرة. فالكلمات التي هي عبارة عن صدى للأصوات بدلالتها أو الكلمات التي يوحي لفظها بمعناها الطبيعي ومصطلحها الغربي Onomatopoeia أشارت إليها الدراسات اللغوية منذ أيام الإغريق فقد وردت افتراضات تتعلق بأصل اللغة ركزت اهتمامها على رمزية الأصوات[1] وعلى وجود علاقة خفية بين الصوت والمعنى، وتناول العرب هذه القضية فقد روى ابن جني عند حديثه عن أصل اللغات[2] أنَّ من اللغويين من يرى أنَّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وخرير الماء ونعيق الغراب وصهيل الفرس.. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وقد استحسن هذا القول وتقبّله. وبغض النظر عن قيمة هذا الكلام وصدقه فإن اللغات لا تخلو من نسبة من هذه الألفاظ التي تحاكي أصواتها مدلولاتها أو توحي بها. ففي العربية غير ما ذكر ابن جني من الكلمات التي تناسب دلالاتها الطبيعية أو المشتقة من أصوات الطبيعية وظواهرها. وكذلك ذكر السيوطي نقلاً ن عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي أنه ذهب (إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية) ثم قال (وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني)[3].

نحن لا نعني في هذا البحث أصل

معاني الألفاظ عند الوضع؛ لأن ذلك غاية لا تُدرك فقد توقف البحث في أصل اللغة لأنه (لا يمكن الوصول إلى نتائج نهائية في هذا الشأن)[٤] نحن نعني هنا الدلالات المكتسبة وما يضيفه استعمال الأصوات وإبداع تأليفها من ظلال ودلالات تناسب أصواتها الأحداث وتوحي بها إيحاء صفات الأصوات المؤلفة لتدل على معانٍ مناسبة كالتكرار الصوتي والمقطعي لتدل على استمرار الحدث. فالتشديد فيها يوحي بالتشديد والمبالغة. وانسجام أصوات الكلمات في سياقها يوحي بالسلاسة والرقة. وهذا معنى يُضاف إلى معناها المعجمي ولا يتناقض معه في الغالب.

إن الكلمات تاريخاً من الاستعمال يحمل تجارب الأجيال التي استعملتها وهي تحيا بالاستعمال وتموت بعدمه وقد أُلِّفتْ المعجمات التاريخية تحكي تاريخ الكلمات في مراحل حياتها وذلك ما ينقص العربية حتى اليوم.

أقول - وهذا رأي للمناقشة - قد تكون أصوات اللغة التي صدرت عن الإنسان في سحيق الأزمان صدرت وهي تحمل إحساسه بأصوات الطبيعة واحداثها فالمفخّم والمجهور مثلاً تولّد عن أحداث عنيفة كالرعد والصواعق والعواصف وغيرها من ظواهر الطبيعة أو أصوات الوحوش والمهموس والرخو والأغن عن شعوره بالبهجة والراحة، لكنّ مروره بمراحل وعصور ولّد أبجديته التي يتألف منها الكلام. فاللغة التي يتسلمها جيل عن جيل قبله تتطور عبر العصور في أوضاعها المختلفة ولكن ظلّ شعوره أو لا شعوره يرتبط بأصول نشأتها وإيحاءاتها.

لقد عقد ابن جني أربعة أبواب في الجزء الثاني من (الخصائص) حاول فيها إثبات طبيعية أصوات اللغة أو إيحاءات أصواتها بالمعاني وقد بالغ في حديثه وتصوره دلالة أصوات الكلمات، فبعد استشهاده بقول الخليل بن أحمد: (كأنَّهم توهموا في صوت الجندب استطالةً ومداً فقالوا: صرّ وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر)[٥] ثم استشهاده بقول سيبويه في المصادر التي جاءت على فَعَلان: إنَّها تأتي للإضطراب والحركة نحو النَقَزان والغَلَيان والغَثَيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال[٦]. ثم قال: (وجدتُ أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه ومنهاج ما مثّلاه)[٧] وأخذ يضرب الأمثلة في مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فمثّل بالفعل

(خضم وقضم)[٨] نسب تغيّر الدلالة لتغير الصوت وإيحائه بها فالخضم لأكل الرطب والقضم للصلب اليابس، والقاف مجهور مفخم يقطع معه النفس وصفه بالصلب اليابس. وضرب أمثلة أخرى جعل من استعمال الألفاظ صوراً محسوسة وإن كان في ذلك مبالغة في قسر الألفاظ لدلالاتها المتخيلة.

وقد اتسع ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في هذا المجال فوضع معجمه (مقاييس اللغة) محاولاً فيه أن يربط بين الألفاظ ودلالاتها على ما عالجها ابن جني مستخدماً تقليبات المادة من الأصول الثلاثة إلى ست صور وتلمّس الصلة المشتركة بين معاني كل هذه الصور. وكذلك سلك ابن دريد (ت٣٢١هـ) في الجمهرة مقتبسين فكرة تقليبات الأصول من الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) في معجمه (العين).

لم يهمل اللغويون المحدثون النظر في الصلة بين اللفظ ودلالته فقد ناقشها من العرب إبراهيم أنيس وتمام حسان ومن الغربيين يسبرسن وأولمان وغيرهم فكانت خلاصة موقفهم: إنَّ توليد المعنى عن طريق المحاكاة والتقليد بواسطة الصوت له دور ذو أهمية وحيوية وقد وضعت نظم رمزية ترمي إلى بيان القيمة التعبيرية بالأصوات المتصلة بالأصوات المختلفة، ولكن ينبغي لنا أن لا نبالغ في ذلك.

أما ظواهر اللغة الطبيعية وكون الألفاظ صدى لأصواتها وأحداثها فهي ظاهرة واضحة في كل اللغات تشبه ما في العربية من ألفاظ الخرير والحفية والصهيل والعواء وغير ذلك، وهذا النوع من الألفاظ يكثر في اللغات البدائية كما لاحظه بعض الباحثين في لغات وسط أفريقيا[٩].

وكان (دوسوسير) من معارضي فكرة الصلة الطبيعية بين الألفاظ ودلالاتها فهو يرى اعتباطية الدلالة، إذ هي لا تخضع لمنطق أو نظام على انه لا ينكر وجود ألفاظ مشتقة من أصوات الطبيعة لكنها قلة في اللغات ولا يصح أن نتخذها قياساً للظاهرة اللغوية. فالألفاظ في حقيقتها رموز على دلالات تواضع الناس واصطلحوا عليها.

ما هو موقفنا من تلك الإيحاءات التي نجدها في نطق الألفاظ في سياقاتها نم لغة النص القرآني وفيها تناسب بين الأصوات ومعانيها في كثير من المواضيع توحي بمعانٍ غير المعنى العرفي المعجمي للكلمات؟

نحن نعرف أنَّ النص الإبداعي يهدف إلى الوصول بالكلمة إلى كامل قوتها وإيحائها سواء بالإيقاع وإيحاء جرس الكلمة أو التكرير والتشديد على أصوات معينة وغير ذلك من الوسائل الفنية. ينبغي لنا أن ننظر بناء الكلمة وتأليف أصواتها وسر تركيبها بهذه الصورة أو تلك والوظيفة التي تؤديها في التركيب لإحداث أثر يوحي بما تختزنه الكلمة من تجارب استعمالها.

فالكلمة ذات أثر سحري حين يوحي نسيج أصواتها بظلال من المعنى تضاف إلى معناها المعجمي. فالمبدع

لديه بصر بجوهر اللغة كما يعبر ابن فارس في مقدمة (متخير الألفاظ) فتركيب الجملة لديه يجعل إيحاءات مفرداتها وأصواتها ذات علاقة بالحدث، فيعبر عن المعنى بالإيحاء الصوتي للكلمات عن طريق الحكاية الصوتية باستخدام التفخيم الصوتي أو التشديد أو تكرار المقطع أو بالصورة التي يعبر عنها السياق، وهنا يستعمل النص القرآني ألفاظاً ذات أصول تحمل طاقة إيحائية توحي بمعانٍ تضاف إلى معناها العرفي. وهذا ما عناه ابن فارس بالبصرة بجوهر اللغة.

١- فقد يولّد معنى المبالغة والتفخيم وما تحكيه الأصوات المفخمة فتثير ما يشبه الدوي توحيه الكلمات المؤلفة منها فحين نقرأ قوله تعالى: (وَالَّذينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ❖ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ)[١٠].

تدرّج سياق الآية في وصف الكافرين فهم في نار جهنم في اضطراب وحيرة لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفّف عنهم العذاب فهم معلّقون وبعذاب دائم ثم قال: «وهم يصطرخون» وهناك فرق بين (يصطرخون) ويصرخون، فيصطرخون اجتمع فيها ثلاثة أصوات مفخمة الصاد والطاء المنقلبة عن تاء افتعل والخاء، فأصبح الفعل يحاكي أصداء صراخهم، ولصراخهم دويّ وصخب عال مستغيث أوحى به التفخيم في أصوات الفعل.

ومثل ذلك كلمة (صريخ) في الآية (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ)[١١] فالصريخ: المغيث كأنّه يستجيب لصراخ من يستغيث به فهؤلاء لا أحد يستجيب لصراخهم بالاستغاثة. فاجتماع الصاد والخاء صوتين مفخمين في الكلمة جعلها في سياقها توحي بصراح المستغيث.

وكذا ما توحيه الكلمات بأصواتها في الآية (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)[١٢] توحي أصوات (مكاء وتصدية) بالسخرية من صلاة الكافرين فالمكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق الذي له أصداء تسمع.

وكذا ما توحيه كلمة (ضيزى) من المبالغة في عدم العدالة في الآية (أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى❖ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)[١٣] وهنا فرق بين ظالمة وضيزى لما في الضاد من التفخيم والزاي حرف الصفير بعده مدة الاطلاق.

وكذا ما توحي به الآية من جو القلق والخوف (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)[١٤] فعبارة (خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) توحي بحالة موسى وقلقه وكأننا نسمع دقات قلبه من الخوف ووجّه لومه لمن استغاث به و (استصرخه)

فعل موح بصراخ المستغيث بأصواته كما ذكرت.

وكذا ما يوحيه الفعل (نسلخ) في الآية (وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)[١٥] فتفخيم صوت الخاء ورخاوته بعد السين المهموسة المرققة أوحى بصورة انتزاع النهار وفصله كما يفصل الجلد عند سلخه ثم مفاجأة نزول الظلام في الآية يظهر التناقض بين حالتين، فعنصر المفاجأة باستعمال (إذا) هنا زاد من حركة التناقض وضوحاً.

وكذا ما يوحيه الفعل في الآية الأخرى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا)[١٦] انفصل منها كما يفصل الجلد عند سلخه. ففي الآية السابقة كان الفصل يدل على الحاضر والفاعل هو القوة العظمى التي تفصل ما تشاء من التبديل والتغيير. أما في هذه الآية فدلالة الفعل ظلة على الانتزاع والفصل لكن الفاعل غير الاول فالذي أتته الآيات من بني إسرائيل لم يصدق بها (فَانسَلَخَ مِنْهَا) أي انفصل فأسند الفعل إلى نفسه أي طاوع نفسه على الانفصال منها (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ) أي أدركه الشيطان عند انفصاله وابتعاده.

٢- ايحاء التشديد: والتشديد زيادة في الحروف يعني زيادة في المعنى كما يقول الصرفيون وكثيراً ما يوحي الثقل وطول العناء في سياق استعماله كما يوحي في الآية الكريمة (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)[١٧] تشير الآية هنا من هذا النداء بالنفور في سبيل الله والنفور سرعة الحركة ثم السؤال العاتب حد اللوم والفعل (اثَّاقَلْتُمْ) توحي بالتصاقهم في الأرض مقابل الفصل (انفرُوا) مما فيه من تشديد الثاء بقلب تاء الافتعال وإدغامها بتاء الفعل وأصله تثاقلتم ثم الإتيان بهمزة الوصل لإمكان النطق بالساكن والساكن يزيد في الايحاء بتثاقلهم وذلك ما عبّر عنه ابن جني (مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث)[١٨] فالثاء توحي النفث للتراب في (بحث) على حد قوله[١٩] فكيف إذا جاءت مضعفة هنا؟ فهي تحكي عدم حركتهم والتصاقهم بالأرض.

وكذا ما يتولد من معنى يوحي به التشديد في الآية (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ❖ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا)[٢٠] فالفعل (يُدَعُّونَ) يختلف في معناه عن يدفعون ثم توكيده بالمصدر دعا. فالدع فيه حكاية لما يخرج لهم من الصوت عند دفعهم بشدة وغلظة وكأننا نسمع صوت (اع) عند دفعهم ودعّهم. وهو إيحاء يضاف إلى معنى الكلمة المعجمي.

ومن هذا ما يشعر به التشديد في (زَقُّوم) في الآية (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ❖ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّوم)[٢١] فتشديد القاف وهو صوت حلقومي شديد مفخم وانسداد البلعوم عند نطقه أوحى بوقوف هذا الثمر في البلعوم وعدم استطاعة بلعه.

وكذا ما يوحيه التشديد في قوله تعالى (وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)[٢٣] جاء التشديد في (حَلاَّف، هَمَّاز، مَشَّاء، مَنَّاع) للمبالغة في الفعل ثم عقبها الوصف (عُتُلٍّ) المعبرة عن الغلظة بل توحي بها فتشديد اللام حكى شدته وغلظته. ويبدو أن مادة (ع ت ل) وتنويعات اشتقاقها توحي بالثقل والشدة وذلك ما تحكيه الآية (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ)[٢٣] فعتله عتلاً أي جره بعنف والعُتُلّ من الرجال الغليظ الجافي.

وكذا ما يوحي به التشديد في الآية الكريمة حين دخل ضيف إبراهيم عليه: (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ۞ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)[٢٤]. الصَّرة: الصرخة الشديدة عند المفاجأة فهي أقوى من الصيحة في شدة صوتها ثم عبارة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) أي ضربت وجهها بجميع أصابعها كما يقول ابن قتيبة[٢٥] وهو أشد من الفعل ضرب، وهذا يكون من النساء عندما تسمع خبراً عجيباً لا يصدق. فالتشديد في صرّت وصكّت يحكي هذا المعنى ويوحي به.

وفي قوله تعالى (لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا۞ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا)[٢٦] مقابلة البرد بالجحيم ثم إيحاء (غَسَّاقًا) الذي يناقض برد الشراب كما ناقضت الغين الصوت المفخم المجهور السين الصوت المرقق المهموس ثم ارتباط المعنى بالغسق والغاسق وهو ما يستعاذ

موعظة

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه جاء إليه رجل، فقال له: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، علمني موعظة.

فقال عليه السلام: «إن كان الله تبارك وتعالى قد تكفل بالرزق، فاهتمامك لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوماً، فالحرص لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً، فالجمع لماذا؟ وإن كان الثواب من الله، فالكسل لماذا؟ وإن كان الخلف من الله عز وجل حقاً، فالبخل لماذا؟ وإن كانت العقوبة من الله عز وجل النار، فالمعصية لماذا؟ وإن كان الموت حقاً، فالفرح لماذا؟ وإن كان العرض على الله عز وجل حقاً، فالمكر لماذا؟ وإن كان الشيطان عدواً، فالغفلة لماذا؟ وإن كان الممر على الصراط حقاً، فالعجب لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر، فالحزن لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية، فالطمأنينة إليها لماذا؟.

أمالي الصدوق ص:٥٦

برب الفلق منه، وصلة الغسق بالظلام والليل كان مخيفاً يقرن بالهم الناصب لدى الشعراء قديماً.

وهكذا ما يوحيه التشديد في (الحاقّة والصاخّة والطامّة وسجّيل وسجّين) وغيرها من الثقل. فكل هذه الكلمات المشددة في سياقاتها تتولد منها معان إيحائية طبيعية تضاف إلى المعنى المعجمي فأصواتها المؤلّفة بنيتها توحي بظلال دلالتها قبل معرفة معناها المعجمي.

٣- تكرار المقطع: من تكرار المقطع الموحي بتكرار المعنى قوله تعالى: (وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ❖ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ❖ مِنْ دُونِ اللّه هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ❖ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)[٢٧] نلاحظ تسلسل الآيات من تبريز الجحيم ثم لومهم لعبادتهم العاجزين عن نصرهم ونُصرة أنفسهم ثم جاء (فَكُبْكِبُوا) في مناسبته للمعنى بتكرار مقطعها المؤلف من الكاف والباء فتصورهم وكأنهم يدفعون فيتساقطون على وجوههم، فأصل الفعل كُبّبوا من قولك: كببت الإناء. فأبدل من الباء الوسطى كافاً؛ لاستثقال اجتماع ثلاث باءات[٢٨]. وهنا نتذكر قول الخليل في الفرق بين صرّ وصرصر، فتكرار المقطع يوحي بتكرار الحدث واستمراره.

ويتضح الإيحاء الصوتي لكلمة (صَلْصَال) في الآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)[٢٩] فالصلصال صوت الطين اليابس الذي لم تمسه نار، فإذا نقرته صلّ أي صوّت، وصلصل مثل صرصر. فالأصوات التي تألفت منها الكلمة تناسب معناها بل هي معناها الذي توحيه[٣٠].

وفي قوله تعالى (إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا)[٣١] شدة الاضطراب وتكرار المقطع يوحي باستمرار الزلزلة، فهو يختلف عمّا في كلمة (زلّ) وهذا النوع من الألفاظ تطور من الثنائي إلى الرباعي بتكرار المقطع فتكررت دلالته.

ومن ذلك قوله تعالى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّه نَاقَةَ اللّه وَسُقْيَاهَا❖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا)[٣٢] نلاحظ الفعل (دَمْدَمَ) وإيحاء تكرار المقطع فيه يُحدث دوياً في الذهن بعد إذ حذرهم الرسول (ناقَةَ اللّه) فكذبوه فجاءهم العقاب شديداً فهو لا يوحي به تكرار المقطع المؤلف من صوت الدال الشديد المجهور ثم الميم الذي تنطبق الشفتان عند نطقه فيخرج الصوت من الأنف فيظهر دوي كدوي الضرب على الطبل الضخم.

لقد أوحى التكرار في الآيات المذكورة بتكرار العذاب وشدته والأصوات المستعملة حكت هذا المعنى وذلك نقيض تكرار الأصوات الهامسة وما توحيه من معنى كتكرار السين في سورة (الناس) وما توحيه من سلاسة التعبير وكأننا نسمع هذا الصوت الخفي في النفس (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ❖ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ).

وكذلك تكرار السين وما توحي

به من همس وخفة وجرس رقيق في الآية(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۞ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً)[٣٣] يوحي تكرار السينات بهمس خفيف لا خشونة فيه ولا شدة وصوت السين مرقق مهموس رخو وهو من أصوات الصفير كالصاد والزاي إلا أنها مهموسة وهما مجهوران.

وكذلك تكرار المقطع في (سلسلة وسلاسل) يوحي بتسميتها حين تحرك وبامتدادها في الآية (في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)[٣٤]، (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا)[٣٥].

هذا هو البصر بجوهر اللغة الذي تمتاز به النصوص العالية الابداع وهذه الظاهرة يمكن أن تدرس في مجال إعجاز هذا النص المعجز.

نحن نجد هذه الصلة الإيحائية بين اللفظ ومعناه لدى قليل من الشعراء أيضاً نحس بها في مقاطع من شعرهم كما هي لدى الشنفرى في مواضع من شعره ولدى الأعشى وذي الرمة في وصفه بعض مشاهد الصحراء والمتنبي في جوانب من أوصافه والشريف الرضي في مقاطع من شعره ■

---

(١) انظر: دور الكلمة في اللغة ـ أولمان ٩٩.
(٢) الخصائص: ٤٢/١.
(٣) المزهر: ٤٧/١.
(٤) دور الكلمة في اللغة ٩٩.
(٥) الخصائص: ١٥٢/٢، (باب في امساس الألفاظ أشباه المعاني)، وأنظر: الكتاب ١٤/٤.
(٦) السابق
(٧) الخصائص: ١٥٣/٢.
(٨) الخصائص: ١٥٧/٢.
(٩) أنظر دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ٦٨-٦٩ (ترجم نصوصاً من كتابي يسبرسن Language its nature development and origim; chepter.xx. Language families of Africa.p ٤٧. البيان في روائع القرآن لتمام حسان (الفصل السابع ص:١٧٥، دور الكلمة أولمان ٨٤-٩٩) وأنظر هوامش الدكتور كمال بشر على ترجمة متن الصفحات المذكورة.
(١٠) سورة فاطر: ٣٦-٣٧.
(١١) سورة يس: ٤٣.
(١٢) سورة الأنفال: ٣٥.
(١٣) سورة النجم:٢١-٢٢.
(١٤) سورة القصص: ١٨.
(١٥) سورة يس: ٣٧.
(١٦) سورة الاعراف: ١٧٥.
(١٧) سورة التوبة: ٣٨.
(١٨) الخصائص: ١٥٧/٢.
(١٩) السابق: ١٦٣/٢.
(٢٠) سورة الطور: ١١-١٣.
(٢١) سورة الواقعة: ٥١-٥٢.
(٢٢) سورة القلم: ١٠-١٣.
(٢٣) سورة الدخان: ٤٧.
(٢٤) سورة الذاريات: ٢٨-٢٩.
(٢٥) تفسير غريب القرآن: ٤٢١.
(٢٦) سورة النبأ: ٢٤-٢٥.
(٢٧) سورة الشعراء: ٩١-٩٤.
(٢٨) تفسير غريب القرآن: ٤١٨، اللسان (كبب) ١٩٠/٢.
(٢٩) الحجر: ٢٦.
(٣٠) كذلك ورود (صلصال) في الآية: ٧١-غافر- الإنسان.
(٣١) سورة الزلزلة: ١.
(٣٢) سورة الشمس: ١٣-١٤.
(٣٣) سورة الإنسان: ١٧-١٨.
(٣٤) سورة الحاقة: ٣٢.
(٣٥) سورة الإنسان: ٤.

أنماط الاستفتاح.. في الخطاب القرآني

• أ. د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع إنّ للبيان القرآني مزيّة أسلوبية معجزة اتسقت في كل معابره الأصولية ومداخله الموضوعية، وعلائقه المعرفية، إذ يسرت هذه المزية للمتأمل بعداً متطاولاً وللمدبر مجالاً متألقاً وللباحث خصوبة وإتماما..وتحت هذه المزية يمكن أن نلحظ أنماط استفتاحات ذلك البيان القرآني العتيد في سوره التي وردت على وفق أسرار دلالية دقيقة ولطائف معنوية محكمة.

فكان لكل استفتاح نمط قراني أو أسلوب جرى عليه، ولكل أسلوب مقاصد بيانية أو أغراض اتبعها ، امتداداً إلى الصياغ المنسجم والمتفردة في كل فضاءات النص وزواياه المتعالقة بهندسة التنزيل المبين..وعلى هذا فان الوقوف عند استفتاحات القران بمواردها وسياقاتها وفرائدها بكفيل بملاحظة زاوية اعجابية من الزوايا الباهرة.

ولقد افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعدت أنواع من الكلام لا يخرج شيء من الصور عنها، وهي مهمة في الدرس الأسلوبي ومداخل الإعجاز القرآني، ومن هنا؛ سنقف عندها على نحو التنظير والبيان وفق الأنماط الآتية[1]:

١ـ الاستفتاح بالثناء:

وهو استفتاحه سبحانه وتعالى بالثناء عليه عز وجل، وهو ثناء على نفسه بنفسه لأنه لا يعلم مدحته إلا هو وإلا غيره ليس أكفأ منه في مدحه وهذه تحمل قاعدة سارية في العلم والحب والقدرة

الإلهية أي انه لا يعلمه احد مثلما يعلمه هو نفسه وهو ما يسمى بالعلم الالهي.

ولهذا الاستفتاح - كما يقول الزركشي - قسمان: إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص... فالإثبات نحو (الحمد لله) بخمس صور وهي الفاتحة، والأنعام، والكهف، والسبأ، وفاطر إذا جاء في الأولى (إذ تبارك الذي نزل الفرقان) وفي الثانية: قال تعالى: (تبارك الذي بيده الملك).

والتنزيه نحو (سبحان الذي أسرى بعبده) في سورة الإسراء، وقوله في سورة الجمعة والتغابن، وكلاهما في سبع صور.

فهذه أربعة عشر سورة استفتحت بالثناء على الله، نصفها لثبوت صفات الكمال ونصفها لسلب النقائض، وهذا سرّ عظيم من أسرار الإلوهية، فقد قال الكرماني: (سبّح لله) هذه كلمة استأثرة الله بها فبدأ بالمصدر منها في بني اسرائيل لأنه: الأصل ثم الماضي (سبح لله) في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين ثم المستقبل في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع: المصدر والماضي والمستقبل والأمر والمخاطب فهذه أعجوبة وبرهان.

٢ـ الاستفتاح بحروف التهجي:

وهو استفتاح الصور بحروف التهجي نحو؛ الم، المص، المر، كهيعص، طس، حم، حمعسق، ق، ن... وذلك في تسع وعشرين سورة.

وبنية هذه الحروف تكون ثلاثة حروف موحدة: ص، ق، ن وعشرة مثنى: طه، طس، يس، حم..، واثنا عشر مثلثة الحروف: ألم، ألر، طسم... واثنتان حروف أربعة: المص، المر، واثنتان حروف خمسة: كهيعص، حمعسق.. وهذه الحروف تعتمد على المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً عليها مدار الكلام الخلق أجمعين مع تضمنها سراً عجيباً هو إن الألف للبداية والوسط والنهائية... وقيل أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القران مؤلف منها ، فجاء بعض هذه الحروف مقطعاً وبعضها تاماً مؤلفاً ليدلّ القوم الذي نزل القران بلغتهم انه بالحروف التي يعقلونها ويبنون كلامهم منها وهذا دليل على إعجازه العظيم أمام تماديهم وعنادهم وجحودهم وعجزهم عن الإتيان بمثله.

إذن فالاستفتاح بهذه الحروف هو من الإعجاز اللامتناهي للقران وهي افتتاحات لا معنوية تمهيدية لسرد السورة ومقامها التقديم على الآي المعنوي اللاحق لها، لمقاماتها القدسية، والله أعلم...

٣ـ الاستفتاح بالنّداء:

وهو النمط الثالث من استفتاح السور وقد جاء في عشر سور، كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) في سورة المائدة والحجرات والممتحنة، وقوله تعالى: (يا أيها النبي) في سورة الأحزاب والطلاق والتحريم، وقوله تعالى: (يا أيها المدثر) في سورة المدثر وقوله تعالى: (يا أيها الناس) في سورتي الناس والحج، و(يا أيها المزمل) في سورة المزمل نقف عند قوله تعالى في سورة الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي رسول الله واتقوا الله إن الله سميع عليم).

فالنداء هنا من الله للمؤمنين وهو نداء فيه من التكريم الشيء الكثير لأنه سبحانه يناديهم بأحب الأوصاف التي يصف بها عباده..، نداء ما أعذبه من نداء وما أشد وقعه على النفس لأن الله تبارك وتعالى يناديهم من عليائه بهذا النداء... وهذا النداء جدير بأن يهز قلوبهم ويثير تنبههم إلى الاستماع إلى الأمر الملقى إليهم والاستجابة له لأنه من مقتضى الإيمان، وما أجمل ما قاله ابن مسعود: إذا سمعت لله يقول: (يا أيها الذين أمنوا) فأعرها سمعك...) ومن هنا يرى الزمخشري إن سحل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين..[٢].

٤ـ الاستفتاح بالجمل الخبرية:

وهو النمط الرابع من استفتاح السور، وقد جاء في ثلاث وعشرين سورة كقوله تعالى: (يسألونك عن الأنفال) في سورة الأنفال وقوله (براءة من الله) في سورة التوبة، وقوله: (أتى أمر الله) في سورة النحل، وقوله تعالى (اقترب للناس حسابهم) في سورة الأنبياء، وقوله (قد أفلح المؤمنون) في سورة المؤمنون، وقوله: (سورة أنزلناها) في سورة النور، وقوله (تنزيل الكتاب) في سورة الزمر، وقوله(الذين كفروا..) في سورة محمد، وقوله: (إنّا فتحنا..) في سورة الفتح: وقوله (اقتربت الساعة) في سورة القمر، وقوله (الرحمن علم القران) في سورة الرحمن، وقوله (قد سمع الله) في سورة المجادلة، وقوله: (الحاقة) في سورة الحاقة، وقوله (سأل سائل) في سورة المعارج، وقوله: (إنا أرسلنا) في سورة نوح، وقوله: (لا أقسم) في سورتي القيامة والبلد، وقوله: (عبس) في سورة عبس، وقوله: (إنا أنزلناه) في سورة القدر، وقوله: (لم يكن) في سورة البينة، وقوله: (القارعة) في سورة القارعة، وقوله (ألهكم) في سورة التكاثر، وقوله: (إنا أعطيناك الكوثر) في سورة الكوثر.

نقف على سبيل المثال عند (سورة المؤمنون) لقوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون) فنقول: لأن استفتاح هذه السورة جاء بأسلوب الإخبار الإلهي الذي يكون وقوعه لا محالة، من تحققه في حيّز الحدث، فلا تنتظم فيه الأزمنة الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية، إذ النص فوق الزمان والزمانيات. وعندها نلحظ في هذه الآية التي افتتحت بها السورة أنه بدأت فأخبرت المؤمنين أنه قد تحقق فلاحهم وفوزهم بالنعيم

وبقاؤهم في الجنة والخير ثم أخذت في إبراز صفات أولئك المؤمنين التي من أجلها استحقوا هذا الفلاح ونالوا تلك المنزلة وصاروا ورثة الفردوس.. واستعمال (قد) في هذا الاستفتاح الأسلوبي ليدل على ثبوت أمر وتحققه، والأمر المتوقع في الآية الكريمة هو الفلاح التي دخلت (قد) على فعله ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دلّ على ثبات وتحقيق ما توقعوه...

٥ـ الاستفتاح بالقسم:

وهو النمط الخامس من استفتاح السور وظيفته توكيدية إذ المقسم شيء عظيم أو مقدس أو مهول لذا جاء استهلاله على وفق المرتبة الرفيعة..، في خمس عشر سورة لقوله تعالى: (والصافات) في سورة الصافات، وقوله: (والذاريات) في سورة الذاريات، وقوله (الطور) في سورة الطور، وقوله (والنجم) في سورة النجم، وقوله (والمرسلات) في سورة المرسلات، وقوله: (والنازعات) في سورة النازعات، وقوله: (والسماء ذات البروج)في سورة البروج، وقوله: (والسماء والطارق) في سورة الطارق، وقوله: (والفجر) في سورة الفجر، وقوله (والشمس) في سورة الشمس، وقوله (والليل) في سورة الليل وقوله (والضحى) في سورة الضحى، وقوله (والتين) في سورة التين، وقوله (والعاديات) في سورة العاديات وقوله (والعصر) في سورة العصر.

نقف عند قوله تعالى: (والصافات صفاً❖ فالزاجرات زجراً❖ فالتاليات ذكراً❖ إن إلهكم لواحد❖ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) لقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالملائكة على اختلاف وظائفها وأحوالها سواء أكانت التي تقوم صفوفاً في العبادة أو الذين يزجرون الناس عن المعاصي أو الذين يتلون كتب الله على أنبيائه.

ووقوع القسم في مستهل السورة له أثره النفسي حيث يجذب تنبه السامع، لما يحدثه في نفسه من الرهبة ولما يصاحب ذلك من تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال... والمقسم عليه أو جواب القسم هو قوله تعالى: (إنّ إلهكم لواحد) أي أن إلهكم المعبود بحق هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله واحد لا شريك له ثم عقب ذلك بوصف عظمته وقدرته الإلهية.

٦ـ الاستفتاح بالشرط:

وهو النمط السادس من استفتاح السور، إذ ينطوي على الوعد أو الوعيد الواقع في أجوبة الشرط اللاحقة، فهي تشير انتظاراً حثياً لنتيجة الشرط المتحقق لا محالة آناً أو في الآخرة... وقد جاء في سبع سور لقوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة) في سورة الواقعة وقوله: (إذا جاءك المنافقون) في سورة المنافقون وقوله (إذا الشمس كورت) في سورة الشمس، وقوله (إذا الشمس انفطرت) في سورة الانفطار وقوله: (إذا السماء

انشقت) في سورة الانشقاق، وقوله (إذا زلزلت) في سورة الزلزلة، وقوله: (إذا جاء نصر الله) في سورة النصر.

يقف عند قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة❖ ليس لوقعتها كاذبة❖ خافضة رافعة❖ إذا رجت الأرض رجاً❖ وبست الجبال بساً❖ فكانت هباء منبثاً)

تبدأ هذه السورة بوصف يوم القيامة وذكر أحداث هذا اليوم مما يميّزه عن غيره من الأيام، ففيه تتبدل أقدار الناس وأوضاع الأرض، وقد سمى الله القيامة بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد، فإذا قامت القيامة لا تكون نفس مكذبة بوقوعها وهي في وقوعها خافضة لأقوام في جهنم رافعة لأقوام آخرين إلى الجنة، فالأرض يومذاك تزلزل وتحرك تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وتتفت الجبال تفتتاً فتصير غبارا متفرقا منتشراً، ومن هنا فـ(إذا) في الاستعمال القرآني تفيد تحقق الوقوع والتصديق به.

٧ـ الاستفتاح بالأمر:

وهو النمط السابع من استفتاح السور، إذ تتمثل هنا القوة الصادعة لاسيما إذا صدر من القوة المطلقة في الكون، وفيه إشارة إلى استملاك قلوب المخاطبين بالصدع الآمر عسى ولعل أن تتشبع بالإيمان الإلهي؛ فهو آلية استباقية لشرح القلب بالإيمان وقد جاء في ست سور لقوله تعالى: (قل أوحي) في سورة الجن، وقوله (اقرأ باسم ربك) في سورة العلق، وقوله: (قل يا أيها الكافرون) في سورة الكافرون وقوله (قل هو الله أحد) في سورة الإخلاص، وقوله (قل أعوذ...) في سورتي الفلق والناس.

نقف عند سورة (الكافرون) لقوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون (إلى آخر الآية تكتب مع وضع❖).

فقد أمر الله سبحانه ورسوله الكريم أن ينفي عن نفسه عبادة الأصنام بالصيغتين الفعلية والاسمية: (لا أعبد ما تعبدون)(ولا أنا عابد ما عبدتم) وبالفعلين(المضارع والماضي):(تعبدون) و(عبدتم) ونفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين هي الصيغة الإسمية (ولا أنتم عابدون ما أعبد)...

٨ـ الاستفتاح بالاستفهام:

وهو النمط الثامن من استفتاح السور، وهو أسلوب إنشائي يهز النفوس ويوقظها من غفلة السبات الجاهلي والحادية القرون السالفة محفزاً إياها باتجاه اليقين ولا سيما ومعظم هذه السور مكية قبل ترتيب التشريع وتنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي فتحتاج النفس إلى مثل ذلك.

وقد جاء هذا الاستفتاح الاستفهامي في ست سور لقوله تعالى: (هل أتى) في سورة الإنسان، وقوله (عمّ يتساءلون) في سورة النبأ وقوله: (هل أتاك) في سورة الغاشية، وقوله (ألم نشرح) في سورة الشرح وقوله(ألم تر) في سورة الفيل وقوله (أرأيت) في سورة الماعون.

نقف عند قوله تعالى: (ألم نشرح لك

صدرك) هنا استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح: الفتح بما يصده عن الإدراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصده عن إدراك الحق وقيل معناه: ألم نشرح: ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالإيمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة، وقيل: هو شرح صدره في صغره... وعلى ما تقدم فالاستفهام في القران غير حقيقي لأنه واقع ممن يعلم ويستغنى عن طلب الإفهام، وإنما يخرج مخرج التوبيخ والتقرير لذلك لا يحتاج إلى جواب.

٩ـ الاستفتاح بالدعاء:

وهو النمط التاسع من استفتاح السور، وقد جاء مكتنفاً بالوعيد والويل والثبور فإن لم يتحقق ذلك بالدنيا فعند الآخرة أقوى، وجاء في ثلاث سور لقوله تعالى: (ويل للمطففين) في سورة المطففين وقوله: (ويل لكل همزة لمزة) في سورة الهمزة وقوله: (تبت يدا أبي لهب وتب) في سورة المسد.

فمثلاً في قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) نلحظ في قوله: (ويل) بالرفع ولم يقل: (ويلاً) بالنصب وذلك لأنه بالرفع جملة أسمية وبالنصب جملة فعلية، فأخبر أن لهم عذاباً دائماً لا ينقطع وقد دعا عليهم به... ولو قال (ويلاً) بالنصب لكان إخباراً بالعذاب غير الدائم، ومعنى (ويل) عند المفسرين: قبح، وهي تذكر عند وقوع البلاء ويل له وويل عليه، وقيل: ويل: اسم وادٍ في جهنم، والمعنيان واردان[٣].

١٠ـ الاستفتاح بالتعليل:

وهو النمط الأخير من هذا التنظير الأسلوبي لأستفتاح السور وقد جاء التعليل في موضع واحد لقوله تعالى: لإيلاف قريش) في سورة قريش، ..فمن المحتملات التي وردت في تفسير هذه هو الاحتمال في قولهم إنّ اللام في (لإيلاف) تتعلق بالسورة التي قبلها وذلك إن الله سبحانه وتعالى ذكّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة وقال لإيلاف قريش... واللّام هنا لام كي أو التعليلية بإظهار المنة الإلهية على المجتمع القرشي بإدرار الرزق صيفاً وشتاءً عبر رحلاتهم التجارية المتواصلة إلى اليمن والشام، وهم كافرون بأنعمه ثم أتم عليهم النعمة الكبرى بإرسال الرحمة للعالمين كافة بشخص المصطفى ﷺ خاتم المرسلين فكان كفرانهم بها أشدّ وجحودهم أعتى.

وخلاصة ما تقدم:

فإن هذه الاستفتاحات البيانية هي أنماط أسلوبية متفردة من التعبير، إذ تشير بفحواها التوحيدي وسياقاتها الإيمانية وعلائقها النظامية إلى ذلك الإعجاز العظيم الذي جاء به التنزيل المبين من الله العزيز الحكيم...■

---

(١) ينظر: تفصيل هذه الأنماط في (البرهان في علوم القرآن).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف ٢٢٤/١.

(٣) ينظر: تفسير الخازن المجلد ٢٨٩/٤.

أسس بناء المجتمع الإسلامي الصالح..
من منظور السيد الشهيد محمد باقر الحكيم قدس سره

• د. علي خضير حجي
كلية الدراسات الإسلامية/ جامعة الكوفة

ينابيع منذ أن عرف التاريخ، والأسرة هي الخلية الأولى في المجتمعات الإنسانية، ومن عدة أسر تكونت فيما بعد العائلة الكبيرة، ثم تجمعت عدة عائلات لتكون الجماعة ومن تكتل الجماعات بفئات أكبر تكون المجتمع الذي هو عبارة عن مجموعة من الأفراد لهم هدف معين ويسعون لغاية محددة.

وفي حدود البحث الذي يتناول المجتمع الإسلامي الصالح، ينبغي تحديد المصطلحات بشكل أدق.

فالمجتمع لم يرد بلفظه في القرآن الكريم وإنما عبر بألفاظ هي أقرب للفظ المجتمع من ناحية المادة والاشتقاق. كما أنها قريبة من ناحية المعنى. كقوله تعالى: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[1] وقوله تعالى: (إن الذين تولوا منكم يوم إلتقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان)[2].

وعبر أيضاً بلفظ القوم وقد كان أوسع المفردات استخداماً قرآنياً قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[3] ووردت واستعملت أيضاً كثيراً عند الحديث عن الجماعة التي يوحدها الإيمان بالله سبحانه وتعالى أو الصفات المشتركة من العلم والتقوى.

كما ورد في سياق الدعوة في التفكير في آياته وأخذ العبرة بما حل بالكافرين والمعاندين له عز وجل. قوله تعالى: (وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون)[4] وقال تعالى: (كذلك نفصل

الآيات لقوم يعلمون)[٥].

وقد وردت أيضاً لفظ الشعب والقبيلة في مقام التعبير عن الجماعات البشرية كما في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)[٦] ولعل أقرب المفردات في التعبير عن مضمون مصطلح المجتمع لفظ (الأمة) وقد وردت قرآنياً بمفهومها

- اللغوي - بمعنى (الجماعة) أي: المجموعة من الناس التي تربطها رابطة الاجتماع، بحيث يكون معناها مجرد الجماعة. كقوله تعالى: (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً)[٧] كما وردت لفظة (أمة) تارة أخرى من مقام التعبير عن البعد الاجتماعي المعنوي للجماعة، كما قال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[٨].

يختار السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

لفظ (الأمة) هو اللفظ القرآني الأقرب مضموناً إلى مصطلح (المجتمع)، وإن كان لفظ (الجمع) هو أقرب لفظاً له.

وحينئذ تكون الآيات التي تناولت موضوع (الأمة) هي الآيات التي تناولت موضوع المجتمع الإنساني.

أما اصطلاحاً فيعرف المجتمع بأنه: أية جماعة من الأفراد عاشوا مدة تكفي لأن يتكافتوا وأن يعتبروا أنفسهم وحدة اجتماعية ذات حدود واضحة المعالم.

المجتمع الذي يتحرك وفق مبادئ الاجتماع الاسلامي في صعيد العلاقات الممكنة والتامة بين الأفراد والجماعات سواء أكانت علاقات خاصة وشخصية مباشرة أو كانت علاقات عامة يفرضها الانتساب إلى الأمة الإسلامية.

إن المجتمعات الإنسانية التي ابتعدت عن النهج الاسلامي استطاعت أن تكون عدة نظم اجتماعية توضح أساس النظام الاجتماعي الذي يبنى على نوع العلاقة بين الأفراد والجماعة منذ القدم يضع مفهوماً للعلاقة بين الفرد والجماعة، وقد ظهرت الآراء المتباينة للفلاسفة حول هذا الموضوع فمنهم من وضع الدولة وأهدافها في المقام الأول وطلب من الفرد أن يتعايش مع ظروف الدولة وأهدافها.

يرى الفيلسوف (دكريتوس) إن السعادة المنطقية لأي فرد لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق معاودة الجماعة أو الدولة لذلك

في النفس والمجتمع

فيرى التركيز على متطلبات الدولة وأهدافها ومن زعماء هذه الفكرة ودعاتها: أفلاطون، أرسطو وفي المقابل نجد زعماء الفلسفة الطبيعية والوجودية يعتقدون في تغليب أهمية المصالح والأهداف الفردية للإنسان على مصلحة وأهداف الجماعة وهناك (رأي آخر لزعيم الفلسفة الرأسمالية جون ديوي) حيث يحاول أن يضع علاقة تبادلية بين الفرد والجماعة إذ يستطيع الفرد أن يفيدها ويستفيد منها. هذا مع العلم إن الإنسان يمكن أن ينمو ويتطور بفعالية فقط إذا كان عضواً في الجماعة.

إن النظام الاجتماعي واسع التفاعل بين الأفراد والجماعات ينبثق جميعها من الهدي الإلهي الذي أرسله الباري عز وجل هدى ورحمة للعالمين لذلك فإن نوع العلاقة بين الفرد والجماعة التي شكلت القاعدة الأساسية للنظام الاجتماعي تختلف على أنواع الروابط والعلاقات أي: إن نوع العلاقة بين الفرد والمجتمع الإسلامي دستوري بمعنى أن الفرد والجماعة يحكمان باستمرار الى الدستور الإلهي فلا يوجد تفرق أو غلبة لأحدهما على الآخر، هذا بجانب إن أهداف الفرد في المجتمع الإسلامي هي بذاتها أهداف الجماعة لذلك فإن الإنسجام وعدم التعارض بين الأهداف الفردية والجماعية هو الأساس طالما أن الفرد والجماعة متمسكان بالدستور الإلهي.

وقد قسم السيد محمد باقر الحكيم قدس سره عناصر المجتمع الإنساني الى أربعة أقسام:

الأولى: الإنسان - الخلية وهو المحور الأساسي والعنصر الأهم من بين عناصر المجتمع الإنساني الذي خلقه الله تعالى للقيام بهذا الدور الاجتماعي.

الثاني: الأرض والطبيعة - ولا يرى بها الأرض هنا خصوص جسم الكرة الأرضية فقط بل يراد بها جسم الكرة الأرضية وما يحيط بها من عوامل مرتبطة بها وبالإنسان فهي كل الكون المحيط بالإنسان والذي يتفاعل معه.

الثالث: العلاقة بين الإنسان والأرض من ناحية وبين الإنسان والإنسان الآخر من ناحية أخرى.

الرابع: النظام الاجتماعي الذي يحدد ويشخص شكل هذه العلاقة، ولا تختلف العلاقة في المجتمعات البشرية بعضها عن بعض في تعيين العناصر الأساسية في المجتمع إلا في العنصر الرابع وهو النظام الاجتماعي ويوضحه الشكل الآتي:

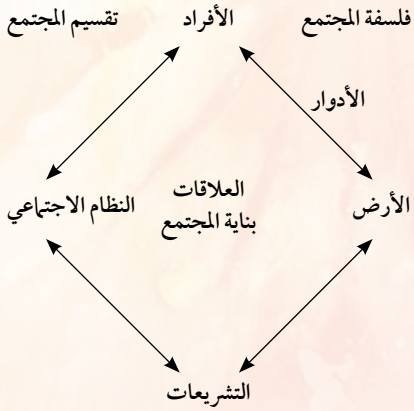

أما الأسس التي اختارها السيد شهيد المحراب لبناء الجماعة الصالحة مستنبطاً ذلك من الرسالة الإسلامية الخالدة في قوامه، وأسس اتصفت بالشمولية والأصالة والإحكام والإنسجام فكانت مزيجاً من الأبعاد والجوانب تتوافر فيه جميع مستلزمات البناء المرصوص المحكم الذي يؤهله للقيام بحفظ الاسم والأمة الإسلامية والدفاع عنها من ناحية وتحقيق المَثل الصالح للجماعة الإنسانية في مسيرة التربية من ناحية أخرى.

١ـ الأساس الفكري والعقائدي:

إن هذا الأساس له جانب خاص ومتميز لأنه بعد الأساس الذي يقوم عليه بناء أي جماعة بشرية ومقدار ما يكون هذا الجانب قوياً وواضحاً ومنسجماً وشمولياً تكون الجماعة قوية وقادرة على مواجهة المصاعب والمشكلات والظروف المختلفة.

وقد اهتمت الشريعة الإسلامية قرآناً وسنة بهذا كما وردت من أئمة أهل البيت عليهم السلام توضيح الأفكار والعقائد بأساليب الاحتجاج والمناقشة للأفكار الأخرى، وقد أكد أهل البيت عليهم السلام على أن جميع العقائد الصحيحة قد جاء بها الكتاب الكريم والسنة النبوية وأكدها العقل البشري والفطرة الإنسانية السليمة وقد أكد السيد محمد باقر كما رأى أهل البيت عليهم السلام التكامل بين العقيدة التي ترى أهل البيت يمثلون دوراً يرتبط بالعقيدة بالنظرة الكلية للإسلام.

وقد كانت قضية الإمامة أهم القضايا العقائدية إذ لها بعداً يشبه بعد الرسالة النبوية ومسؤولياتها، باستثناء الوصي لأن الإمام منصوب من قبل الله تعالى كما إن الرسول مبعوث ومرسول من الله تعالى.

كذلك يرى السيد الشهيد الشمولية في العقائد، كما إرساء قواعد المنهج الصحيح في معالجة قضايا الفكر والعقيدة وذلك من خلال التأكيد للحرية الفكرية والعقائدية في المجتمع الإسلامي التي يقوم على أساس:

أ ـ المنطق السليم والوجدان والفطرة الإنسانية الصادقة.

ب ـ الإلتزام بمرجعية.

٢ـ الأساس الأخلاقي:

تمثل الأخلاق الأساس الثاني في بناء المجتمع الإسلامي الصالح، وهي تعبر عن الجانب الوجداني والمعنوي للسلوك الإنساني، والعلاقات الإنسانية التي ترتبط بالعدل والظلم والحسن والقبح والتكامل والتكافل الروحي في المسيرة البشرية من أمثلة ذلك إعطاء الإيمان باللّه تعالى ـ الذي يمثل أهم صفة أخلاقية مجردة والتزامات نفسية محظة الى الممارسة السلوكية والعملية والتطبقية وذلك بتغير الإيمان على أساس أنه حقيقة وماهية تكاملية وذات مراتب ودرجات تتكامل وتتصاعد عن طريق العمل والتطبيق.

٣ـ الأساس الثقافي:

ويأتي هذا الأساس في المرتبة الثالثة في بناء المجتمع الصالح لأنها هي التي يمكن أن ترسم المعالم الصحيحة للجماعة الصالحة، وتمثل الخطوط التفصيلية نسبياً للمضمون العقائدي والأخلاقي والأرضية للبناء الفوقي للمجتمع الصالح كما يمكن بمؤسساتها ومناهجها وآثارها أن تحافظ على بقائها واستمرار هذا البناء بمقدار ارتباطها بالجوانب العقائدية والأخلاقية حيث يصبح هذا الجانب جزء من الثقافة التي تلتزم بها الأمة فالثقافة هي الحصن الحصين الذي يمكنه أن يحفظ للأمة والجماعة عقائدها وأخلاقها من جانب ويمدها بالروح المعنوية العالية من جانب أخر ويمسك جميع أطرافها، ويوحدها في مسارها ومواقفها وأهدافها من جانب ثالث، لأنها تعني بتفاصيل البناء الاجتماعي، وتمد جميع جوانبه وأبعاده بالتصورات والأطر التي يحتاجها سواء على المستوى السياسي او الاقتصادي أو الاجتماعي أو التنظيمي أو الأمني، وعلى مستوى الشكل والمضمون والمحتوى. ومن الممكن تحديد وبناء مشروعين مهمين لترسيخ الأساس الثقافي في بناء المجتمع الإسلامي الصالح.

المشروع الأول: المناهج الثقافية والتعليمية.

المشروع الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية.

إن دور المجتمع الإسلامي الصالح

في مواجهة تحديات العصر، ومن المعلوم أن من سمة هذا العصر هو التطور السريع والمستمر في العلوم لذا كان من الضروري بناء مناهج تعليمية مرنه تصبح ضرورية لمواجة هذا التطور وما يفرضه من مطالب وحاجات جديدة، ومن الأسس والحاجات الاجتماعية المؤشرة في بناء وتطور المنهج هي:

أ ـ الثقافة.

ب ـ الأسرة.

ج ـ المدرسة.

٤ـ وسائل الإعلام:

وبما أن للأساس دوراً مهماً في بناء المنهج، فإن من أبرز واجبات المنهج نحو توظيف هذا الأساس أن يكون المنهج متماشياً مع التطورات العلمية والتقنية التي لا تخالف الشريعة الإسلامية. فإذا روعي ذلك يمكن مجابهة التحديات الجسام الثلاثة:

أ ـ المناهج التعليمية العلمانية.

ب ـ الإعلام الموجه.

ج ـ العولمة ■

---

(١) سورة القمر/ الآية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران/ الآية: ١٥٥.

(٣) سورة إبراهيم/ الآية: ٤.

(٤) سورة يونس/ الآية: ٦.

(٥) سورة الأعراف/ الآية: ٣٢.

(٦) سورة الحجرات/ الآية: ١٣.

(٧) سورة الأعراف/ من الآية: ١٦٠.

(٨) سورة الأنبياء/ الآية: ٩٢.

السيد أبو الحسن الأصفهاني

حكى أحد العلماء وقال: كنت جالساً قرب تل الزينبية وبجانبي رجل واقف، وفي الأثناء وقعت عيني على المرحوم آية الله العظمى السيد أبي الحسن الأصفهاني أكبر مراجع زمانه للشيعة أنه خرج مع مرافقيه من حرم الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. فالتفت إلى الرجل وإذا به انطلق منفعلاً نحو السيد الأصفهاني وهو يقول بصوت عال: سوف أشتمه بئس شتيمة!

وبعد دقائق رأيته عاد باكياً وعليه آثار الخجل والندامة! سألته عن السبب لهذه المفارقة العجيبة بين الموقفين؟

فقال: لقد شتمت السيد حتى باب منزله، وهو لا يرد، وعند الباب توقف وطلب مني أن أنتظره، دخل ثم رجع و بيده مبلغاً من المال، أعطاني ذلك وقال لي: راجعنا لدى كل مضيقة تعترضك، إذ أخشى أن تراجع غيرنا فلا يقضي حاجتك.

ولكن لي إليك حاجة واحدة! وهي أنني أتحمل كل شتيمة موجهة إليّ شخصياً، ولكن أرجوك أن لا تشتم عرضي وأهل بيتي، فإني لا أتحمل ذلك، وأضاف الرجل وهو يرتعش: إن هذه الكلمات التي قالها لي السيد الأصفهاني ـ أعلى الله مقامه ـ تركت أثراً بالغاً في أعماقي حتى كدت أخر إلى الأرض، و هذه دموعي جرت بلا إرادة مني، وإني أشعر برعشة في أعماقي كما تراني.

سياسة التهجير..
عودٌ على بدء

• الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي
أستاذ في الحوزة العلمية

﴿الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ...﴾
سورة الحج: ٤١

ينابيع التهجير من الأساليب التي اعتمدتها القوى الكافرة المتسلطة، في حق الضعفاء من الناس الذين لايجدون حولا ولا قوة في دفع الظلم والأذى إلا الله عزوجل.

ولا نستغرب مما يجري على ساحتنا من هذه الأساليب الحاقدة، التي تهدف إلى إنزال الأذى والظلم يحق شيعة أهل البيت عليهم السلام بأقصى حدوده، لأن لها سابقة في التاريخ الإسلامي، بقيام الطغمة الوثنية المشركة بإخراج الذين آمنوا من ديارهم وأموالهم أو بتصفيتهم جسديا، لأنهم يدينون بالولاء لخط الدعوة الإسلامية، فهجروا عن دورهم وأموالهم بعد التهديد والوعيد، ففروا بدينهم يطلبون مرفأ الأمان والخلاص من الإضطهاد

والملاحقة.

وانتقلت حرب الجاهلية الرعناء ضد القيم الإنسانية، إلى حفيد الشرك الطاغية صدام، ليعود إلى ما بدأته الوثنية من هذه السياسة، وبدافع الحقد والضغينة ضد كل ما خير في وجود الأمة في العراق، ومن نفس المنطلق الذي انطلق منه أجداده.

غاية الأمر، ما كان أسلافه يملكون وسائل الإعلام والدعاية الواسعة، إلا بدعوى أن هؤلاء قد سفهوا أحلامنا وازدروا بآلهتنا، أما هو فقد ألبس هذه السياسة ثوب الدين والوطنية، وراح يحوك الذرائع والمبررات لعملية التهجير بحق المواطنين، ليجعلها مقبولة على الصعيد الدولي، مما أدى إلى صمت الجميع وفي مقدمتهم هيئة الأمم المتحدة، فكانت تلك الذرائع تصب على تهجير الشيعة الى الدولة الجارة إيران، بحجة كونهم تبعية إيرانية، وعلى تهجير الأكراد من دورهم وممتلكاتهم، بحجة كونهم متمردين أو للخوف عليهم من آثار

وخطر التمرد، وعلى تهجير عرب الجنوب الى الشمال بالإغراء بالمنح والمكافأة، بحجة دمج الشعب الكردي والعربي في رقعة وطنية واحدة.

وأما التهجير الأقسى والأمر، فهو تهجير المؤمنين إلى غياهب السجون والمعتقلات، وتغييب الأبناء عن الآباء وبالعكس، حتى قضت مجاميع كبيرة من أبناء الشعب العراقي بين الإعدام والسجن المؤبد.

واليوم تتراجع عجلة الزمن إلى ما بدأه الجاهليون وأحفادهم صدام وأزلامه، لتواصل هذه الذيول القذرة، ومن حالفها من التكفيريين، هذه المؤامرة في حق المؤمنين المستضعفين من أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهم لا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا حرمة مال ولا عرض.

ولا أدري هل خفي على المنظمات الإنسانية والهيئات الدولية والشعوب الإسلامية ما يجري في هذا البلد؟ وهل يخفى ما لهذه العملية من آثار ونتائج ليس على المهجرين فحسب، بل إنها تدخل الآخرين في خرق لكل الضوابط الإجتماعية والشرعية والأخلاقية؟ تتلخص هذه النتائج والمردودات فيما يلي:

١- على المستوى النفسي، فإن الإنسان الذي ألف الموقع الذي ولد وترعرع فيه، وامتزج ماؤه وهواؤه بدمه وعروقه، وامتزجت تربته بعنائه وعرقه ودموعه، يصعب عليه جدا أن مفارقته والتأقلم في بيئة لم يألفها طبعه،فهلا تعرفون ثقل الغربة والإنكسارعلى النفس ؟

٢- على المستوى الاقتصادي، حيث تسلب مقدراته وممتلكاته، وتنقلب عجلة حياته في قاع الفقر والحاجة، وتنغلق في وجهه سبل العيش.

٣- على المستوى الاجتماعي، حيث تتأزم العلاقات والروابط الإجتماعية من خلال استيلاء البعض على ممتلكات البعض ببيع أو شراء، فكم سيكون المردود سيئا على العلاقات؟

٤- على المستوى الأخلاقي، حيث تخرق كافة النواميس والضوابط الشرعية والأخلاقية من قبل الناس الذين لايهمهم من أين اكتسبوا المال وحازوه، إما جهلا بالموقف الشرعي وإما تجاهلا وتعديا للأحكام الشرعية والأخلاقية، فيحوزون المال كما يحوزون غنائم الحرب.

فيا أيها العالم المتحضر، ويا أيتها المنظمات الإنسانية والحقوقية، ويا

أيها القادة السياسيون، خطوة إلى الأمام لعلاج هذه الكارثة، التي لا تقل خطرا عن كوارث الطبيعة والزلازل والأعاصير، بل الكوارث الطبيعية أرحم، لأنها تصب في خط الحكمة الربانية التي لاتعرف الظلم، أما الإنسان الظالم الكفار، فهو الذي لايرحم ولايرعوي لعقل ولا حكمة، بل حتى الموت الذي جعله الله تعالى على الخلق حتما مقضيا، لا ينزله الله عزوجل بأحد من الناس إلا بعد أن يجعله على قناعة واستعداد لتقبل هذا الحدث، أما آن لكم أن تردعوا كل جبار أشر لايؤمن بيوم الحساب، وتنتصفوا للمظلوم من الظالم حقه؟ نرجو أن لايتداوى الداء بالداء فيعاد المهجرون بلا ضمان لأمنهم وحمايتهم من وحوش الظلام وأعداء النورونبذة الحق وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم عجل لنا دولة الحق والعدل بظهور وليك الموعود إنك سميع الدعاء ■

الشفاعة

عن الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل».

أمالي الصدوق ص:٥٦

الإمامة

في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

• مهدي عابدين

ينابيع يطل هذا البحث على موضوع الإمامة من خلال التمييز بين طريقين ينطلق كل منها من نظام فكري يختلف عن الآخر ومن ثم يفرز كل منها مفهومه الخاص به.

الطريق الأول يتعامل مع الإمامة كمفهوم سياسي بحيث لا يتعدى معنى الخلافة أو القيادة السياسية للأمة ويجردها من أبعاد علمية ووجودية ومعنوية.

أما الطريق الثاني فيتعامل وإياها على أساس شامل يتعدى البعد السياسي من دون إلغاءه ليلتقي مع الأفق القرآني الواسع من حيث أراد لها الإسلام أن تكون ظاهرة وجودية دائمة في نظام الهداية بحيث تحتاج إليها الإنسانية على مدار الزمن ولا تخلو منها الأرض أبداً. والمقصود بالطريق هنا هو نظام التفكير وبالتالي فنحن أمام نظامين فكريين مختلفين.

النظام الأول وهو يُقصر الإمامة على البعد السياسي في قيادة الدولة إنما يفرغها من مدلولها القرآني في حين يتعاطى معها النظام الفكري الثاني بكامل أبعادها القرآنية فيما تنهض به دور وجودي وقانون في الهداية لا يعقل تخلفها وظاهرة دائمة تلازم (الخليقة) إلى أن تبلغ الإنسانية

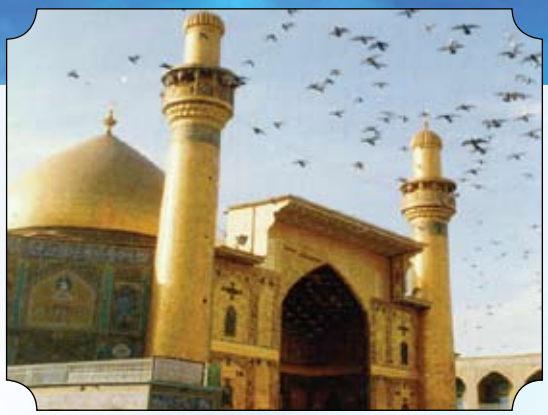

كما لها الدور المنشود بتحقق الغاية من وجود الإنسان ومن بعث الأنبياء والرسل.

وهنا لابد من الإشارة في هذا البحث الذي لا يتسع في بيان تفاصيل هذه النظرية القرآنية، إلا أن هناك سبيلين لفهم هذه الحقيقة القرآنية يختلف أحدهما عن الآخر في ترتيب الآثار والنتائج.

السبيل الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة المباركة لنرى بيانهما عن حقيقة الإمامة وشرائطها.

السبيل الثاني: تحديد المسؤوليات الأساسية التي ألقيت على عاتق النبي والإمام ثم الالتزام بالشرائط اللازم توفرها في الشخص المسؤول عن ذلك من خلال معرفة حدود الوظائف والمسؤوليات التي تقع على عاتق الإمام للنهوض بها.

ومن الواضح أن الآيات القرآنية الكريمة والروايات الواردة عن النبي الأكرم ﷺ تؤكد استمرار ظاهرة الإمامة والخلافة وعدم انقطاعها ويمكن الاستدلال في إثبات هذه الحقيقة من خلال الآيات والروايات ثانياً.

المسار الأول:

أولاً: الآيات القرآنية:

قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) البقرة: ٣٠.

يتضح أن الآية المباركة قد أشارت إلى الحقيقة الأولى المتمثلة بكون هذا الخليفة (أرضي) وهو موجود في كل زمان بدلالة قوله (جاعل) وكون الخبر على صيغة (فاعل) يعتبر بمنزلة الفعل المضارع يفيد الدوام والاستمرار مضافاً إلى أن الجعل في اللغة له استعلامات متعددة منها (تصيير الشيء على حالة دون أخرى)[1] كما يذكر ذلك الراغب في المفردات وأكدته جملة من المفسرين كالرازي في تفسيره الكبير[2] وعند مقارنة هذا الجعل بما يناظره في كثير من الموارد في القرآن الكريم نجد انه يفيد السنة الإلهية كما في قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) الأعراف ١٧٩، ونحوهما.

أما الحقيقة الثانية فتتمثل بكون هذا الخليفة ليس هو مطلق الإنسان وإنما المقصود به إنسان بخصوصه بقرينة الآيات اللاحقة التي أثبتت أن هذا الكائن الأرضي استحق الخلافة الإلهية لأنه علّم الأسماء كلها بالمباشر منه تبارك وتعالى (وعلّم آدم الأسماء كلها) ثم أصبح بين الله تعالى وبين ملائكته (يا آدم أنبئهم بأسمائهم).

من الواضح انه لا يمكن أن يراد به كل إنسان حتى أولئك الذين وصفهم

تبارك وتعالى بقوله (أولئك كالأنعام بل هم أضلّ) إذن فهذه الآية مما تدل على ضرورة استمرار الخلافة الإلهية.

الآية (١٢٤) (سورة البقرة) قوله تعالى: (إني جاعلك للناس إماماً) وهذه الإمامة هي غير النبوة والرسالة التي كانت لإبراهيم الخليل عليه السلام والشاهد على ذلك يتمثل بـ:

- طلب إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته (ومن ذريتي) ومن المسلم به أن حصول إبراهيم عليه السلام على الذرية كان في شيخوخته وكبر سنه (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل واسحق) وكذلك إخبار الباري عز وجل عن زوجته: (قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب) (هود ٧٢) ولا يصح طلب الإمامة إلا من كان عنده ذرية، أما من كان آيساً من الوالد ويجيب مبشريه بقوله (أبشرتموني على أن مسني الكبر فيم تبشرون) (الحجر: ٥٤). فلا يصح والحالة هذه أن يطلب أي شيء لذريته.

- أن قول الله تبارك وتعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربهُ بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً) (البقرة: ١٢٤) يدل بوضوح أن هذه الإمامة الموجودة به كانت بعد ابتلائه بما ابتلاه الله تعالى به من الامتحانات ومن أوضحها قضية ذبح إسماعيل عليه السلام قال تعالى (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) إلى أن قال: (إن لهذا لهو البلاء المبين) (الصافات: ١٠٦)[٣].

وأكدت هذا جملة من الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث يطول بيانه يقول الإمام (وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال تعالى (إني جاعلك للناس إماماً)[٤].

وهذه الإمامة التي تثبت لإبراهيم عليه السلام طلبها لذريته من بعد حيث قال (ومن ذريتي) وقد استجاب الله تعالى دعاءه ولكن لم يجعلها في الظالمين من ذريته إنما في غيرهم. وقد ذكر الرازي في موضوع هذه الآية [(ومن ذريتي) طلب الإمامة التي ذكرها تعالى فوجب أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال فتصير الآية كأنه تعالى قال (لا يَنالُ الإمامةَ الظالمون وكل عاصٍ فانه ظالم لنفسه) فكانت الآية دالة عَلى ذلك القول. أما الشيعة فيستدلون بهذه الآية على صحة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً وأما نحن فنقول (القول للرازي): مقتضى الآية ذلك إلا انا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة][٥].

إن استجابة دعاء إبراهيم في ذريته لا يختص بذريته المباشرين فقط بل شامل لجميع ذريته شريطة ترفعه عن الظلم، وهذا ما أكدته أحد النصوص الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام في مورد الإمامة بقوله (إنّ الإمامة خصَّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: (إني جاعلك للناس إماماً) فقال الخليل عليه السلام سروراً بها (ومن ذريتي) قال الله تبارك وتعالى (لا ينال عهدي الظالمين) فأبطلت هذه إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمهُ الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة

والطهارة فقال: (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (الأنبياء ٧٣) فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (البقرة ٦٨) فكانت له خاصة فقلدها علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين أتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) (الروم ٥٦) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة)[٦].

وقوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون❖ إلا الذي فطرني فانه سيهدين❖ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) (الزخرف ٢٦-٢٨).

فقد ذهب قسم من المفسرين إلى ان الكلمة الباقية في عقب إبراهيم الخليل عليه السلام هي كلمة التوحيد إذ رفعته هذه الآية وبرئته مما يعبد قومه واتجاهه نحو الذي فطرهُ[٧]. فقد جعل الله تعالى التوحيد في ذريته وعقبه ولا تخلو ذريته من الموحدين ويذكر السيد كمال الحيدري أن جميع المعاصي نوع بل مرتبة من مراتب الشرك بالله تعالى[٨] والتوحيد الذي جعله الله تعالى باقياً في عقب إبراهيم عليه السلام لابد أن يكون التوحيد الحقيقي الذي يستحق كل هذه الإشادة وإلا فلا يمكن أن يريد به التوحيد الذي وصفه تعالى بقوله (وما يؤمن أكثر بالله إلا وهم مشركون) (يوسف ١٠٦).

إن ظاهر الآية الذي يشير إلى بقاء التوحيد في عقب إبراهيم عليه السلام هو التوحيد الذي لم يخالطه أدنى شرك بالله العظيم هو التوحيد الإبراهيمي. إذن هناك من يتحلى بهذا التوحيد الحقيقي ممن ناله عهد الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه السلام وبقاء الإمامة التي جعلها الله تبارك وتعالى لخليله ببقاء تلك الكلمة المباركة في عقبه وذريته[٩].

وقد جاءت جملة من الروايات ما يؤكد أن هذه الكلمة الباقية في عقبه عليه السلام هي الإمامة عن أبي هريرة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تبارك وتعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال: (جعل الإمامة في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة من الأئمة ومنهم مهدي هذه الأمة)[١٠].

- آية الولاية: وهي قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون...) (المائدة ٥٥) يجمع المفسرون على نزول هذه الآية الكريمة في حق الإمام علي عليه السلام ورواه أكثر من حفاظ الحديث عن علي عليه السلام وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وأبي رافع وأخرجه الخطيب في المتفق وابن مردوية في مسنده والقندوزي الحنفي في ينابيعه وإسحاق النيسابوري في تفسيره وقد نقل إجماعهم هذا وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند عن عمار بن ياسر قال: وقف سائل على علي بن

آمن الرسول

أبي طالب وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وقال السيوطي في اللباب: قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...). وقال الواحدي في أسباب النزول: إن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب لأنه أعطى خاتمه سائلاً وهو راكع، وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فنظر سائلاً فقال صلى الله عليه وآله: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم، فقال صلى الله عليه وآله: من أعطاكه؟ قال: ذاك القائم وأشار بيده إلى علي عليه السلام. فقال صلى الله عليه وآله: على أي حال أعطاكه؟، قال أعطاني وهو راكع فكبر رسول الله ثم قرأ: (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم المفلحون).

وورد عن الأمام الصادق عليه السلام كما رواه عبد الأعلى، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة ؟ قال: نعم هم الذين قال الله عز وجل فيهم: (إنما وليكم الله ورسوله...).

ثانياً: الأحاديث النبوية:

- روايات عدم خلو الأرض من قائم الله.

ورد الكثير من مضمون الحديث لا تخلوا الأرض بعبارات مختلفة في كلام أعلام الفريقين كابن قتيبة في عيون الأخبار وتاريخ اليعقوبي والأندلسي في عقده الفريد والمكي في قوت القلوب والخطيب البغدادي في تاريخه والإسكافي في المعيار والموازنة وفي محاسن ومساوئ البيهقي وغيرهم.

يذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج (كي لا يخلوا الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده وسيطر عليهم وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الأمامية، إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الإبدال[11].

أما في مجاميع الحديث الشيعية فقد وردت من الروايات المؤكدة لهذه الحقيقة (إن الأرض لا تخلوا من حجة الله تعالى وإنها لو خلت لساخت بأهلها. وقد صنفها العلامة المجلسي في بحار الأنوار حتى بلغت زهاء (١٢٠ رواية) متضمنة هذه الحقيقة أو ما يقارب منها فمثلاً:

عن الصادق عليه السلام: (لولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها... ثم قال ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلوا إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها).

وعن الصادق عليه السلام أيضا قال: (لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة).

- حديث: (من مات ولم يعرف إمام زمانه).

روايات متعددة بمثل هذا الحديث أو ما يقرب من مضمونه مثل (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) أو (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية) أو (من مات وليس عليه إمام فان موته موتة جاهلية) وتناقلت كتب الحديث السنية فضلا عن مجاميع الحديث الشيعية هذا الحديث بألفاظ مختلفة ولكن من الصعوبة بيان مثل هذا البحث

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترع الجنة»

كامل الزيارات ص: ٤٥٦

المتواضع بقصره أن نحيط بكل ما نقل ويكفي الإشارة إلى ما نقله البخاري في صحيحه ومسلم وأحمد بن حنبل وابن حبّان والطبراني والحاكم وأبي نعيم وابن الأثير والطيالسي والدولابي والبيهقي والسرخسي وابن أبي الحديد والنووي والذهبي وكثير غيرهم. ولابد من الإشارة هنا حتى لا يدخل الإشكال في أذهان البعض على أن الجملة من هذه الروايات في مثل هذه البحوث ضعيفة السند على اعتبار أنها أخبار آحاد وإنما هي الكثرة بمكان بنحوٍ أما أن تكون متواترة أو قريبة التواترً فلا ريب في حصول الاطمئنان للمنصف في صدور كثير من هذه الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

المسار الثاني:

بعد أن ثبت في المبحث السابق أن الإمامة ظاهرة مستمرة غير منقطعة فلابد للوقوف على أن الأئمة هل ينحصر عددهم في حد معين أم لا؟ تبنى أتباع أهل البيت عليهم السلام حصر عدد الأئمة باثني عشر إماماً شيعياً لما بين أيديهم من الروايات الصحيحة الدالة على ذلك. وهنا قد يثار إشكال على هذا الحصر مؤداه أن هؤلاء إنما اضطروا إلى ذلك لأسباب تاريخية وسياسية ونحوها وإلا فان مقتضى ما تقدم من البحث في المسار الأول هو استمرار الإمامة وعدم الوقوف عن حد معين. غير أن إثارة مثل هذا الإشكال أمر غاية في الغرابة خاصة ممن يدعي انه يريد الوقوف

على بحوث مثل هذه من خلال الموازين العلمية بالبحث والتدقيق وذلك عند الرجوع إلى صريح القرآن الكريم الذي يعبّر عن الرسول صلى الله عليه وآله بأنه: (وما ينطق عن الهوى❖ إن هو إلا وحي يوحى) (النجم ٣-٤) ويقول في حقه: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل❖ لأخذنا منه اليمين❖ ثم لقطعنا منه الوتين) (الحاقة ٤٤-٤٦). ثم رتب القرآن الكريم على ذلك وجوب الأخذ منه صلى الله عليه وآله حيث قال: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوه) (الحشر٧). وتأسيساً على ذلك كله بين دور الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون) (النحل ٤٤). وهكذا قام رسول الله صلى الله عليه وآله ببيان ما أمر بإبلاغه للناس، لذا يقول الإمام الرضا عليه السلام: (إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة. وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمضِ صلى الله عليه وآله حتى بيّن لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيله وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيّنه فمن زعم أنّ الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ومن ردّ كتاب الله فهو كافر)[١٢].

والواضح إن أهم ما ينبغي في أمر الإمامة التي بها كمال الدين وتمام النعمة بل هي التي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: (يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) (المائدة ٦٧)، بعد أن بيّن صلى الله عليه وآله دوامها وعدم انقطاعها هو بيان عددهم وتعيين أشخاصهم وهذا ما نحاول الوقوف عليه. إنَّ الروايات التي ذكرت أن الخلفاء بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هم اثنا عشر قد تصل إلى ما يتجاوز (٢٧٠) رواية من طرق الفريقين[١٣]. ولعله كان من ذلك كثير كما ورد في الجزء الثاني من (معجم أحاديث الإمام المهدي)، وكنموذج على ذلك فقد خرج مضمون هذا الحديث كل من البخاري في صحيحه ومسلم واحمد في سنده والترمذي في سننه وأبي داود والمعجم الكبير للطبراني وحلية الأولياء ومستدرك الحاكم ومشكاة المصابيح للتبريزي والسلسلة الصحيحة للألباني والصواعق المحرقة لابن عبد ربه وتاريخ الخلفاء وكنز العمال وغيرهم كثير ممن خرج مضمون هذا الحديث أن الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر وأنهم في قريش أو من أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذه الروايات: أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمره قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يكون اثنا عشر أميراً - فقال كلمة لم أسمعها - فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش[١٤] وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا خليفة كلهم من قريش)[١٥].

ويقول ابن حنبل في مسنده مسروق قال: كنا جلوس عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وآله كم

يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني أحد عنها منذ أن قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم ولقد سألنا رسول اللهﷺ فقال: (اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل)[١٦]. بالإضافة إلى العشرات من المصادر الشيعية.

تمتاز هذه الروايات التي وردت بهذه الكيفية وهذا العدد من الطرق والأسانيد من الصدر الأول إلى يومنا هذا بمجموعة من المميزات والخصوصيات هي:

أولاً: هذه الروايات لا يستطيع أحد أن يتهم أتباع أهل البيت عليهم السلام بوضعها واختلافها بعد إيمانهم بان عدد الأئمة اثنا عشر، وذلك لورودها في أهم الكتب السنية (الصحاح والمسانيد) قبل ذكرها في المصادر الشيعية وان كثير من طرقها تعد موثوقة لديهم حسب الميزان الرجالي عند إخواننا مضافا إلى هذا العدد ذُكرَ قبل أن يكتمل عدد الأئمة عند أتباع مَدرسة أهل البيت عليهم السلام، فالبخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام والإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وفي ذلك مغزى كبير لأنه يبرهن على أن هذا الحديث قد سُجِّل عن النبيﷺ قبل تحقيق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر وهذا لا يدع مجالا للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشر وانعكاساً له لأن الأحاديث المزيفة التي تنسب إلى الرسولﷺ هي انعكاسات وتبريرات لواقع متأخر زمنيا لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي يشكل انعكاسا له.

الحديث المذكور قد سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى، فقال إن الخلفاء بعدي اثنا عشر، وجاء الواقع الإمامي الاثنا عشري ابتداءً من الإمام عليعليه السلام انتهاء بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذاك الحديث النبوي الشريف[١٧].

ثانياً: أن العدد الكبير من هذه الروايات ومن طرق الفريقين شبّهت هؤلاء الأئمة والخلفاء بنقباء بني إسرائيل كما في رواية أحمد والنيسابوري وغيرهما فعند الرجوع إلى رواية احمد عن مسروق عندما سئل عبد الله بن مسعود عن عدد من يملك هذه الأمة من خليفة طبقاً لما ذكره رسول اللهﷺ فقال ابن مسعود: (اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل) وفي رواية أخرى لابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: (يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى)[١٨].

وقد وردت عشرات الروايات في المصادر الشيعية التي تؤكد الحقيقة السابقة وشبّههم بأنهم عدة نقباء بني إسرائيل أيضاً[١٩].

ومقتضى هذا التشبيه بنقباء بني إسرائيل أن يكون هؤلاء الأمراء معنيون بالنص لقوله تعالى: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيباً). (المائدة ١٢). وعلى هذا الأساس لا يمكن الوقوف على هؤلاء الخلفاء والأئمة من خلال اختيار الأمة أو انتخاب أهل الحل

والعقد لهم بل لابد للرجوع إلى من لا ينطق عن الهوى للتعرف عليهم والوقوف على أشخاصهم.

ثالثاً: أن هذه الروايات افترضت لهم الدوام والبقاء ما بقي الدين الإسلامي أو حتى قيام الساعة كما هو مقتضى هذه الرواية التي ذكرت في مسند احمد قال: قال رسول اللهﷺ: (لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش)، وأوضح من ذلك وأكثر صراحة في روايته الأخرى عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: (لا يزال الأمر قائماً ما من بقي الناس اثنان، قال وحرّك إصبعيه يحركهما هكذا)[٢٠].

رابعاً: أكدت جميع هذه الروايات إن هؤلاء الأئمة أو الخلفاء من قريش بالإضافة إلى وجود العدد الكبير من الروايات ما أظهرت خصائص أخرى لهؤلاء الخلفاء أو الأئمة إلا أنها لم تأت في المصادر السنية، خصوصاً وان النبي الأعظمﷺ في مواضع متفرقة كان يؤكد هذه الحقيقة بنحوٍ لم تدع مجالاً للمحقق المنصف أن يشكك في مضمون هذه الروايات وإن حاول ابن تيمية التشكيك كما هي عادته في مثل هذه المواضع وعدم ترجيحه حصر الأئمة في عدد معين بقوله: (لم يوقف ولاة الأمر في عدد معين)[٢١] وذهب إلى توجيه هذه الأحاديث بما يتلاءم مع الواقع التاريخي بعد رسول اللهﷺ فقد ذكر الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعه!! معاوية! وابنه يزيد ثم عبد الملك طريد رسول الله وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام ما هو باقٍ إلى الآن. (هذا ما نقل عن دراسات في منهاج السنة الصفحة ٣٩٤. أي حسب رأيه أن يزيد وأولاد عبد الملك بن مروان هم من بشّر الله إسماعيلعليه السلام في التوراة بأنهم العظماء الذين سيولدون له!! أما أمثال الحسن والحسينعليهما السلام اللذين هم سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله - بنص الفريقين من علماء المسلمين - فليسوا من أولئك العظماء الذين بشر بهم إسماعيلعليه السلام بل حتى الإمام عليعليه السلام ليس من المقطوع به أنه من الخلفاء الاثني عشر كما يعتقده بن تيميه.

ولقد أحسن القندوزي الحنفي عندما أجاب على مثل هذه الأقوال بقوله (قال بعض المحققين: أنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعدهﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان عُلِمَ أنّ مراد رسول اللهﷺ في حديثه هذا أنّ الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم عن اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز ولكونهم غير بني هاشم لأن النبيﷺ قال: (كلهم من بني هاشم) في رواية عبد الملك بن جابر وإخفاء صوتهﷺ يرجح هذا القول لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم)[٢٢].

وهنا يُثار تساؤل، من هم هؤلاء الخلفاء والأئمة؟ وبرغم الاهتمام الخاص الذي أولاه الرسولﷺ لبيان هذه الحقيقة

من خلال هذا الكم الكبير من الروايات التي بيّنت أنّ الخلفاء من بعده اثنا عشر وهذا ما لا يمكن قبوله في سيرة الأصحاب حيث تؤكد الوقائع التاريخية أنهم كانوا يهتمون بكلّ صغيرة وكبيرة من أمر هذا الدين بل كانوا يسألون عن أمور لا تهمّهم لذا أنزل قوله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) (المائدة: ١٠١)، ولَرُبَّ قائل يقول إنهم يسألون الرسولﷺ ولكن الرسول لم يهتم ببيان ذلك لهم وهذا لا يمكن لأنه على خلاف ما صرّح به القرآن نسبة إلى رسول اللهﷺ حيث قال: (وما هو على الغيب بضنين) (تكوير: ١٠)، بل مأمور بيان ما نُزّل من الأمر الإلهي، (لتبين للناس ما نُزّل إليهم) (النحل: ٤٤) خصوصاً إن الأمر يرتبط بكمال الدين بل بأساس الدين لقوله تعالى: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (المائدة: ٦٧).

أما الرأي الراجح إنَّ الأصحاب سألوا من خلال تعدد البيانات واختلاف المواقع لكن السلطة الحاكمة حالت دون ذلك ومنعت تدوين الحديث، بل أمرت بإحراق كل ما كُتبَ في هذا المجال ونهت عن تدوين ما في صدور الأصحاب، إنَّ السلطات الحاكمة وإعلامها عملت بكل ما في وسعها من أجل طمس الحقائق التي لا ترتضيها ولا تصب في مصالحها كما تجسد ذلك بوضوح بالنسبة للإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام أقرب الصحابة لرسول اللهﷺ علماً وعملاً حيث سنَّ لعنه على منابر المسلمين ولعشرات السنين ولم يمض على رحيل الرسولﷺ إلا ثلاثين عاماً.

فإذا كان باستطاعة هذه السلطات كتمان الحقيقة وتشويهها وإيصال الأمة إلى هذا المستوى من الجهل بأقرب الصحابة إلى رسول اللهﷺ فإن بإمكانها إخفاء الحقيقة بالأئمة الاثني عشر بحيث تصبح تلك الحقائق القرآنية المسلَّم بها غير واضحة في أذهان المسلمين فيقع بينهم حتماً.

المسار الثالث: تعيين الأئمة بالاسم.

إنّ مقتضى القاعدة عندما يصرح الرسول الأعظمﷺ بأن خلفاءه من بعده اثنا عشر لابد من ذكرهم مباشرة أو بعد أن سئل على أقل تقدير وهذا ما موجود بصراحة في التراث الإمامي الاثني عشري الذي أوضح هذه الحقيقة بجلاء.

عن سلمان الفارسيرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: (إنَّ الأئمة بعدي اثنا عشر)، ثم قال: كلهم من قريش ثم يخرج قائمنا فيشفي صدور قوم مؤمنين، ألا أنهم أعلم منكم فلا تعلّموهم، ألا أنهم عترتي ولحمي ودمي، وما بال أقوام يؤذونني فيهم، لا أنالهم الله شفاعتي[٢٣].

وعن أبي ذررضي الله عنه عن النبيﷺ في حديث طويل وفيه: (... وبعلها سيد الوصيين وابنيهما الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأنهم إمامان إن قاما

وإن قعدا وأبوهما خير منهما وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومين قوامين بالقسط ومنا مهدي هذه الأئمة قال أبو ذر رحمه الله: يا رسول الله فكم الأئمة من بعدك؟ قال عدد نقباء بني إسرائيل)[٢٤]. وما هذا الذي ذكرته الأحاديث ينسجم مع المميزات التي مرّ ذكرها في المسار الثاني وهي أنهم اثنا عشر وأنهم معينون بالنص وموجودون ما بقي الدين قائماً وكلهم من قريش وبهذا تجد تلك الروايات تفسيرها الصحيح. غير أنَّ حديث الثقلين يعطينا ضابطاً يمكن من خلاله معرفة خلفاء النبي صلى الله عليه وآله حيث عدَّ المقياس فيهم عدم افتراقهم عن القرآن الكريم حتى يردا عَليّ الحوض طبقا لما تضمنه حديث الثقلين الذي أبرز اقتران العترة المباركة بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن البداهة أن صدور أي مخالفة للشريعة عمداً أو سهواً أم غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال والحديث شديد الصراحة في عدم افتراقها حتى يردا الحوض بأي حال من الأحوال.

كما يبرز الحديث دلالة تميز العترة المباركة بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة لاقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام: ٣٨)، لذا ورد عنه صلى الله عليه وآله: (لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم)، وتميزوا عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وخلاصة القول إن هذا الحديث يثبت ضرورة عصمة العترة مضافاً إلى عشرات النصوص القرآنية والروايات الصحيحة التي تؤدي هذا الغرض.

الخاتمة

في ختام هذا البحث على قصره وعجالته لا أجد كلمة أختم بها أبلغ من حديث الإمام الرضا عليه السلام يصف بها الإمامة باعتبارها منصب إلهي يصطفي لها من يشاء من عباده (إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي... إلى أن يقول: أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلى الله عليه وآله، كذّبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزل إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بعداً ولقد راموا صعباً وقالوا أفكاً وضلوا ضلالاً بعيداً وأن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ونظير هذه الأقوال كثير في كلام الأئمة عليهم السلام ولعل قائل يقول أن السلطات الحاكمة وبما تملك من وسائل القمع بوسعها القضاء على هذه المعارضة بدعاواها العريضة

بأيسر الطرق وذلك بتعريض الأئمة لامتحان عسير في ما تملكه عصورهم من علوم ومعارف بالأخص ما يتصل بغوامض التشريع والفقه ليسقط دعاواها في الأعلمية أو تعريضهم لاختبارات في الأخلاق والسلوك ليسقط دعاؤهم في العصمة وإذا كان في كبار الأئمة منهم علم وعصمة نتيجة طول الخبرة والدراية فما بال ابن العشرين أو حتى ابن الثمان فهل للوسائل تعليلاً لتمثلهم ذلك كله وفوق هذا فهم مصرحون بالفكر والسلوك تجاه السلطات وغيرها من الخصوم في الفكر. ولقد حدث المؤرخون عما أراده الحكام من صنع الاحراجات وبخاصة مع الإمام الجواد عليه السلام مستغلين صغر السن عند توليه الإمامة وتتكرر المواقف المحرجة تبعاً لتكرر الحاجة إليها. واعتقد أن في هذه الاعتبارات التي ذكرت ما يغني عن استيعاب كل ما ذكر في تشخيص المراد من أهل البيت عليهم السلام والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الميامين الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً ■

(١) المفردات غريب القرآن، مادة (جعل) ص٩٤.
(٢) الجزء الثاني ص١٦٥ تفسير الرازي.
(٣) الميزان القرآني الجزء الأول ص٩٤.
(٤) الأصول من الكافي الجزء الأول ص١٧٤.
التفسير الكبير للرازي الجزء الرابع ص٤٢.
(٥) الأصول من الكافي رباب فضيل الإمام وصفاته ج١ ص١٩٩.
(٦) البيان جزء ٩ ص١٩٣ الكشاف للزمخشري ج٤ ص٢٤٦ التفسير الكبير للرازي ج٢٧ ص٢٠٨ الميزان للطباطبائي ج١٨ ص٩٦.
(٧) كتاب العصمة للسيد كمال الحيدري.
(٨) كتاب المصدر السابق.
(٩) كفاية الأثر ص٨٦.
(١٠) الصواعق المحرقة ص١٤٨.
(١١) الأصول من الكافي الجزء الأول ص١٩٩ باب فضل الإمام وصفاته.
(١٢) منتخب الأثر للمحقق الصافي ط٣ ص١٠
(١٣) منتخب الأثر للمحقق الصافي ط٣ ص١٠.
(١٤) التجاري ج٤ ص١٦٤.
(١٥) صحيح مسلم جزء ص١١٩.
(١٦) بحث حول المهدي ج٥ ص٩٠.
(١٧) كنز العمال ج١٣ ص٢٧.
(١٨) معجم أحاديث الإمام المهدي للسيد محمد باقر الصدر ص٥٤.
(١٩) مسند احمد ج٢ ص٢٩.
(٢٠) منهاج السند ابن تيمة جزء ٣ ص٣٨١.
(٢١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣ ص١٠٥.
(٢٢) كفاية الأثر ص٤٤.
(٢٣) كفاية الأثر ص١١٣.
(٢٤) كفاية الأثر ٣٦.

عليكم بأهل بيتي

قال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله موعظة ذرفت العيون، ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودّع، فما تعهد إلينا؟

قال صلى الله عليه وآله: «**لقد تركتكم على الحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ بعدها إلا هالك، ومن يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي، وسنة الخلفاء الراشدين من أهل بيتي، فعضوا عليهم بالنواجذ، وأطيعوا الحق ولو كان صاحبه عبداً حبشياً، فإن المؤمن كالجمل الألوف حيثما قيد استقاد**».

إرشاد القلوب ج:١ ص:٣٧

المشهد الكاظمي في بغداد

العتبة المقدسة..
وعمارة الموت التي كرست الحياة

• د. علي ثويني
معمار وباحث في شؤون العمارة الإسلامية
ملكة السويد

ينابيع العتبات المقدسة هي إحدى صور التواشج بين العمارة والعقيدة الدينية، وهي طرق بشري غريب لمقابر تدب حولها الحياة والحضارة، على حساب المدن العامرة التي أنشأت على تخومها، حتى تفوقت عليها. وهي ممارسة معمارية مقترنة بالتبجيل والحضوة أكتسبتها مراقد الائمة من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى سمت تلك الآصرة بالعمارة وشجونها الى الذروة، وأقحمت في حيثياتها عاطفة جمالية للمكان والعمائر، كان فيها للحجوم ونوازع الصرحية واللون والشكل والملمس وبهرج الخامات ونفيسها دور في تكريس سطوتها على النفوس.

والعتبات؛ مفردها عتبة وتعني في اللغة أسكفة الدار، وهي الخشبة التي توضع بين يديه ويوطأ عليها. والأصل في إطلاق هذه الكلمة على المساجد المعظمة لدى المسلمين، حيث أن الناس عظموا عتبات أبواب قصور الملوك والأمراء وعظماء الرجال وأعيان المجتمع احتراما لمن يقيم بها. و يقول الباحث العراقي جعفر الخليلي (ت: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م) في كتابه (العتبات المقدسة): (ولم يزل للآن، البعض من قبائل العراق حين يريد أن يلوذ لاجئاً بزعيم أو كبير من رجال القوم يعمد إلى باب مضيفه أو داره فيشد نفسه إليه ويقبل عتبته). وقد انتقل هذا المدلول المادي إلى المفهوم الديني الراهن.

وشاعت ظاهرة المدن المقامة حول القبور في العمران الإسلامي قاطبة، بما نسميه (المدن المشهدية)، حيث يحدث بعد دفن إحدى المبجلين في جبانة المدينة، والتي تقع في العادة على تخومها، فيتطور الأمر، ويستقطب القبر زوارا وسدنة ومقيمين للخدمة. لتشاد حوله بؤرة حضرية، لم تنفك تتسع حتى تصل مصاف الحواضر. وحدث الأمر تكراراً في المدائن العراقية فالنجف ولدت فسيلة للكوفة ثاني مدن الإسلام وطغت عليها، وسامراء الحالية أقيمت فوق مقبرة المدينة العباسية، ومدينة الزبير نضجت على مقبرة البصرة،

وأخيراً الكاظمية شيدت على تخوم بغداد الزوراء.

والكاظمية في الأصل مقبرة سجى بها القريشيون من العباسيين وغيرهم، وأطلقوا عليها أسم (مقابر قريش) أو (مقابر الهاشميين)، وأول من دفن بها عام١٥٩هـ/ ٧٦٧م جعفر ابن الخليفة البكر أبو جعفر. وتقع إلى الشمال من المدينة المدورة التي موضعها اليوم يكون في حي (العطيفية). ويحيط بالكاظمية من ثلاث جهات البساتين الكثيرة، ومن الجهة الرابعة تحيط بها المستنقعات ومعامل الطابوق (الآجر)، ومع أن المدينة لا تبعد عن شاطئ دجلة الأيمن إلا كيلومتر واحد، فإن اتجاه العمران يبتعد عن النهر كلما تقرب النهر إليها، بخلاف ما يجري في مدينة الأعظمية القائمة قبالتها.

وكانت تربطها بالعاصمة بغداد طرق مواصلات في النهر والبر، كان آخرها قبل التوسعات الحديثة سكة حديد، أنشأها مدحت باشا عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م) ومكثت حتى العام (١٩٤٦م). وفي نحو سنة (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) أمر المشير هدايت باشا قائد الفيلق العسكري التركيّ السادس في بغداد بعمل جسر من الخشب عائم على نهر دجلة، يربط بين الكاظمية والأعظمية، وبذلك ارتبطت الكاظمية بالجانب الشرقي من بغداد أيضاً. وفي سنة (١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠) تمّ وضع حجر الأساس لبناء سراي الكاظمية. واحتلّ الجيش البريطاني مدينة الكاظمية في السابع عشر من جمادى الأُولى سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، فطُويت صفحة احتلال عثماني طويل لتبدأ صفحة احتلال آخر، ثم آخر حتى اليوم. وقد اتسعت المدينة وأمست من أحياء بغداد الراقية، شوارعها الحديثة عريضة، وبناياتها تجمع بين الحداثة والقدم، ومازالت تحتفظ بسجية المدينة الإسلامية القديمة في بعض أحيائها كأم النومي والبحية والأنباريين والكنجلي.

والتسمية (الكاظمية) منسوبة برمتها إلى الإمام موسى بن جعفر الصادق المكنى بـ(الكاظم) لشدة كظمه للغيظ، وبينها وبين الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) ثلاثة أميال، ومسجدها الذي يحتضن ضريحي الإمامين الكاظم والجواد، لا يعرف بداية بنائه، سوى أن الطائع العباسي (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٣-٩٩١م) صلى الجمعة إماماً فيه أكثر من مرة.

وموسى الكاظم هو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ويأتي ترتيبه الإمام السابع في سلسلة الأئمة الاثنى عشر لدى الشيعة. يقول عنه ابن شهرآشوب: كان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله وأفصحهم لساناً، سليل النبوة وعقيد الخلافة. تضايق هارون الرشيد من مكانته في الناس وإعراضه عنه، ووشى مسرور به إلى الرشيد الذي أمر السندي بن شاهك (الفارسي) بحبسه فحبسه وجعل على حبسه أخته الورعة، فكانت إذا رأته قالت: (خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح). مكث في السجن أربع سنوات ومات بالسم الذي دسه له

السندي، ولخوف السلطة من اثر فعلتها وضعت جنازته على الجسر الرابط بين الكرخ والرصافة (موضع جسر الشهداء اليوم) ليراها الناس ويصدقوا بموته وكونه طبيعياً، ودفن في الكاظمية سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م، ويقال لتلك المحلة كذلك (الكاظميين) نظراً لوجود ضريح آخر يخص الإمام محمد الجواد، وتغليباً لاسم الجد على اسم الحفيد في التثنية كما هو معروف في العربية.

أما الإمام محمد الجواد عليه السلام، فهو حفيده ونجل الإمام علي الرضا عليه السلام، المسجى في مشهد بإيران، و الذي قرر المأمون نقل الخلافة إليه استمالة للمسلمين المحبين لأهل البيت والعلم، فأبى وقبل بولاية العهد كتسوية، وعندما رأى العباسيون فرح المسلمين واحتفاءهم بذلك، أيقنوا أن المأمون وضع الخلافة العباسية في موضع الخطر والزوال فتدبروا مقتلاً للإمام بالسم. وأصر المأمون على توجهه، لأسباب تتصل حسب المؤرخين بضعف ورثته المباشرين وقناعاته التي أملتها عليه الحركة الفكرية التي شجعها وفتحها على سائر العلوم العقلية والنقلية والدقيقة، وما كان يعنيه ضرورة أن يكون الخليفة على مستوى من النضج والأهلية العلمية لينسجم مع أهل الرأي والمعرفة.

وزوج المأمون ابنته (أم الفضل) من نجل الرضا (الجواد) الذي كان معروفاً منذ فتوته بسعة علمه، وبعد أن توفى المأمون وخلفه أخوه المعتصم، فاستدعى الجواد إلى العراق من خراسان وتآمر عليه مع ابن أخيه جعفر بن المأمون واحتالا لقتله سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) وعمره ٢٥ سنة، فدفن إلى جانب جده ليصبح ضريحهما مزارا للمسلمين دون فوارق مذهبية، ويقابلهم من الجهة الأخرى للنهر ضريح ومسجد الإمام أبي حنيفة النعمان تلميذ الإمام جعفر الصادق، والذي دفع غالياً ثمن حبه لأهل البيت عليهم السلام ومناصرته لثائرهم (النفس الزكية).

حقب البناء ومراحله

لم نعثر على وصف لما أصبح عليه المشهد بعد دفن الإمام الجواد عليه السّلام مباشرة أو بعد ذلك بحين، ولكنّ حتما كان القبرَين في بنية خاصة بهما. ويستفاد من كلام بعض المؤرخين ـ من ذكر (تربة موسى بن جعفر) أن هناك قبة خاصة شملت القبرين، لأن التربة لا تُطلَق إلاّ على قبر مختص عليه قبة، كما يستفاد من رواية مسكويه ـ أثناء حديثه عن المحسن ابن الوزير ابن الفرات ـ وجودُ سكان حول المشهد وبجانب مقابر قريش.

وقد تطورت عمارة الضريح على حقبتين إحداها أيام العباسيين والأخرى بعدهم، أي منذ سقوط بغداد على يد التتار عام (٦٥٥هـ/ ١٢٥٨م)، و استمرت حتى اليوم. ويمكن إجمال ملامح تطورها في الحقبة الأولى بخمس مراحل منذ إنشائها في بواكير العصر العباسي، وهي:

المرحلة الأولى: وهي تلي وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مباشرة وربما أكتفت بشاهد قبر فقط كما اقتضت

السنة، قبل أن يشيع بناء الحجرات والقباب بعد تجربة القبة الصليبية الرائدة في قبور المسلمين، والمقامة في سامراء عام (٢٤٧هـ/ ٨٦٢م) والتي تحوي قبور ثلاث خلفاء عباسيين هم المنتصر والمعتز والمهتدي. ويقال إن سبب ذلك يعود إلى أن أم المنتصر أقامته لابنها اقتفاء بتقاليد واردة من أصولها المسيحية المحلية. والمبنى عبارة عن شكل مثمن يحيط بغرفة مربعة مغطاة بقبة قطاعها على هيئة عقد مدبب. ولم يكن فيها أبواب خارجية في حائطها المثمن حتى لا يتعارض مع الحديث النبوي الشريف في عدم إقامة الأبواب. وربما أشيع ذلك التقليد وجسد في قبر الإمام الكاظم، وكانت عمارة بدائية صغيرة، ولعلها كانت لا تتجاوز غرفة واسعة خاصة بالقبر عليها قبة وإلى جانبها حجر متعددة يُودَع فيها الأثاث والزيت وينام فيها الخدم والقوامون، ويحيط بها عدد من المساجد يعتبر مسجد باب التبن أشهرها.

المرحلة الثانية: بعد استيلاء معز الدولة البويهي على بغداد أعاد تشييد المرقد سنة (٣٣٦ هـ/ ٩٤٧م)، ووضع على القبرين ضريحين من خشب الصاج وفوقهما قبّتَين من الصاج أيضاً، وأدير عليهما حائط كالسور. وكانت هذه العمارة أول عمارة كبرى تُشَيَّد على المرقد، ويستفاد من النصوص التاريخية أن القبتين تخص حجرتين كل منها تحوي قبراً، وكانتا كبيرتين يتسع فضاؤهما لعدد غفير من المصلين. واستمرت العناية بهذه العمارة وإضافة ما ينبغي إليها، حتّى بلغت في سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) غاية فخامتها، وأصبحت زاخرة بالقناديل وأكثرها من الفضة والذهب وبنيت فيها الستور والمحاريب، وأصبح

للمشهد سور يدور حوله، وأبواب وبوابون وقوام وترب كثيرة لأصحاب الحيثيات من العباد.

المرحلة الثالثة: في سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، بفعل فتنة طائفية. وهي عمارة البساسيري، واشتملت على بناء المشهد كاملاً من أساسه ووضع صندوقين جديدين على القبرين، وتشييد بَهْوٍ واسع من جهة الجنوب ومسجد ومئذنة، وأصبحت القبتان في هذه العمارة قبة واحدة.

المرحلة الرابعة: وهي عمارة مجد الملك القمّي سنة (٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦م)، وقد اشتملت على صندوقين جديدين من الصاج وُضِعا فوق القبرين، وأشيدا مئذنتين كبيرتين، كما اشتملت على تزيين بالفسيفساء وتشييد دار بجوار المشهد لاستراحة الزائرين وإقامتهم. وفي الحقيقة أمسى البناء مجموعة مرافق أضيفت للأصل التي لم يكن مرٌ عليها أكثر من أربعين عاماً.

المرحلة الخامسة: عمارة الناصر لدين الله سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) وما يليها من السنين، وهي عمارة وسّعت وأضيف إليها الشيء الكثير خلال عهد الناصر الطويل وبعده. فكانت خاتمة عمارات العصر العباسي بل أفخمها أيضاً.

وفي آواخر العصر العباسي (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كانت على القبرين قبة كبيرة واحدة، بعد أن كانت في العهد البويهي اثنتين، وكان على القبرين صندوقان من الخشب الجيد وحول القبرين إبهاء وأروقة. وكانت في المشهد مكتبة وأروقة لحلقات دراسية و محل خاص بالأيتام وبه خدام وبوابون ونقيب يشرف على شؤون المشهد ودار لاستراحة الزائرين ومجمعاً للزائرين والقاصدين في المناسبات الدينية والأعياد، وقبور كثيرة. وكان يتصل بالمشهد

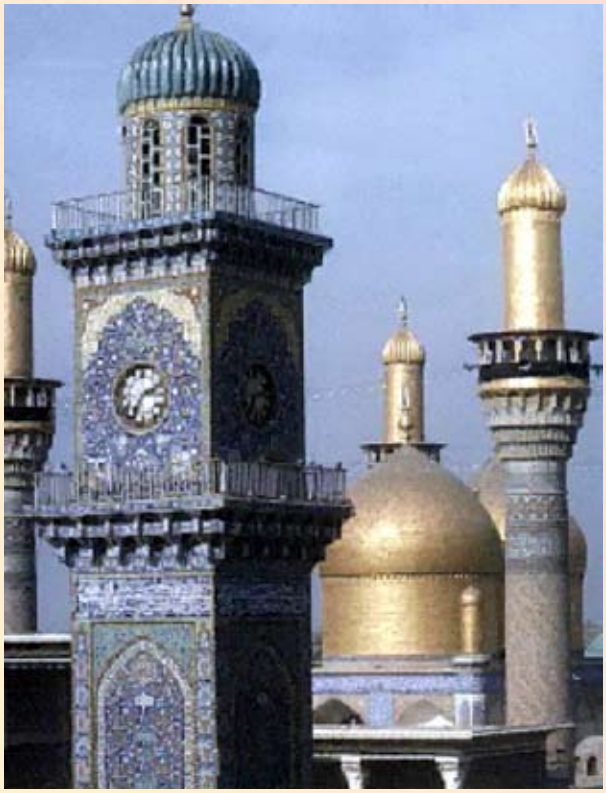

صحن فيه حجر وإيوان واحد أو أكثر. وهكذا تطور المجمع عضوياً، وأمسى تباعاً مدينة عامرة بالسّكان يدور عليها سور وهو غير سور البلدة. ويصف ياقوت الحموي المشهد فيقول: (ويعرف بمشهد باب التبن مضاف إلى هذا الموضع، وهو الآن محلة عامرة، ذات سور، مفردة، وهي مقابر قريش ببغداد، وهي مشهورة ومحلّة فيها خلق كثير، وعليها سور).

وفي الحقبة الثانية لعمارة العتبة المقدسة، كانت باكورتها مبادرة من السلطان أويس الجلايري سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) فبنى قبتين ومنارتين، وأمر بوضع صندوقين من الرخام الجيد على القبرين وزيَّن الحرم بالطابوق القاشاني الذي كُتب عليه سور من القرآن الكريم، كما عمَّر رواق الدارسين ورباط الماكثين في الصحن. وكانت هذه العمارة الجلائرية جاءت بعد تصدّعُ المشهد من جراء تتابع الغرق والفيضانات على كاهله.

العمارة الصفوية

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، انتهى عهد التركمان بدخول الشاه إسماعيل الصفوي بغداد محتلاً. وبعد مرور فترة من الزمن على بقائه في العراق مضى لزيارة المشهد الكاظمي فأمر بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجديداً يشتمل توسيع الروضة وتبليط الأروقة بالرخام وصنع صندوقين خشبيين يوضعان على القبرين، وتزيين الحرم وأطرافه الخارجية بالقاشاني ذي الخطوط القرآنية والكتابات التاريخية، كما أمر بأن تكون المآذن أربعاً بعد أن كانت اثنتين، وبتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للحرم متصل به، وأحال أمر تنفيذ ذلك إلى أمير الديوان خادم بيك، وعاد إلى فارس. كذلك أمر الشاه إسماعيل بتنظيم شؤون الصحن المحيط بالمشهد، وكان فيه رباط إسطبل فأمر بإبعاده وجعله خلف الصحن. كما أمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش وقناديل . وبدأ العمل على قدم وساق، فتمّ تشييد هيكل الحرم وروضته وأروقته - وهو الهيكل القائم اليوم - والقبتين والصندوقين والمسجد، وبلغت المآذن الكبيرة الأربع ارتفاعاً يعلو عن سطح الحرم بمقدار ذراع، كما تم صنع القاشاني و الرخام في موضعه، ولم يبق شيء مما أمر به إلا وقد نُفِّذ.

ومن أهم الآثار الصفوية المؤرخة الباقية إلى اليوم بالإضافة إلى هيكل الحرم والجامع المتصل به شيئان:

الطابوق القاشاني الموضوع على جدار الروضة بشكل وزرة ،ونلحظ بها تاريخ صنع القاشاني عام (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م). ويظهر من أن الأعمال قد تمت بعد وفاة إسماعيل وفي عهد الشاه طهماسب، والأثر الثاني هو القاشاني المثبت في جدار الرواق الشرقي من جهته الخارجية المقابلة للصحن، وقد أُودع ذلك في إيوان خاص ذي ثلاثة أضلاع يقع في أواسط (طارمة باب المراد ملاصقاً للباب الرئيسي الذهبي).

وفي يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة (٩٤١هـ/١٥٣٤م) دخل السلطان

سليمان القانوني بغداد محتلاً لها مُزيلاً حكم الصفويين، و بعد أربعة أيّام بدأ السلطان جولة طاف خلالها أطراف بغداد وأنحائها، وكان المشهد الكاظمي إحداها، حيث أمر بإكمال النواقص التي لم يكملها الصفويون.

وفي يوم الأحد ٢٣ ربيع الأول سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م) فتح الشاه عباس الصفوي بغداد فعاد لها الصفويين بعد غياب دام ٩٢ عاماً. وأمر بإعادة تشييد ما خرَّبته الحروب والفتن والإهمال. وكان من أبرز ما أمر به صنع ضريح ضخم من الفولاذ يوضع على الصندوقين الخشب ليقيهما غوائل النهب والسلب أثناء معارك الفوضى أو هجوم العشائر البدوية القاطنة على أطراف البلدة.

ووصل ضريح الفولاذ متأخراً، وأُقيم لنصبه على المرقد احتفال عظيم. ويروى أن هذا الضريح كان على جانب كبير من الضخامة، وأنه كان يشتمل على كتابات كثيرة من جملتها سور قرآنية وبعض الأبيات والمقطوعات الشعرية. ومن أعمال الصفويين خلال عهدهم الثاني في العراق ما أمر به الشاه صفي بن عباس الصفوي سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) بإجراء بعض الإصلاحات في المشهد: كإحكام قواعد المنائر الأربعة الكبيرة وتصغير المنائر الأربعة الصغيرة الواقعة في زوايا سطح الحرم؛ خشيةً من عدم تحمل دعائم القبتين لكل هذا العبء الثقيل.

وفي سنة (١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م)، بدأ العمل في المشهد الكاظمي على قدم وساق، وتنفيذاً لأوامر آقا محمد شاه القاجاري بإكمال ما بدأه الصفويون، واشتملت إنشاء المنائر الثلاث الكبرى التي رفع الصفويون سمكها إلى حد السطح، وكانت الرابعة مشيدة منذ عهد السلطان سليم - ولكنها بلا سقف من فوق رأس المؤذن - فشُيِّد لها بهذه المناسبة سقف كسقوف الثلاثة الأُخرى الجديدة.

ومن تلك الأعمال أيضاً تأسيس صحن واسع يحف بالحرم من جهاته الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية، ويتصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشمالية. وتم تخطيط الصحن بمساحته الموجودة اليوم. ولم تنقطع الأعمال العمرانية في المشهد بموت محمد شاه سنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م)، بل كانت للشاه الجديد فتح علي شاه أعمال أُخرى، منها:

نقش باطن القبتين - سقف الروضتين - بماء الذهب والميناء وقِطَع الزجاج الملون التي تعتبر من آيات المعالجات الفنية في العمائر الإسلامية، ومنها كذلك تزيين جدران الروضة كلها من حد الطابوق القاشاني الصفوي (الكتيبة أو الوزره) إلى أعلى الجدار المتصل بالسقف بقطع الزجاج المثبت على الخشب.

وكان من أبرز ما أمر به هذا الشاه تذهيب القبتين والمنائر الصغار الأربع، بعد تذهيب قبة الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء وبقي الذهب القديم فائضاً عن الحاجة، فنُقل - بموجب فتوى - إلى الكاظمية، حيث أُعيد صقله وطليه على الطابوق المُعَدّ لهذا الغرض، وأُضيف إليه ما لزمت إضافته، وتم هذا التذهيب في سنة (١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م). ومن المفارقة

هنا أن سلطة البعث البائدة في العراق، موهت تلك السبائك الذهبية الإيرانية وأبدلتها، واستعملت الأصلية منها في تمويل حربها ضد إيران في ثمانينات القرن العشرين.

وفي سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، غشي الإيوان الصغير الذي يشرع فيه باب الرواق في (الطارمة) الجنوبية بالذهب، وكان ذلك بنفقة منوجهر خان الملقب بمعتمد الدولة أحد رجال الحكومة الإيرانية. وفي نفس السنة أهدى السلطان محمود الثاني العثماني إلى المشهد الكاظميّ (الستر النبوي) وهو من السندس المطرز، فأُسدل على الضريح في ليلة القدر من شهر رمضان من السنة المذكورة. وأهدى السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود مشكاتين للمشهد الكاظمي خلال فترة حكمه (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩-١٨٦٠م).

وفي عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، أرسل ناصر الدين شاه القاجاري ملك إيران أحد علماء عصره المعروفين - وهو الشيخ عبد الحسين الطهراني المشتهر بلقبه (شيخ العراقَين) - إلى العراق للإشراف على تنفيذ مخطط عمراني واسع للعتبات المقدسة، من تجديد وإصلاح وتجميل، وخوّله الصرف والتصرف. وكان للكاظمية نصيب وحصة.

وبدأت الأعمال العمرانية في المشهد الكاظميّ سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) بعد انتهاء أعمال العمران في كربلاء وسامراء. وكان من جملة ما حصل عليه المشهد: إحكام أُسس جدرانه من قعرها المتصل بالماء إلى أعلى، وتجديد الواجهة الخارجية من جدران الحرم، وتغشية الجدران بالطابوق الكاشاني، وتأسيس دكّتين كبيرتين أمام الحرم متصلتين به من جهتَيه الجنوبية والشرقية وتبليطهما بالمرمر، وبناء مداخل في أطراف هاتين الدكتين لإيداع الزائرين أحذيتَهم (كيشوان) وأمانتهم فيها. ثم تم اختيار الدكة الشرقية لرفع سقف عليها يقوم على ٢٢ عموداً خشبياً، وأُطلق على المجموع اسم (طارمة باب المراد). وتلك هي من أجلى ملامح الطراز المسمى (الصفوي) المقام على أعمدة خشبية (دلكات) بتيجان مقرنصة، كما هو موجود في مفردات عمائر أصفهان، ولاسيما شرفة علي قبو في ميدان الإمام (ميدان الشاه سابقاً). ثمّ غشي بالذهب الإيوان الكبير الواقع في وسط (الطارمة الشرقية). وانتهى العمل في كل ذلك سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م).

وقد كان المجمع يعاني من بعض الفوضى في التنظيم، ولاسيما وجود ازدحام بالقبور التي يتعثر فيها المشاة، وكذلك بِركة الماء في وسطه من الجهة الشرقية، التي تغمر الأرض حواليها بالطين والوحل، وليس فيها موضع يستفاد منه للصلاة سوى دكة كبيرة في شمالي شرقيها. كل ذلك جعل الأمير فرهاد ميرزا القاجاري - عم ملك إيران ناصر الدين شاه - للإنفاق على تحسين الخدمات من خلال بناء سراديب منظّمة لدفن الموتى في ساحة الصحن وإيواناته وحجراته، ثم تذهيب المنائر الأربعة الكبرى من حد وقوف المؤذن إلى قمتها وكذلك تأسيس قاعدتين

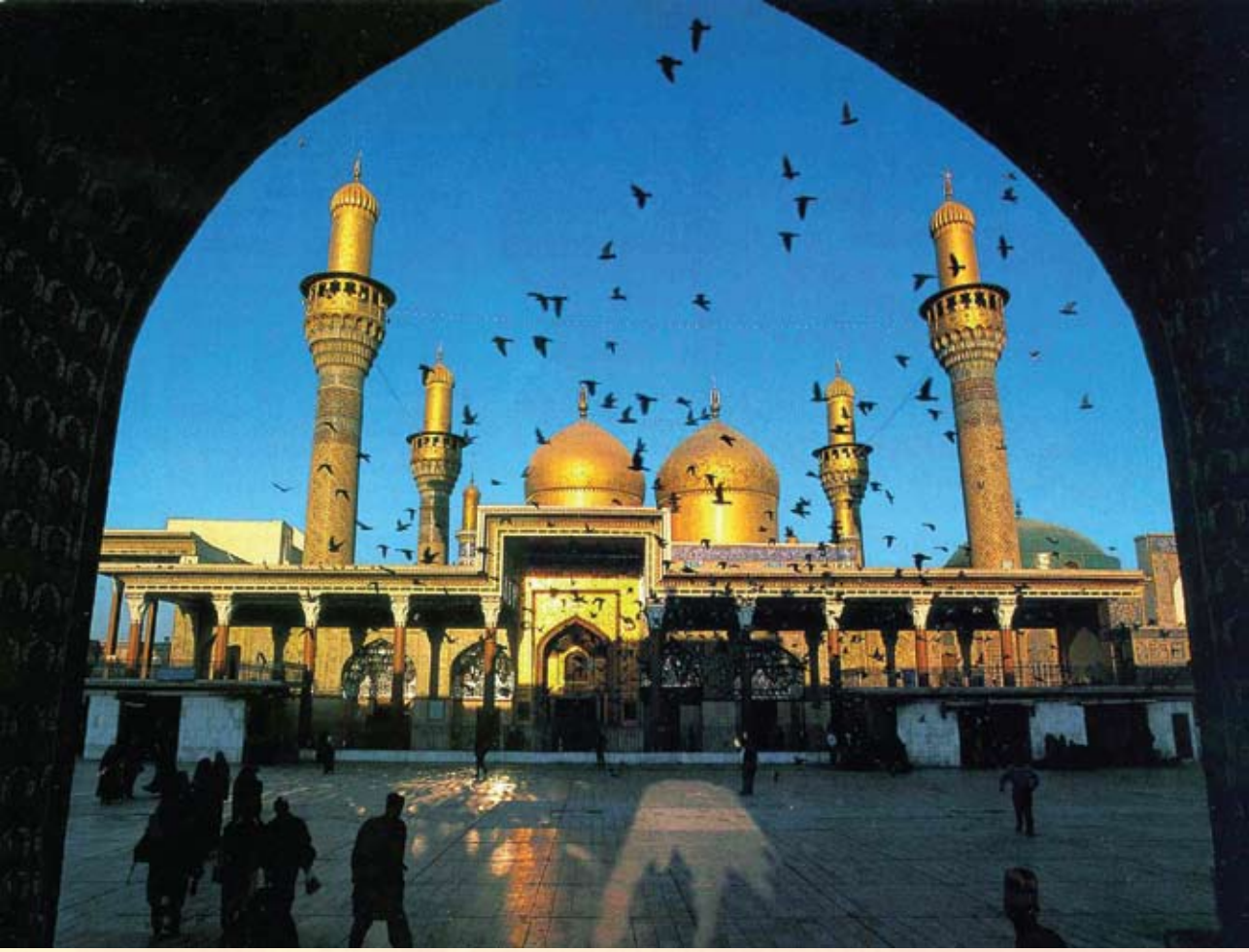

ضخمتين في سطح الطابق الثاني من الصحن فوق البابين الرئيسيين في جانبي الشرق والجنوب لنصب ساعتين كبيرتين عليهما. والأهم هو تشييد سور مرتفع للصحن يتكون من طابقين، بما يعتبر من سمات ما يسمى (الطراز الصفوي)، وهو في حقيقته استرسال للطرز العراقية القديمة كما سنبين ذلك. وعلى أي حال، فقد بدأ العمل في عمارة الصحن عام (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)، وتم عام (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م).

تحليل معماري

وعلى العموم فإن مسقط البناء مربع الشكل، كما هو حال كل العتبات العراقية، حيث تخترق سياجه الخارجي أربعة مداخل متحاورة، ثم زيد عليها ثلاث ثانوية بعد ذلك لتصبح سبعة. والمجمع متكون من الضريح مطوق بالصحن ،وقد زيد عليه المسجد من جهته القبلية لتلغي الفراغ المطوق له من الجهة القبلية. ثم يلي بصحن الرواق الخارجي الذي يحدد مساحة البناء ويشكل سياجها الفاصل.

وفي بحثنا عن جذور ذلك الحل المعماري نجد أن المربع المقدس المحاط بالصحن المربع الواسع هي سنة بنائية أتبعها العراقيون منذ السومريين عند بناء معابدهم لما لها من إيحاءات رمزية بالقسطاس والاستقرار. أما (المسقط

المتناظر) في هيئة الضريح فقد ورد من أعراف محلية تطورت من بابل وسمت إبان الحقبة الساسانية، وهو حل معماري يضفي على المنشأ هيبة وجمالاً، ونجد أحسن أمثلته في إيوان (طاق) كسرى في المدائن. وقد حدث أن فقد المجمع هيئته المتناظرة الأولى عندما زيد له المسجد وألصق بجدار القبلة في حقبة لاحقة.

أما بالنسبة للرواق الخارجي المطوق فهو استرسال من أعراق بنائية عراقية قديمة ،حيث كانت وجدت في أقدم نماذجها في معابد عصر العبيد وظلت ملازمة لعناصر البناء في المعابد في مختلف الادوار اللاحقة كما ذكر ذلك د. فاضل عبد الواحد (من سومر إلى التوراة ص٧٩)، وقد طبق هنا مبدأ الطلعات والدخلات (Recesses Buttresses) الذي نعتبره ضروريا كحل إنشائي يجعل من الحائط الخارجي الصفيق مقاوما لظاهرة الانبعاج التي تعاني منها حيطان الآجر السامقة.ونجد في حجر تمثال الملك المعمار الأكدي (كوديا Goudea) مخطط المعبد الذي كان جدره تحمل تلك المواصفات. وقد أسترسل هذا الحل تباعا حتى نجده قد وطأ العمارة الإسلامية ووجد في قصر الاخيضر او في مسجد سامراء على شكل هيئات إنشائية نصف أسطوانية الغاية منها معاضدة السياج الخارجي هيكليا،وهي في حقيقتها استرسال وحذلقة لنفس المبدأ البنائي الموروث.

وفي سنة التطور لعناصر البناء نجد أن تلك الهيئات الساندة للحائط الخارجي قد أخذت شكلاً مستطيلاً منتظماً عمودياً على السياج، وحول موضعه من خارج البناء إلى داخله، لترسم ملامح حل معماري جديد أقتضى تغطية ما بين حائطين بسقف مقبى أو إيوان بما أنتج حجرات تمتد على طابق أو طابقين يمكن توظيفها في شتى الأغراض والمنافع، كفضاءات معمارية مصدرها حل إنشائي ،وحذلقة واردة من العمارة العراقية الموروثة. وفي حالة المشهد الكاظمي اكتفى المعمار بطابق أرضي من الحجرات يسبقها رواق مغطى بنفس الإيوان. وترك السطح فارغا سامقا لأغراض جمالية وصرحية، و يمكن أن يكون مردود ذلك السياج السامق ما يفيد في العزل الصوتي بين هرج السوق والميدان الخارجي ومرجه وبين الصحن الداخلي ،الذي تؤمه العامة للاسترخاء أيام الزيارات. وتتخلل الإيوانات السامقة ذلك السياج المبني في بعض المواضع ، ولاسيما عند المداخل والزوايا، بما يخدم الجانب الهيكلي للسياج الخارجي.

وحدث أن سمت تلك الحلول الهيكلية من هيئتها الوظيفية المجردة إلى العناية بالجمال والمظهر، كما هي عمليات التغشية للسطوح بالقاشاني الملون، وهو من ثوابت المعالجات الفنية في العمارة العراقية وشوطه يمتد منذ المعبد الأبيض أو بوابة عشتار. وعادة ما يراد منها معاضدة وتشديد العناصر الهيكلية بصريا ولاسيما الإيوانات، بما يخلق إيقاعاً تراتبياً متناغماً مع روحانية المكان. وحدث أن رمم المعلم أو زيدت له بعض المعالجات الفنية خلال

الحقب اللاحقة بحيث لم يأخذ بالحسبان التجانس مع العناصر السابقة، حتى نجد بعض العناصر المتأخرة، وقد وردت من الطراز العثماني المتأثر بأسلوب الباروك الأوربي.

وقد أضيفت للبناء ولاسيما في الإيوانات حطات من المقرنصات (الواهية) في جنباتها، بنوعيه المعرق والمتدلي الذي ميز عمارة الحقبة الصفوية في إيران والعراق. ودعي هذا الطراز لدى مؤرخي العمارة الإسلامية الغربيين بـ(الفارسي الصفوي)، وهو في حقيقته تطوراً وفذلكة وردت مفرداتها من ثوابت العمارة المحلية ،الذي كان جوهره تطويع أكثر وأعمق لخامة الآجر.

وفي إضفاء البهرج على المكان ولاسيما الفضاءات الداخلية للضريح غاية بحد ذاتها، لما يصبه في المقاصد النفسية والإبهار والرهبة وأهمية المكان، التي يرام من ورائها تكريس قدسيته. وقد وطأت تلك العناصر في بعض معالجاتها حالة من المبالغات الجمالية، إلى الحد الذي انعكس سلباً على تجانس مفرداته، ناهيك مما يراد منه في معاضدة للهياكل الإنشائية كما هو الحال في قطع المرايا التي أبعدت عن منطقة الانتقال إلى القوى الإنشائية، بالرغم من أن استعمال تلك المرايا في المقرنصات قد أوحى بخفة وزن السقف من الناحية الجمالية، ووهبها بهرجا أخاذا. ونرصد هنا أن تلك المقرنصات قد بنيت بهيئة (معلقة) أي أنها لم تكن ناتجة من حلول إنشائية، وهذه في حقيقتها إحدى نقاط ضعف عمارة الحقبة (الصفوية). ونجدها هنا أنها أخذت شكلا حائرا بين الزخرفة والإنشاء، التي لم تكن موفقة من المعمار إلى درجة بلغت معها المرايا حافة العقد مما أضعف قوة التحمل. وبالرغم من بعض الهفوات الفنية هنا وهناك، إلا أن بناء المعلم يعتبر من أكثر العمائر البغدادية روعة، بما يمكن أن يكون إعادة تفكيك عناصره مفتاحا لمعرفة الكثير من خصوصيات العمارة العراقية، ويصب في عملية إعادة إحيائها ■

حال المؤمن

عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في وفاة المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى، ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وما يتقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه يتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت إذاً سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته».

الكافي ج:٢ ص:٣٥٢

مرقد ابن الحمزة

• سلمان هادي آل طعمة

ينابيع يعود تاريخ هذا المزار إلى القرن الخامس الهجري، ويقع في الجانب الشرقي من المدينة خارج سور كربلاء في الطريق المؤدي إلى طويريج (الهندية) والحلة، ويبعد عن الروضة الحسينية المقدسة بمقدار (١٥٠٠) متر تقريباً.

إن هذا المرقد كما هو معروف ينسب للرجل الصالح والعالم الجليل الشيخ محمد بن الحمزة الطوسي، وقد اشتهر بين الناس أن الدفين هو من ذرية أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام، كما هو وارد في زيارته المعلقة على جبهة ضريحه، وإنصافاً للعدل والتاريخ، أود أن أسلط الضوء حول هذا الموضوع استناداً إلى المعلومات التي حصلت عليها.

ليس هناك مصدر قديم موثوق به يثبت أن هذا المرقد للسيد المرفوع نسبه إلى أبي الفضل العباس عليه السلام، وإنما ذكر ذلك المؤرخون، ولم يشيروا إلى المصادر التي نقلوا عنها، والظاهر أنهم اعتمدوا على الشهرة التي نشأت في العصر الأخير. ونسبة القبور إلى غير أصحابها من الأمور المعروفة، وقد يخرجنا الاستطراد بذكرها عن صلب الموضوع فنكتفي بما ذكرناه.

وابن الحمزة هو أحد الذين فازوا بحسن الجوار في هذه البقعة المباركة التي رفع الله شأنها وأعلى منزلتها لوجود قبر الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ولم تزل تشع بأنوارها السماوية على العالمين العربي والإسلامي.

جاء في كتاب (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) ما هذا نصه:

في خارج كربلاء موضع معروف وهو على ما في (فلك النجاة) مشهد الشيخ نصير الدين علي بن حمزة بن الحسن الطوسي فاضل جليل له مصنفات يرويها علي بن يحيى قاله صاحب أمل الآمل وهو والد الشيخ الإمام عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي صاحب الوسيلة والمناقب[1].

وفي كتاب (الكنى والألقاب): عماد الدين محمد بن علي بن محمد الطوسي المشهدي الثقة الفقيه الجليل[2].

وفي كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) قوله: ومنهم حمزة عماد الدين محمد بن علي بن محمد الطوسي صنف الوسيلة والواسطة[3].

وذكره صاحب كتاب (أمل الآمل)

بقوله: الشيخ الإمام عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي فقيه عالم واعظ له تصانيف منها الوسيلة، الواسطة، الرابع في الشرايع، مسائل في الفقه قال منتجب الدين[٤].

وحول المرقد المذكور كان الوادي القديم المسمى بـ(وادي أيمن) دفن فيه كثير من الصلحاء والعلماء.

وذكره صاحب كتاب (مدينة الحسين) فقال: هو محمد بن علي بن حمزة الطوسي المكنى بابن الحمزة من تلامذة شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، قال صاحب منتخب التواريخ لم يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته بالضبط، كان من أعلام الإمامية في القرن الخامس الهجري دفن في كربلاء في وادي أيمن بالقرب من باب طويريج، له مزار يزار يعرف بابن الحمزة له تصانيف منها كتاب (الوسيلة) في مسائل الفقه وكتاب (المناقب والمناقب) ومن الغريب في أمر هذا المزار هو ما اشتهر بين المؤرخين من أن هذا المزار هو للعلامة عماد الدين الطوسي الشهير بابن حمزة وبين ما هو معروف بين الناس في زماننا هذا أنه يعود إلى عبيد الله بن الحمزة بن القاسم بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن الإمام علي عليه السلام كما جاء في لوحة الزيارة الموضوعة على القبر.

بالرغم من أن علماء النسب والنسابين أجمعوا على أن حمزة المكنى بـ(أبي يعلى) المدفون قرب الحلة والمنسوب هذا المزار إلى ابنه لم يعقب. والبعض من المؤرخين ينسبون هذا القبر إلى العلامة الحسن بن الحمزة الحلبي. جاء في (فلك النجاة) قوله: أن محمد بن علي بن حمزة الطوسي قبره في كربلاء خارج البلد وهو من تلامذة محمد بن الحسن الطوسي، لعله يريد بذلك صاحب هذا المزار الواقع في وادي أيمن[٥].

يؤخذ من أقوال المؤرخين أن هذا القبر الواقع عند باب طويريج هو لأحد أعلام الإمامية في القرن الخامس الهجري المدفونين في كربلاء، ولهذا فإن قبره أصبح مزاراً لعشاق آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وقد بقي قروناً متطاولة تتهافت عليه نفوس المحبين، ويكثرون من زيارة قبره.

وصف المرقد

إن مما يجب التنبيه عليه أن المرقد الموجود الآن هو عبارة عن صحن واسع ورواق وحرم عقدت عليه قبة خضراء، والصحن كله مؤلف من ضلعين هما: ضلع القبلة والضلع الشرقي وهما يطلان على الطريق العام. يحيط بالبناء سور ارتفاعه متران، يتم الدخول إلى الصحن من باب القبلة، ثم يخطو الزائر ثلاثة أمتار حتى يصل إلى إيوان جميل مسقف ومزخرف بالقاشاني والفسيفساء، وعندما يدخل الزائر إلى الحرم يجد نفسه أمام ضريح مشبك مصنوع من النحاس يتوسطه خاتم من الخشب، وهو مغطى بشباك أخضر.

أما القبر المبارك يتخلل قمته قناديل مضاءة، طول هذا الضريح (٣ أمتار) وعرضه (٣،٥ متراً) وارتفاعه (٣ أمتار). أما طول الطارمة فيبلغ (١٠ أمتار) وعرضها (٤،٥ متراً) وارتفاعها (٣ أمتار) وعرض

المرقد (٧ أمتار) وطوله (١٢ متراً)، وفي داخل الروضة مسجد يبلغ طوله (٦ أمتار) وعرضه (٣ أمتار)، وتطل على الجهة اليمنى من المرقد باب خشبي مخصص للدخول إلى الحرم، كما يوجد شباكان يطلان على الطارمة، يقول حرز الدين: (وكان على القبر شباك حديد كتب عليه بحروف منه (وقف زهرة مرتضى الكسائي)[٦].

كتب على لوح زيارته ما هذا نصه: (السلام عليك يا علي بن الحمزة بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب) وقد نقش بيتان من الشعر على كتيبة معلقة هناك للشاعر المعروف الشيخ مرتضى قاو الكشوان وهما:

يا أبا الحرب علي وابن من
دار في الحرب رحاها حيدر
جدك العباس ليث في الوغى
وابنه الحمزة ذاك القسور

وقد كتبت آيات قرآنية على جانبي الطارمة بالكاشي الكربلائي: (بسم الله الرحمن الرحيم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون صدق الله العلي العظيم) شركة بابل كربلاء شيدها القيّم عباس نايف المسعودي سنة ١٤١١هـ.

ومما جاء في وصف القبر قول الشيخ حرز الدين: (يقع مرقده اليوم في محلة العباسية الشرقية من مدينة كربلاء باب طويريج، وقيم قبره رجل اسمه حنظل من آل مسعود من قبيلة شمر[٧].

وبناء الحرم بسيط شيده متبرعون من الكسبة، وغالباً ما يكونون من صغار الكسبة. ويحيط بالحرم من الداخل كتيبة من الكاشي الكربلائي كتبت فيها هذه الآية الكريمة: (بسم الله الرحمن الرحيم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون صدق الله العلي العظيم) المتبرع: صباح محمد جاسم الخفاجي ١٩٩٥م.

البناء كله محاط بسور من الطابوق والحصى يبلغ طوله (٢٣) متر وعرضه (٣٠) متر، وقد جدد المزار وعمر مراراً.

أما الذين تولوا الإشراف على إدارة الحرم فهم:

١- حنظل المسعودي.
٢- فليفل.
٣- نايف وشل.
٤- عباس نايف.
٥- حميد بن عباس نايف.

ولم يزل هذا المرقد قائم الأركان، مشيد الجدران، وقد تعهدت مديرية الوقف الشيعي في كربلاء بترميمه وإصلاحه في الوقت الحاضر ■

---

(١) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، للسيد جعفر بحر العلوم، ص٣٠٧.
(٢) الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي، ج١ ص٣٦٢.
(٣) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للسيد الصدر، ص٣٠٤.
(٤) أمل الآمل، للشيخ محمد بن الحر العاملي، ج٢ ص٢٨٥.
(٥) مدينة الحسين، للسيد محمد حسن الكليدار آل طعمة، ج٢ ص١٨٨.
(٦) مراقد المعارف، للشيخ محمد حرز الدين، ج١ ص٥٧.
(٧) المصدر السابق، ج١ ص٥٧-٥٨.

تعقيب على..

استطلاع مقام إبراهيم

• سعد حاتم مرزه

ينابيع **إشارة إلى استطلاع (مقام إبراهيم.. صرح نمرود.. وأرض المحرقة) الذي قام به الأستاذ حيدر الجد والمنشور على ص٦٨-٨٥ من العدد (١٢) من مجلة ينابيع سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، وكان الاستطلاع بمضمونه ومعلوماته جيداً وقيماً تدل على مقدار الجهود القيمة التي قام بها الكاتب فكان جهداً مشكوراً وأداء قيماً أفادت القارئ كثيراً.**

وفي إضافة بعض المعلومات واستدراك بعض الآراء وتوضيح أمور أخرى لا يلغي من أهمية الاستطلاع وما تضمنه من معلومات، وإنما يزيده أهمية وقيمة ومعلومات إضافية.

تناولنا بعض ما قيل في معجزة نجاة إبراهيم الخليل عليه السلام من النار ضمن فصل (معجزات إبراهيم ولوط عليهما السلام) على ص١٩-٣٧ من كتابنا المطبوع في بيروت (معجزات الأنبياء في القران الكريم والفكر الإسلامي)، فقد نقلنا في ص٢٣ عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، كما في (روضة الكافي) و(مفتاح الكتب الأربعة)، بأن إبراهيم الخليل عليه السلام كان مولده بكوثي ربا، وهذا يجعل من الأقوال الأخرى في ولادته عليه السلام، كما في ص٧٤-٧٥ من المجلة، ضعيفة. وجاء في نفس الخبر أن أم إبراهيم وأم

لـوط كانتا أختيـن وهما ابنتـا (لاجج) وكان نبياً منذراً ولم يكن رسولاً، مما يعنـي ضعف ما جاء في ص٧٢ بأن اسـم أم إبراهيـم هـو (نونا بنـت كرنبا...)، ومـا جاء في ص٨٤ مـن أن لوط هو ابن أخ إبراهيـم عليه السلام، وإنمـا همـا ابنتا خالة كما عن الإمـام الصادق عليه السلام، ويمكن اعتبارهما رأياً.

وفي (النور المبين) للسـيد الجزائري عن الإمام الصادق عليه السلام بأن جبرائيل عليه السلام دفـع إلى إبراهيـم عليه السلام عندمـا التقاه في الهواء خاتماً مكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسـول الله ألجأت ظهري إلى الله وأسندت أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله، ص٢٤ من كتابنا، وأرى من المستبعد أن يقـول إبراهيـم عليه السلام لجبرائيـل عليه السلام انـه ليـس بحاجـة إليـه لأنـه يعلـم أن الملائكـة لا يعملـون شـيئاً ولا يقولون إلا بأمـر من الله تعالى، فـإن مجرد لقاء الملك جبرائيل عليه السلام بـه إنما هو بأمر من الله، فكمـا أن طاعة الأنبياء عليهم السلام ومنهم خاتمهـم محمـد صلى الله عليه وآله واجبة على الإنسـان وهـي تعـد طاعـة لله تعالـى، كذلـك الأنبياء عليهم السلام يعلمون أن طاعة الملائكة هي طاعة لله تعالى، ويؤكده أن إبراهيم عليه السلام احتـاج إلـى جبرائيـل عليه السلام حيـث سـلمه الخاتم والبسـه قميصاً مـن الجنة وأقعده على طنفسـة من الجنة، وبقى معه يحدثه حتى خمـدت النار، وان من المتواتر في كتب الحديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي كان مـع إبراهيـم عليه السلام في النـار وليس ملك الظل.

إن مفهـوم النـص القرآنـي (قُلْنَـا يَـا نَـارُ كُونِي بَرْدًا وَسَـلَامًا عَلَـى إِبْرَاهِيمَ) يشـير إلـى انه أمـر تكويني للنـار فقط بـان تكون بـردا من الاحتراق وسـلاماً من الاختناق بغازات أكاسـيد الكربون السامة على إبراهيم عليه السلام فقط دون غيره، فقد دلت بعض الأخبار أن قيده قد احترق فأصبـح حراً مـن القيـد، وكان القدماء تنقصهم الحقائـق العلمية فلم يعرفوا آثار النار السامة فأولوا (سلاماً) بأنه من البرد الشـديد، وهذا غير صحيح فظهر إعجاز قراني لم يكـن معروفاً عند القدماء مما أكده العلم الحديث. وجاء في ص٨٤ من المجلـة بـان إبراهيم عليه السلام تـزوج بحران، وهـذا تنفيـه بعـض الروايـات بأنه كان متزوجاً عندما خرج من موطنه وقد أهديت إلـى زوجته خلال الرحلة جارية لتخدمها، تزوجهـا إبراهيم عليه السلام بعد ذلك فأنجبت له إسماعيل عليه السلام فكان من قصته ما أخبر به القرآن الكريم ومن الله التوفيق ■

رد على تعقيب السيد أحمد الحكيم..

على أثر القرينة اللفظية

• عادل عباس النصراوي
رئاسة جامعة الكوفة

ينابيع **رداً على ما جاء في مقالة السيد أحمد الحكيم (رداً على مقالة: أثر القرينة اللفظية في معاني القرآن الكريم) المنشور في العدد (١٢) من مجلة (ينابيع) الغراء.**

قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[١]، وقال أيضاً: (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ)[٢].

لقد عدّ السيد الحكيم ما جاء في مقالتي (طعناً فظيعاً)، وأن من حقي الشرعي أن أدفع عن نفسي ما ألحق بي، فآثرت في ردي هذا عليه أن أتوخى الجانب العلمي وأعرض عن لغة الكاتب.

القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه لأنه نزل من لدن عزيز حكيم، فكيف يطعن فيه قاصر لا يعلم منه شيئاً، وقد قال فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (لا يمتحه الماتحون). وأنّى لي أن أخوض في غمرات لججه وأنا العبد الفقير إلى رحمته والمحتاج لمعونته؛ وهذا كتابه قد أعجز الخلق به من قبل، فقال عز وجل: (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَت الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِه...)[٣] فهو معجز بنظمه وتأليفه وبلاغته؛ وقد حاول من لا حظّ له من قبل أن يطعن فيه، فأبى نفورا وانكب على وجه وجهه مثبورا.

إن الكاتب السيد أحمد الحكيم قد وجه لي خطاباً، وكان دافعه على ما أظن خدمة القرآن الكريم والذود عنه، بيد أنه لم يمسك بزمام ما قاله فأوقعني وأوقع نفسه في متاهة، إذ قال: (لكن الباحث النصراوي حاول أن يغفل عن ذلك وذكر (..، فقيمة اللفظ تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها قوة وضعفاً،) يبدو أن فيه طعناً فظيعاً) وعلّل ذلك بأن الآيات المباركات ليس فيها (ضعفاً)؛ ومن قال ذلك فقد باء بغضبٍ من الله

تعالى!. ويبدو أن السيد الحكيم لم يمعن النظر في تلك العبارة جيداً في أنها حصرت بين فاصلتين (فارزتين) (،.....،) وأن هذه الفاصلة حسب قول الدكتور حسن محمد تقي الحكيم (رحمهما الله تعالى): (تستعمل لفصل أجزاء الكلام بعضه عن بعض ويقف القارئ عندها وقفة قصيرة وتستخدم في المواضع الآتية: بين الجمل التي يتكون من مجموعها كلام تام الفائدة، وبين أنواع الشيء وأقسامه..)[٤].

فقد جاءت تلك العبارة موضحة لما سبق من القول ومبيّنة لأثر الدلالة الإيحائية على اللفظ، ثم أن (اللفظ) جاء بصيغة المصدر، وهو لا يدّل بالضرورة على معنى (الألفاظ)، ولو قلت: (فقيمة الألفاظ تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها قوة وضعفاً) لكان ذلك خطأ، لأنها تدل على ما سبقه من القول: (إن البعض الألفاظ في النص القرآني العظيم..) بيد أن المصدر (اللفظ) قد عدل في الدلالة عن المسار الأول في الجملة التي سبقته إلى مسارٍ جديد يختلف عمّا سبقه، ومكوّناً من مجموع هذه العبارات معنى جديداً.

إن غاية ما كنت أصبو إليه في مقالتي (أثر القرينة اللفظية في معاني الألفاظ في القرآن الكريم) هو أن أيّ لفظة لا يمكنها أن تؤدي المعنى ذاته للفظة أخرىً إذا ضُنّ أن اللفظين مترادفان، فالقرآن نسيج وحده، ففي قوله تعالى: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)[٥] يمكن أن يقال خارج النص القرآنيّ الكَرِيم (مذبوح) بيد أن القرآن الكريم قد انفرد بهذا الأسلوب الفني العظيم فقام المصدر مقام اسم المفعول وذلك عندما وصف هذا (الفداء) بصيغة (المصدر) ولم يصفه بصيغة (اسم المفعول)، إذ أن المصدر يدل على مطلق الحدث فيما يدل اسم المفعول على وقوع الحدث على وجه الثبات ولمرة واحدة، فوصف المحدد (الفداء) بالمطلق (ذبح) المصدر، ليثوّر في هذه اللفظة كل المعاني والدلالات، فيما يكون اسم المفعول قاصراً في التعبير عنها، وهو أولى بالوصف وفق القاعدة اللغوية فهكذا نجد أن القرآن الكريم قد حطّم القواعد اللغوية العادية، وارتقى في المعاني النمطية الساذجة إلى معانٍ راقية ودلالات سامية. وهذا دليل إعجاز فيٍ القرآن تمثل في عدول الصيغ الصرفية إلى صيغ صرفية أخرى طلباً للتوسعة والمبالغة.

ثم أن الألفاظ في المعجم تكون ذات دلالات متعادلة، تفعّل داخل مختبر النص، فمن الألفاظ ما تزداد دلالتها، ومنها ما تتنازل عن بعض قيمها، لتشكل بمجموعها نصاً يعتمد على إمكانية الكاتب أو المؤلف. وقد حازت بلاغة القرآن أعلى المراتب وأكملها في التعبير عن المعاني، فاتسم بانسجام حروفه في كلماته، وكلماته في آياته، وآياته في سوره، وتلاءمت أصواته مع دلالاته، فلا تجد فيه نبو ولا نفور، فجاء نسيج وحده، عجيب في نظمه وتأليفه وبلاغته.

وأخيراً أرجو الله تعالى أن يجعلني والسيد أحمد الحكيم ممن قصد رضوانه تعالى ونافح عن كتابه، إنه نعم المولى ونعم النصير ■

---

(١) سورة الحجر الآية:٩.
(٢) سورة فصلت الآية:٤٢.
(٣) سورة الإسراء الآية:٨٨.
(٤) مناهج البحث في اللغة العربية:١٢٦.
(٥) سورة الصافات الآية:١٠٧.

..في الذاكرة

شهر رجب المرجب:

١ في اليوم الأول منه ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ٥٧هـ في المدينة المنورة.

وفي اليوم الأول منه أيضاً ركب نوح عليه السلام السفينة.

٣ وفي اليوم الثالث منه سنة ٢٥٤هـ وفاة الإمام علي الهادي عليه السلام، وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة.

٥ وفي اليوم الخامس منه سنة ٢٤٤هـ قتل ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدروقي الأهوازي الإمامي النحوي وكان من عظماء علماء الشيعة قتل على يد المتوكل العباسي.

١٠ وفي اليوم العاشر منه سنة ٣٧٠هـ ولد الإمام محمد الجواد عليه السلام.

١٢ وفي اليوم الثاني عشر منه وفاة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله سنة ٣٢هـ وقيل سنة ٣٣ للهجرة.

وفيه أيضاً دخل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل.

١٣ وفي الثالث عشر منه ولد أبو الأئمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة قبل البعثة بعشر سنوات سنة ثلاثين من عام الفيل.

١٥ وفي اليوم الخامس عشر منه عقد النبي صلى الله عليه وآله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام على فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان ذلك بعد الهجرة بخمسة أشهر.

وفيه أيضاً وفاة العقيلة أم المصائب زينب عليها السلام ابنة أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه أيضاً سنة ٢هـ حوّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة والناس في صلاة العصر.

وفيه أيضاً خرج النبي صلى الله عليه وآله من حصار الشعب.

١٦ وفي اليوم السادس عشر منه خرجت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من الكعبة تحمل وليدها علي عليه السلام بعد أن بقيت فيها أربعة أيام.

١٩ وفي اليوم التاسع عشر منه سنة ٩٣٠هـ توفي الشاه إسماعيل الحسيني الموسوي الصفوي.

٢٣ وفي اليوم الثالث والعشرين منه سنة ٤١هـ طعن الإمام الحسن عليه السلام على فخذه.

٢٤ وفي اليوم الرابع والعشرين منه سنة ٧هـ فتح مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خيبر.

٢٥ وفي اليوم الخامس والعشرين منه سنة ١٨٣ هـ استشهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٢٧ وفي اليوم السابع والعشرين منه بدأ نزول الوحي والقرآن على النبي صلى الله عليه وآله وهو يوم شريف وعيد عظيم، وكان يوم الاثنين بعد أربعين سنة من عمرة الشريف.

٢٨ وفي اليوم الثامن والعشرين منه سنة ١٣ قبل الهجرة إسلام مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإن كان مؤمناً في الباطن، وكان عمره عليه السلام يوم أسلم تسع سنين.

شهر شعبان المعظم:

٢ في اليوم الثاني منه سنة ٢هـ نزل فرض صيام شهر رمضان المبارك.

٣ وفي اليوم الثالث منه سنة ٤هـ كانت ولادة الإمام الحسين عليه السلام.

٤ وفي اليوم الرابع منه سنة ٢٦هـ ولد قمر بني هاشم العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٥ وفي اليوم الخامس منه سنة ٣٨هـ ولد الإمام زين العابدين عليه السلام.

١١ وفي اليوم الحادي عشر منه سنة ٣٣هـ ولد أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام.

١٥ وفي ليلة الخامس عشر منه ليلة الجمعة سنة ٢٥٥هـ كانت ولادة الحجة المنتظر عليه السلام، عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره.

١٨ وفي اليوم الثامن عشر منه سنة ٣٢٦هـ وفاة الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للإمام الحجة عليه السلام، توفي ببغداد ودفن بها.

مسجد السهـ

بيت البركة.. ومحل الرحمة
في حلّته المعماريّة الجديدة

ـــــــلة المعظم

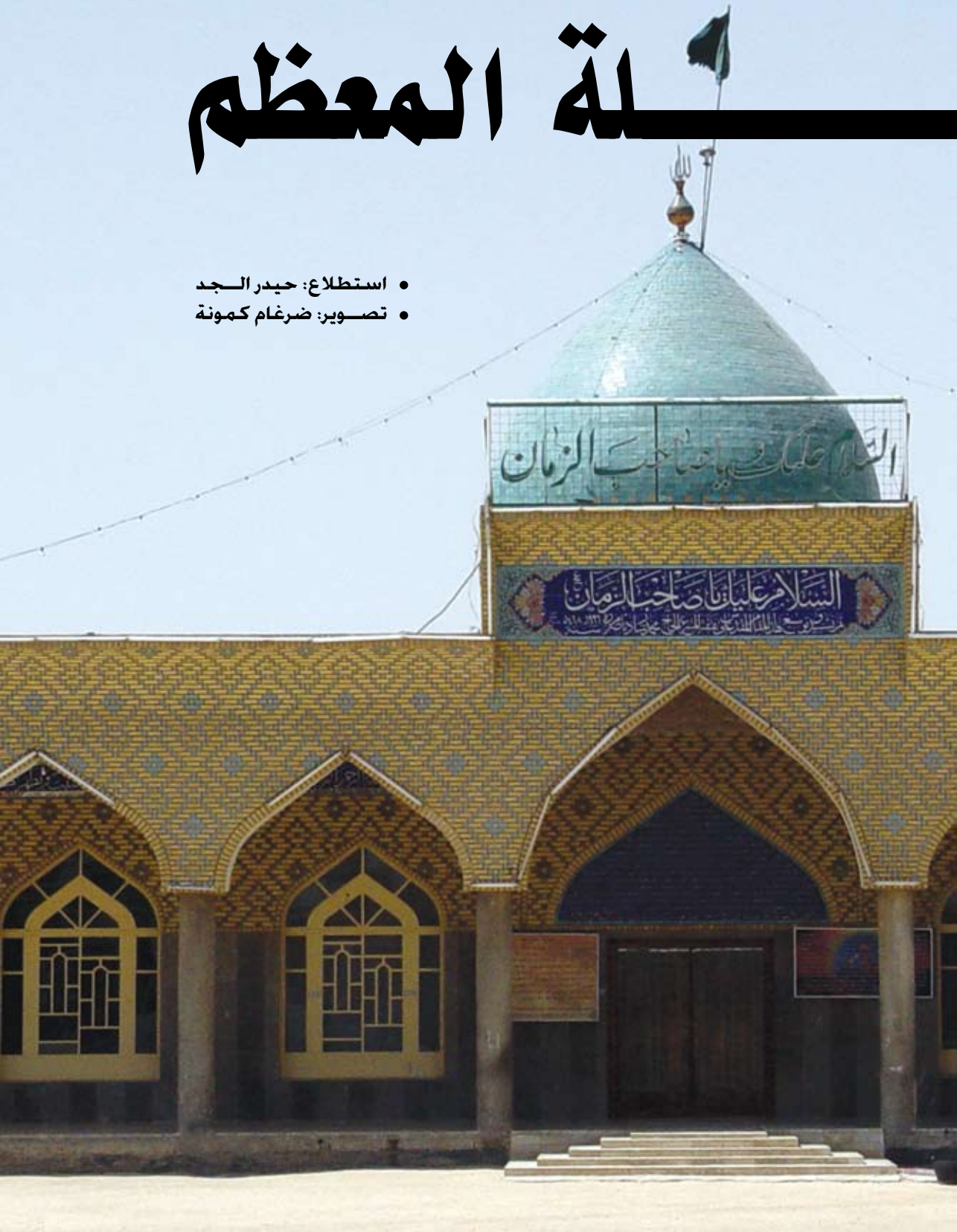

- استطلاع: حيدر الـــجد
- تصـــوير: ضرغام كمونة

استطلاع المجلة

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أي بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عز وجل وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، فقال: الكوفة يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، ومنها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين.»

كامل الزيارات ص: ٤٥٦

ينابيع للمسجد في نفوس المسلمين منزلة خاصة، ومكانة متميزة، ارتبطت بأعظم فعل يشدهم لخالقهم وأقوى آصرة تجذبهم نحو وحدتهم واجتماع أمرهم ألا وهي الصلاة.. الركن الأعظم من أركان الإسلام، وقد كانت عناية الرسول صلى الله عليه وآله بالمسجد عناية فائقة، حيث كان صلى الله عليه وآله لا يبارحه، اللهم إلا في أسفاره، ففي هذا المكان الطاهر تتسامى النفس وتذوب في عالم شفاف يلامس الأحاسيس الخاشعة في عباداتها الخالصة في خضوعها، المبتعدة عن مظاهر الرياء والنفاق.

وهكذا فقد سجل التاريخ للمسجد مواقفاً حافلة بالعطاء، فمنه انطلقت الصيحات المعلنة عن رفضها اتجاه الواقع الفاسد، وفيه اجتمعت كلمة لا اله إلا الله التي هزت عروش الكفر والكافرين، وبه اجتمع المسلمون الأوائل حول رسول الله صلى الله عليه وآله كالهالة حول القمر، يأخذون من نبعه الثر الصافي تعاليم الإسلام، فكان المنبر والمحراب، من سماته البارزة، فمن صلوات المحراب تحلق نفوس المصلين إلى فضاء الحب الإلهي، ومن المنبر تواجه مصاعب الحياة ومشاكلها.

وبمرور الأيام، أصبحت المساجد حواضر علمية ومنتديات تدريسية، إليها تشد الرحال طلباً للعلم، لأنها أماكن مطهرة وبقاع معظمة، ومن هذه المساجد مسجد السهلة، المعروف بقداسته وبركته، الذي أشاد بفضله إمامنا أبو

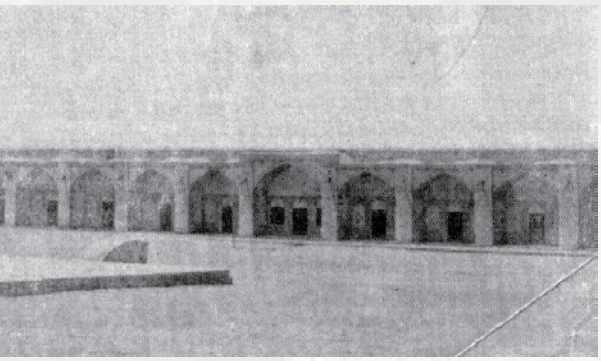

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

يظهر في الصورة مقاما الإمامين زين العابدين والمهدي عليهما السلام

عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، ولا شك في كونه موضعاً مقدساً وإلا كيف سيكون منزلاً للمغيب الذي تترقب الناس طلعته البهية، والحجة الذي نعيش برعايته، والذي لولاه لساخت الأرض بأهلها.

اليوم زرنا هذا المسجد المبارك ووقفنا على حركة الإعمار الواسعة، التي لم تغيّر شيئاً من آثاره، كما يحدث الآن لمسجد الكوفة من تغييب كامل لمقامات وآثار، بل اتجهت بكل طاقاتها لإضافة حلّة معمارية جديدة، تلقي بظلالها على جدران المسجد وأواوينه، ومداخله وخلال زيارتنا هذه سجلنا استطلاع هذا العدد، تيمّناً بذكرى ولادة قائم آل محمد، الحجة بن الحسن العسكري في النصف من شهر شعبان المعظم، على أن يكون الإعمار الذي يشهده المسجد الحصة الأكبر في طرحنا المقرر لمادة الاستطلاع.

المسجد لمحة تاريخية

المسجد هو الموضع الذي يسجد فيه، وسمي المسجد مسجداً لأنه موضع الصلاة اعتباراً بالسجود، ويرى الزجاج: أن كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، آخذاً من حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي يقول صلى الله عليه وآله فيه: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) وقال الفرّاء: إن المسجد بكسر الجيم، والفتح جائز، وهو موضع السجود من بدن الإنسان والجمع مساجد)[1]، (أما الجامع فهو صفة للمسجد، لأنه علامة للاجتماع، والمسجد الجامع الذي يجتمع فيه الناس، لإقامة صلاة الجمعة، ثم

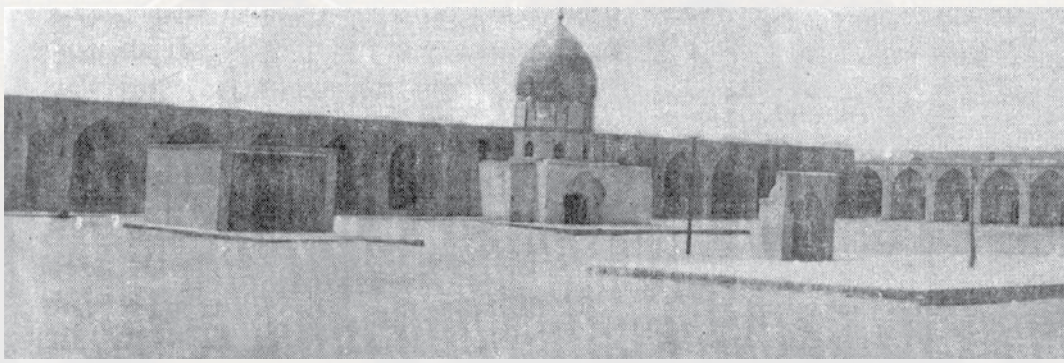

صورة قديمة يبدو فيها الجانبان الجنوبي والغربي ومقامات الأئمة زين العابدين والصادق والمهدي عليهم السلام

اخـذوا يطلقـون لفظة الجامـع على كل مسـجد تقام فيه الجمعة، وفـي العصور المتأخـرة، يطلقونهـا على كل مسـجد يصلى فيه)[٢].

وأول مسـجد بني في الإسـلام، هو مسـجد قباء الذي يقال له: مسجد التقوى لقوله تعالى (لَمَسْـجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ)[٣].

ولما كان المسجد مكاناً ذا قدسية خاصة، فقد كان الاهتمام ببنائه، منصباً علـى تعاون المسـلمين فيمـا بينهم لرفع صرحـه وتشـييد هيكله، وعـن الأدوار التـي مـرت بهـا عملية بنـاء المسـجد، يذكر الأسـتاذ محمد سـعيد الطريحي في كتابه قائـلاً: (ومن الجدير بالذكر هنا أن جميع المساجد التي مرت بأدوار ثلاثـة مـن حيـث الهيئـة المعمارية، هي البنـاء الأول البسـيط والـذي يكون من القصـب، وأحيطـت المسـاجد بخنـدق يمنـع ولوج النـاس إليها مـن دون طهارة ولمنع دخـول الحيوانات، كالذي صنعه النبـيﷺ فـي بدايـة الدعوة الإسـلامية وقلده المسـلمون عندما خططوا مسجد الكوفة، إذ لم تكن له جدران، ثم حل محله القصب واللبن، واستعمل بعد ذلك الآجر أو الحجر بدل اللبن)[٤].

ولنا مع هـذا الرأي وقفة حيث نقول: إن المسـجد الذي بناه رسول اللهﷺ مع المسلمين، كان مسجد المدينة المنورة والـذي سـاعدهمﷺ فيـه بنقلـه للحجر كما اسـتخدموا جذوع النخيل في عملية تسقيفه مستعينين بالحبال المتينة لغرض تثبيت الجذوع وربطها مع بعضها، لكي تقاوم الرياح وهـذا يعني أن الدور الأول تـم فيهـا اسـتخدام الحجـر واللبـن وإلا كيف يتم تشييد مسجد يسع عدداً هائلاً مـن المصلين والمتعبديـن، اعتماداً على مادة واحدة وهي القصب؟!

مسجد السهلة أساسيات التسمية والموقع والتأسيس

لابد لنا ونحن نذكر مسـجد السهلة أن نشـير إلى مدينة الكوفـة، التي يقع المسـجد ضمـن رقعتهـا الجغرافيـة، فالكوفـة التي أسسـت عـام ١٧هـ، لها في التأريخ الإسلامي أهمية كبرى، لما لها من ثقل اجتماعي، تنوع في تواجهاته وانتماءاته،ولسـنا بصـدد سـرد الوقائع التاريخية لمدينـة الكوفة، إلا ما جعلناه مدخلاً لمسـجد السـهلة. وقد شيدت في الكوفة مساجد عدة حيث يذكر الأستاذ كاظم الجنابي (وفيما وصلنا من نصوص المؤرخيـن أن الكوفـة لـم تقتصر في تخطيطها على المسجد الجامع وحده، بل خطّت فيها مساجد أخرى صغيرة للقبائل حسـب مواضعهـا من التخطيط ليتيسـر العبادة على المصلين ولاجتماع المسلمين فـي صلا ة الجمعة في المسـجد الجامع، وبذلـك أصبحت كل خطـة من الخطط القبلية تشـتمل على مسـجد وحبانة لدفن الموتـى)[٥]، وقد عد الأسـتاذ الطريحي في كتابه[٦] عدد المسـاجد التي كانت مشيدة في الكوفة فبلغت اثنين وتسعين مسجداً بضمنها مسجد الكوفة المعظم، ومسجد السهلة المبارك.

أولاً: التسمية:

يمكـن اعتبـار مسـجد السـهلة من المسـاجد التي اختصت بأكثر من اسم

في العصور القديمة، أما اليوم فقد غلب عليه اسم السهلة، وهنا نستعرض أسمائه فمنها:

أ ـ السهلة: والسهلة كل رملة حمراء يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين، وإلى هذا تعود تسمية المسجد لكونه يقع في بقعة تكثر بها تلك الرمال الحمراء.

ب ـ مسجد القرى: ذكر ابن الفقيه قائلاً: (وإن مسجد السهلة مناخ الخضر، ما أتاه مغموم إلا فرّج الله عنه، ونحن نسمي مسجد السهلة بمسجد القرى)[٧]

المدخل الرئيس لمسجد السهلة المعظم

ولعل، مسجد السهلة كان الأكبر والأشهر بين عدة قرى، تحيط به فكان يعبّر عنه بمسجد القرى.

ج ـ المسجد البري، ولعله من البر ـ بالكسر ـ الاتساع في الإحسان والزيادة، ومنه سميت البرية ـ بالفتح والتشديد ـ لاتساعها، سمي بذلك لكثرة خيره وبركاته ولعل من البر ـ بالفتح والتشديد ـ أي الصحراء، ونسب إليها لأنه يقع في أرض صحراوية، وقد سماه الإمام الصادق عليه السلام بهذه التسمية في رواية تأتي في معرض حديثنا عن فضله.

د ـ مسجد عبد القيس، وذلك لوقوع المسجد في خطة عبد القيس، التي تضم منازلهم.

هـ ـ مسجد بني ظفر، يذكر الطريحي رأياً بقوله: (ويبدو أن بني ظفر هم بناة هذا المسجد، وهؤلاء بطن من الأنصار نزلوا الكوفة... ينتسبون إلى ظفر، واسمه: كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن أوس)[٨] إلا أن الأستاذ كامل سلمان الجبوري يقول: (سمي المسجد بهذا الاسم لأنه يجاور ويحادد خطة بني ظفر، ولم يشر إلى بنائهم للمسجد أو الاشتراك في بنائه)[٩].

و ـ مسجد سهيل، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لو أن عمي زيداً صلى في مسجد سهيل واستجار الله لأجاره عشرين سنة)[١٠] ثم يذكر الشيخ جعفر كاشف الغطاء بقوله: (وقد استجرت به سنة الطاعون مع ما يقارب من أربعين شخصاً ما فقد منهم أحد)[١١]، (ويبدو أنها محرفة عن سهيل، ويحتمل أن

استطلاع المجلة

يكون سهيل هذا أحد عبّاد المسجد أو أئمته أو أحد من قضى عمره في خدمة المسجد)[١٢].

ثانياً: الموقع:

يقع مسجد السهلة اليوم بظهر الكوفة من الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع (جامع الكوفة) على نحو كيلو مترين تقريباً، ويمكن الوصول إلى هذا المسجد من جميع جهات الكوفة حيث إنه يقع على امتداد الطريق العام بين الكوفة وكربلاء من جهة، وعلى الطريق العام بين الكوفة والنجف من جهة أخرى.

ثالثاً: التأسيس:

لم تشر الدراسات التاريخية والآثارية التي اطلعنا عليها إلى سنة تأسيس المسجد، إلا أن ابن الفقيه يذكر نصاً ورد على لسان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو: (إن بالكوفة أربع بقاع قدس مقدسة، فيها أربعة مساجد، قيل سمّها يا أمير المؤمنين، قال: أحدها مسجد ظفر وهو مسجد السهلة.. والثاني مسجد جعفي.. والثالث مسجد غنى.. والرابع مسجد الحمراء)[١٣] وبناء على هذا القول يمكن اعتباره مشيداً منذ نشوء مدينة الكوفة أي قبل مجيء الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة سنة ٣٦هـ واتخاذها من قبله عاصمة للدولة الإسلامية، أو أثناء إقامته بالكوفة.

فضل مسجد السهلة

لقد حظى مسجد السهلة بجملة من المزايا والفضائل التي لم يحظ بها مسجد آخر فقد لوحظ تركيز أئمة أهل البيت عليهم السلام على أهميته وفضيلته والحث بالتوافد عليه، والقيام بالأعمال التعبدية الخاصة به ونحن نورد ثلاثة أحاديث عن ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضله:

١- الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (من صلى في مسجد السهلة ركعتين زاد الله في عمره سنتين)[١٤].

٢- الإمام الباقر عليه السلام: فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له أي بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عز وجل، وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: الكوفة، يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه...)[١٥].

٣- الإمام الصادق عليه السلام قد لا نبالغ حينما نقول إن الإمام الصادق اهتم بمسجد السهلة اهتماماً بالغاً، فقد أحصيت عشرة أحاديث عنه عليه السلام كلها تدل على فضله وبركته ومنفعة الاستجارة به من كل هم وضيق وخوف، ولا نعلم لماذا سأل عليه السلام عن عمه زيد بن علي عدة مرات، مستفسراً من أصحابه عن استجارة زيد بالمسجد وعدمها وعندما كان جوابهم النفي قال: أما والله لو استجار به لأجاره الله عشرين سنة، ومن هذا الحديث نستقرأ مدى عظمة الاستجارة بالمسجد، وان زيداً لو حل فيه واتجه للعبادة لكان له حصناً حصيناً، يقيه شر بني مروان الذي لم يهدأ لهم بال وزيد على قيد الحياة، على أن هذا القول لا يعد قدحاً في زيد عليه السلام الذي لو ظفر بها لجعلها في أهلها.

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

الجدار الجنوبي، وتظهر أمامه مقبرة مسجد السهلة الأثرية

وقد أكد الإمام الصادق عليه السلام أيضاً من خلال رصدنا لأحاديثه المتعلقة بمسجد السهلة: على أنه بيت القائم الذي ينزل فيه بأهله، عندما يأذن له الله بالظهور ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ومن هذه الأحاديث نستعرض حديثاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (يا أبا محمد كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله، قلت يكون منزله؟ قال: نعم، هو منزل إدريس، ما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله صلى الله عليه وآله، وما مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبه يحن إليه، وما من يوم ولا ليلة إلا والملائكة يؤون إلى هذا المسجد يعبدون الله فيه، يا أبا محمد أما أنا لو كنت بالقرب منكم ما صليت صلاة إلا فيه، ثم إذا قام قائمنا انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين)[١٦].

مقبرة السهلة

ذكرنا فيما سبق أن كل خطة من الخطط القبلية تشتمل على مسجد وجبانة لدفن الموتى، فمن الطبيعي أن يكون بجوار مسجد السهلة مدفناً، خصوصاً وأن له من العظمة ما لا توصف، واليوم نرى المقبرة ماثلة للعيان، تقع بجانب الجدار الجنوبي للمسجد وقد دفن منها جملة من الأعلام والأخيار منذ عصور بعيدة ونذكر منهم[١٧]:

نموذج من الرصف الهندسي المسمى بالرصف الشيطاني

بقايا الأواوين التابعة لخان مسجد السهلة (الجهة الجنوبية)

١- يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي أمير المؤمنين عليه السلام كان صالحاً تقياً ورعاً، قتله الرشيد محبوساً وكان معه في الحبس يحيى صاحب الديلم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ولما قتله الرشيد خنقاً في السجن، أخرج جلاوزته جثمانه ودفن في مقابر السهلة.

٢- محمد الصوفي، ابن يحيى المذكور أعلاه، أيضاً قتله الرشيد في حبسه، ودفن أيضاً في مقبرة السهلة.

٣- الشريف مجد الدين حسن بن الحسين الطاهر العلوي ولد سنة ٥٧١هـ، وبها توفي سنة ٦٤٥هـ ودفن بالسهلة.

تاريخ اختصاص زيارة المسجد في (ليلة الأربعاء)

قال السيد ابن طاووس في كتابه: (إذا أردت أن تمضي إلى السهلة، فاجعل ذلك بين المغرب والعشاء، الآخر من ليلة الأربعاء وهو أفضل من غيره من الأوقات)[١٨]، والسيد ابن طاووس هو علي بن موسى بن جعفر الحسني المولود في الحلة سنة ٥٨٩هـ والمتوفى سنة ٦٦٤هـ وهذا يعني أن زيارة مسجد السهلة كانت معروفة منذ ذلك الحين، على أن السيد هنا يخصص ليلة الأربعاء دون الليالي الأخرى، أما الصلاة بين العشاءين فقد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام في حديثه والذي يقول فيه: (...وما أتاه مكروب قط فصلى فيه بين العشاءين ودعا الله إلا فرج الله كربته)[١٩]، إلا أن الأستاذ الطريحي يذكر: (وقبل حوالي ١٥٠ سنة حصل تطور آخر جدير بالذكر، ذلك أن المرجع الديني الشهير في عصره

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

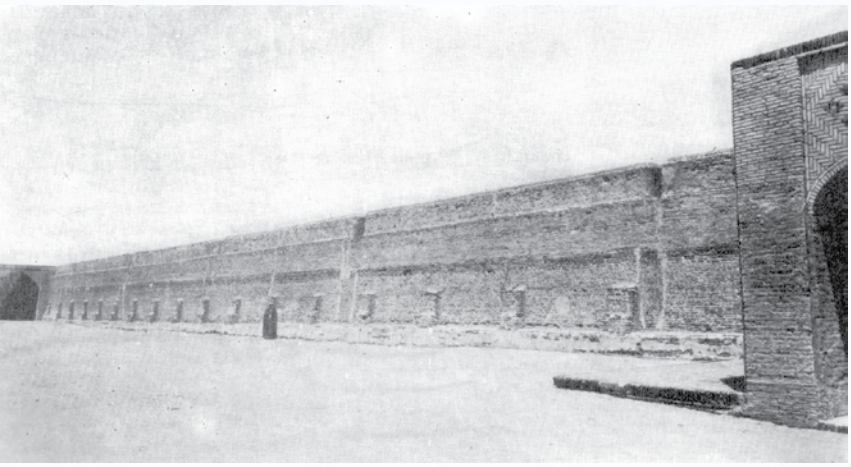

الجهة الشمالية قبل التعمير ولا يبدو فيها أي أثر للأواوين

الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر النجفي المتوفى سنة (١٢٦٦هـ-١٨٤٨م)سن للناس عادة الذهاب إلى السهلة ليلة الأربعاء في كل أسبوع، وعلى أغلب الظن أنه اختار هذا الوقت آخذاً من بعض الروايات القائلة بأن ظهور المهدي سيكون في مثل تلك الليلة ثم يضيف... وقد استمرت هذه العادة إلى يومنا هذا وشاعت منذ حينها الكثير من التقاليد الخاصة بالسهلة، ومن ذلك العمل المعروف باسم (عمل أربعين أربعاء) وهو أن يأتي الزائر للمسجد أربعين ليلة أربعاء ويؤدي طقوسه الخاصة على الوجه الأكمل)[٢٠].

ومما سبق نلاحظ أن السيد قد أشار إلى فضل زيارة مسجد السهلة ليلة الأربعاء قبل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر بستمائة سنة!!

مدخل جديد لمسجد السهلة (الجهة الشمالية)

مسجد السهلة في الماضي القريب

قبل أن نتحدث عن حملة الإعمار الكبرى التي يشهدها المسجد الآن، لابد لنا أن نقف على وصفه حتى يمكن المقارنة بين ملامحه في الماضي وما ستشهده من تغيير جذري دون المساس بالطابع الهندسي الإسلامي الذي يحمل هويته.

يصفه الدكتور كاظم الجنابي في بحث له حول مسجد السهلة قائلاً: (يشغل مسجد السهلة بقعة مستطيلة الشكل تقريباً قياسها نحو ١٤٠×١٢٥م وترتفع جدرانه نحو ٢٢م، وكل ضلع من أضلاعه

استطلاع المجلة

الأربعة تدعمه أبراج نصف دائرية من الخارج على أبعاد متساوية تقريباً على غرار مسجد الكوفة بحالته الراهنة اليوم، ومدخل المسجد الذي يبلغ عرضه نحو مترين يقع في وسط جداره الشرقي، وقد وجد مدخل آخر في منتصف الضلع الشمالي ولكنه أغلق بكسر الآجر في عصر متأخر، وفي خارج المسجد وعلى يسار مدخله حالياً يوجد بناء حديث ينقسم إلى ثلاثة أقسام مستطيلة يفصل كل منهما عن الآخر جدار نصفي يرجح أنه حاجز للخيل حيث يظن بأن هذا البناء كان مربطاً لخيل زائري المسجد في المناسبات الدينية)[٢١]، ولا أدري كيف يصف الدكتور الجنابي بأن هذا البناء حديث؟! وقد ذكره المؤرخون ممن كتب في عمارة المسجد أن تاريخه يعود إلى حوالي ٣٠٠ سنة، فهو خان تتوفر فيه قاعات للاستراحة ومرابط للخيل والحيوانات وإيوانات لنزول الزوار وقد يكون السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي قدس سره (١١٥٥-١٢١٢هـ) هو الذي أوعز ببنائه إذا ما علمنا أنه قام بتحديد المقامات في المسجد، كما أوعز ببناء خان في منتصف الطريق بين كربلاء والنجف.

أما داخل المسجد فيستمر الدكتور الجنابي بوصفه قائلاً: (... أما داخل المسجد فإنه يتألف من صحن مكشوف، تتوسطه بئر عميقة يؤدي إليها درج ينزل نحو ستة أمتار للوصول إلى الماء وعلى مقربة من مكان البئر دكة مربعة بها محراب للصلاة، ويمد الصحن من جهته الغربية أواوين لنزول زوار المسجد في المواسم الدينية، كما يوجد ما يماثلها على الأرجح في الجهة الشمالية من الصحن حيث ما زالت بقايا أكتاف مائلة في الجدار الشمالي من الداخل وهذا الجدار على ما يبدو أقدم عهداً من الجدران الثلاثة الأخرى التي يرجح أنها جددت بعد بنائها الأصلي في عصور مختلفة.

وفي الجهة الجنوبية من الصحن يقع بيت الصلاة أو المصلى، يشغل المصلى مساحة ١٢٠×٥،٥ متراً تقريباً، السقف فيه على شكل قباب محمولة على عقود مدببة

مقام نبي الله إدريس عليه السلام بحلته الجديدة

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

متناظـرة، وهذه العقود ترتكز من جهة الجدار القبلي على دعامات تبرز بمقدار ٩٠×١٨٠سـم وتقابلها أعمدة مستطيلة من الآجر قياسها من الأسـفل ٢،٣٠×١،٨٠م حيـث تبـدو في صـف طويل مطـل على صحن المسجد وأرضية المصلى مفروشة بالآجر المربع قياسـه ٢٤×٢٤×٤سم على طراز هندسـي مقسـم بهيئة مستطيلات متسـاوية الأبعاد بكل منهـا قطران من أنصاف الآجر المستطيل، وهذا الرصف يعـرف حديثاً عنـد المعماريين بالعراق (بالرصف الشيطاني).

مقاما الإمامين الصادق وزين العابدين عليهما السلام

أما المحراب فيقع في وسط المصلى وهو يخلو من آثار الزخرفة أو الكتابة)[٢٢].

المقامات الموجودة في مسجد السهلة

أيضاً سـننقل ما ثبت في الكتب عن وصـف المقامات فـي الماضي، ليكون في حالة مقارنة مع الوصف الحالي.

١ـ مقام الإمام المهدي.

(وعلى محرابه المقوصر شباك صنع من النحاس عمره لا يتجاوز المائة عام... عليه عدة زخـارف نباتيـة دقيقة الصنع، كان سـابقاً يغطـي المحـراب الحالـي لمسـجد الكوفـة، أي المحـراب الذي قتل فيه الإمام علي عليه السلام، يقع على جانبي شباك المقام الآن دعاءان شهيران يقرآن خصيصاً لمناسبة زيارة المقام، وقد كتبا على قطع القاشـاني الأزرق التي تكسو المحـراب، وداخـل بناية مقـام المهدي التي هي أكبر مقامات المسجد قاعتان من الشمال واليمين تتعبد بها النساء أغلب الأحيان)[٢٣]، يذكر الأستاذ الجنابي في مقالته عن مسجد السهلة:

(وفـي عصرنـا الحديـث بنـى أحـد المحسـنين من أهل النجف حجرة مربعة علـى واجهـة بيت الصـلاة المطلـة على صحـن المسـجد تنتهي من أعلاهـا بقبة مغطاة بالكاشاني الملون وفي داخل هذه الحجرة محراب يعرف بمحراب المهدي، وهذه الحجرة تبرز عن واجهة بيت الصلاة بمقدار خمسة أمتار تقريباً)[٢٤].

أما ما ذكره السيد البراقي في تاريخ الكوفـة حيـث يقـول: (لم يكـن مقام المهـدي معهوداً بين الناس فأمر السـيد بحـر العلوم، ببناء قبـة المقام الكريم،

ولا غرو فإنه أعرف بذلك ولا ينبؤك مثل خبير)[٢٥].

٢- مقام الإمام زين العابدين عليه السلام، يقع وسط المسجد وعن شماله مقام الصادق عليه السلام وعن جنوبه مقام المهدي عليه السلام والى الأخير أقرب، بناية حديثة عادية.

٣- مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يقع في وسط المسجد تماماً، ومحرابه مجوف كتبت على القاشاني الذي يكسو التجويف أحد الأدعية المأثورة في السهلة، وتقام على دكته المستطيلة صلاة الجماعة كل ليلة، وأكبرها في ليلة الأربعاء.

٤- مقام الخضر عليه السلام، يقع في الزاوية بين الضلعين الجنوبي والشرقي، بجانبه غرفة للعبادة تطل عليه.

٥- مقام إدريس عليه السلام، وقد قال قوم إنه بيت إدريس كان فيه يخيّط الثياب، يقع بين الضلعين الجنوبي والغربي.

٦- مقام الصالحين، ويعرف أيضاً بمقام الأنبياء هود وصالح، يقع هذا المقام بين الضلعين الشمالي والشرقي.

٧- مقام النبي إبراهيم عليه السلام يقع في الزاوية بين الضلعين الشمالي والغربي، وبعض الروايات تصرح أنه كان بيت إبراهيم، ومنه كان يخرج إلى العمالقة.

كما يقع بالقرب من مقام الإمام الصادق بئر، كان يستقى منه، ولهذا البئر سلم ينتهي إليه وهو أشبه بالسرداب، وقد أغلق البئر الآن ووضع على فوهته شباك حديدي.

كما تبرز المنارة الحالية التي أقيمت سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م وقد أرخ عام بنائها السيد محمد الحلي قائلاً:

للسهلة اقصد واستجر
من كل نائبة وكبت

مقام النبي إبراهيم عليه السلام بحلته الجديدة

منارة المسجد (الجهة الشرقية)

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

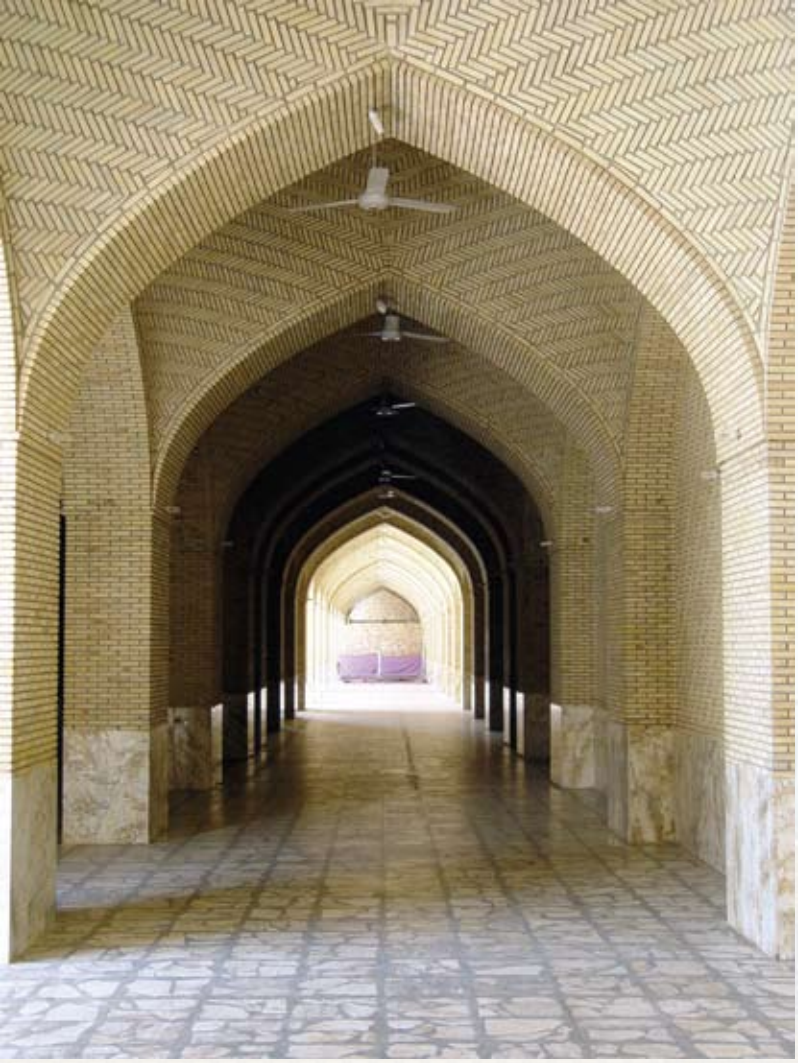

روائع الفن الهندسي تتجلى في هذه الصورة (الجهة الغربية)

هو مسجد سمت العبادة
فيه في سمت وصمت
قد عمرت فيه المنارة
للأذان يرفع صوت
مذ قيل في تاريخها
(ويؤذنون بكل وقت)[٢٦]

ترتفع المنارة حوالي ١٣م ولها سلة واحدة يصعد إليها بواسطة سلم حلزوني، ويغطي وجه المنارة المزخرف، وتزين سلتها الكتابات القرآنية.

المسجد وحملة الإعمار الواسعة

كان المسجد فيما مضى يقع ضمن منطقة خالية من الإعمار تقريباً، أما اليوم فقد أخذت الأحياء السكنية تزحف نحو المسجد حتى أحاطت بأغلب جوانبه، كما يشهد اليوم حملة إعمار واسعة بدأت تباشيرها على يد سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله) في عام ١٩٩٨م وقد صلت إلى مسامعه الكريمة أخبار عن الوضع المزري للمسجد عامة، والجدار الجنوبي بشكل خاص الذي أحدثت فيه التصدعات أضراراً بالغة وفتحات كبيرة، سمحت لقطعان الماشية أن تحاذي المسجد أو تدخله، فما كان من سماحة السيد إلا أن أوعز باستبدال الجدار بجدار آخر وبناء الأواوين الملحقة به، وبالرغم من صعوبة الظروف آنذاك وما يحيط بعملية ترميم أو بناء لأي مسجد أو مرقد من مخاوف ومعرقلات من قبل أجهزة الحكومة، المتمثلة بدائرتي الأوقاف والآثار، فقد تمثلت المعوقات في تحجيم عملية البناء ومحاولة إيقافها بكل الوسائل ومثال ذلك أعمدة المسجد.. فقد كانت الأبعاد (٣٠×٣٠سم) ملائمة جداً ويكفي إكساءها بالطابوق ولكن اللجنة المنبثقة عن دائرة الأوقاف أصرت على جعل أبعادها (٦٠×٩٠سم) وهذا يعني أخذ

استطلاع المجلة

مساحات من المسجد إضافة للكلفة المادية دون تحقيق أي فائدة من ذلك.

وبالرغم من هذه الصعوبات فقد شرع في العمل، ووضعت التصاميم الهندسية ثم تمت الموافقة عليها، ومن الجدير بالذكر أن من وضع التصاميم الإنشائية للمسجد الدكتور حيدر الدامرجي والمهندس السيد مضر علي خان، أما التصاميم المعمارية فقد وضعها المهندس كريم العبدلي.

بدأت عملية إزالة الجدار القديم، ثم بني محله جدار حديث كما بوشر ببناء أواوين تمتد على طول الجدار ذات طراز إسلامي لا يختلف عن شكل الأواوين السابقة المتصدعة التي تمت إزالتها، كما ذكر لنا ذلك مدير مشروع التطوير المهندس السيد مضر علي خان، الذي أطلعنا على عملية البناء وما تم إنجازه، وأرى من الواجب أن نذكر المرحوم الحاج محمد جواد عطية جبّوري، الذي كان معتمداً من قبل سماحة السيد في إدارة ومتابعة المشروع فكانت له وقفات مشهودة، وعزيمة ملؤها الإيمان بتجاوز المصاعب وإذلالها لإنجاز العمل دون ملل أو كلل، أثابه الله بدرجات عالية ورحمات متتالية آناء الليل وأطراف النهار. وبعد وفاته رحمه الله اعتمد سماحة السيد نجله السيد عز الدين الحكيم الذي كان عند حسن الاختيار، فقد تميز بذوقه الهندسي الرفيع ودقة الملاحظة والذي لاحظناه في اختياره للنماذج ، كما تميز بسداد الرأي في مواطن المقارنة والتفضيل.

ويتابع السيد المهندس: امتدت فكرة الإعمار لتطال المسجد بأكمله، بعد تم الحصول على دعم مادي من قبل أحد المحسنين اللبنانيين الذي زار المسجد ورأى الإعمار في جهة واحدة وعندما عرف بأن الوضع لا يسمح بإجراء تغيير شامل للجهات المتبقية من المسجد تبرع

الجهة الشرقية ولازال العمل فيها مستمراً

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

العمل في أقواس إيوان مقام الصالحين

مشكوراً لإكمال بناء الجدار الغربي وفقه الله تعالى.

وبعد زوال نظام الطاغية المباد الذي لم يعرف أدنى أهمية للمساجد، تقرر بناء المسجد بأكمله وبدأ البحث عن عمال أكفاء ماهرين لهم خبرة كافية في أعمال البناء وفق الطراز الإسلامي، من أقواس إسلامية وأواوين وعقدها بصورة متبادلة مع أخرى أصغر منها، كذلك عمل سوابيط في كل ركن من أركان المسجد عموماً لم يتسن الحصول على مثل هؤلاء العمال، وبالتالي قررنا الإعتماد على مجموعة من العمال الشباب، الذين تم تدريبهم، وجعلهم يخوضون مرحلة تجريب النماذج بالطريقة العملية حتى أصبحوا ولله الحمد وبتسديد من حجّة آل محمد عليهم السلام عمّال أكفاء، فقد نجحوا أيّما نجاح، بل أبدعوا في عملية رصف قطع الطابوق، المقطعة بطريقة فنية، وتوزيعها ضمن فضاء الإيوان وأقواسه.

وقد تزامن العمل في الجدار الجنوبي مع العمل في مقام المهدي حيث تم إنشاؤه على نفقة المحسن الحاج رشاد ناصر مرزه، والمقام هذا عبارة عن قاعة كبيرة وملاصقة للأواوين المطلة على الجهة الجنوبية من المسجد، تشغل مساحة قدرها ٦٠٠م٢.

وقد قسمت إلى قاعتين، إحداهما للرجال والأخرى للنساء، ولكل منهما مدخل خاص به، ويتوسط القاعة قبة خضراء، وتبدو من الداخل وقد زينت ببعض الآيات القرآنية، أما محراب المقام فهو عبارة عن شباك يطل على فسحة صغيرة تمثل مركز المحراب، وقد جهز المقام بوسائل الإنارة والتكييف الحديثة، كما يطل المقام على الخلف بواسطة بابين من الخشب الصاج.

يمكن القول إن نسبة الأعمال المنجزة اليوم في المسجد تمثل ٨٠٪ من نسبة الإعمار الكلية، ونلاحظ مقامي النبي إبراهيم عليه السلام والنبي إدريس عليه السلام، وقد اكتمل فيهما البناء، حيث تم تزيين الجدران والمحراب بالرخام. كما لوحظ أن قبلة مسجد السهلة تنحرف عن القبلة الحالية بـ(٤، ٩ درجة) في الموقع الجنوبي ـ الغربي ، فأصبحت المحاريب مائلة بمقدار الزاوية المذكورة أعلاه. كما رصفت أرضية الأواوين والممرات بالمرمر وبطراز حديث.

استطلاع المجلة

أما الأواوين المطلة على ساحة المسجد فهي:

١- الجهة الشمالية (١٨ إيوان) تتوسطها بوابة كبيرة سوف يتم استعمالها لدخول الزائرين، ومن الجدير بالذكر أن المنطقة الخارجية الملاصقة للجهة الشمالية سوف تستثمر في إقامة صحن يحتوي على مجموعة صحية ومساحة يمكنها أن تسع عدد الزائرين في مواسم الزيارة، وكانت هذه الجهة قبل الإعمار لا تحوي أواوين بتاتاً، فقط حائط ممتد، فاستحدث بناؤها طبقاً لما قد ذكر عن وصف المسجد في عمارة من عماراته السابقة.

٢- الجهة الغربية، (٨ إيوان) يتوسطها إيوان كبير.

٣- الجهة الجنوبية، (٨ إيوان)، مع إيوانين صغيرين عند طرفي الجهة.

٤- الجهة الشرقية (١٥ إيوان) يتوسطهما مدخل كبير جداً، وتقع بالقرب منه المنارة، تطل الجهة الشرقية من الخلف على الصحن القديم للمسجد والذي هو عبارة عن ساحة كبيرة، يحتل جانبها الجنوبي الخان والذي لازالت معالمه ماثلة، وفي النية صيانة وترميم هذه المعالم لتبقى أثراً يضم متحفاً ومكتبة، أما الجانب الشمالي فتقع المجموعة الصحية، ويمكن الدخول للصحن بواسطة بوابتين يتوسطان الجهة الشرقية منه.

والعمل في بناء وصيانة المسجد لا زال قائماً حيث نرى الكوادر العاملة منشغلة بإنجاز الأعمال المناطة بها ولاسيما في مقامي الصالحين والخضر عليه السلام، كما سيشهد مقام الإمام الصادق عليه السلام تعميراً في الفترة المقبلة، حيث سيعمد إلى وضع صبّة بارتفاع نصف متر تقريباً تشمل مساحة مناسبة تكفي لعدد كبير

مقام الإمام المهدي عليه السلام من الداخل

مسجد السهلة المعظم بيت البركة ومحل الرحمة

رصف فضاء إيوان مقام الخضر عليه السلام بالطابوق

من المصلين وسوف تغلّف بالمرمر كما تشمل الصيانة المحراب الموجود، أيضاً وسيدخل مقام الإمام زين العابدين عليه السلام ضمن خطة الإعمار.

نأمل أن يكون العمل الدؤوب الذي يتم في مسجد السهلة، رسالة إلى ديوان الوقف الشيعي، ودائرة الآثار في الالتفات إلى مساجدنا ومراقدنا والعمل على تعميرها مع الحفاظ على هويتها العربية الإسلامية. ولئلا يكون الهم في التعمير مع طمس المعالم الأثرية ذات الطابع الديني كما حدث ذلك في أكثر من مسجد ومرقد.. والله من وراء القصد ■

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات ص: ٢٢٣.
(٢) الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة ص:٦.
(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٨.
(٤) الطريحي، العتبات المقدسة ص:٧.
(٥) الجنابي، مسجد السهلة، بحث في مجلة بغداد العدد ٢٧ سنة ١٩٦٦م ص: ١٥.
(٦) الطريحي، العتبات المقدسة.
(٧) المصدر السابق ص: ١٧٦.
(٨) المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها ص:٣٩.
(٩) الجبوري، مساجد الكوفة ص: ١١٦.
(١٠) جعفر الكبير، كشف الغطاء ١/ ٢١٢.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) الطريحي، العتبات المقدسة ص: ١٥٦.
(١٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل ٣/ ٣٩٨.
(١٤) الشيخ المفيد، المزار ص: ١٤.
(١٥) ابن قولويه، كامل الزيارات ص: ٧٦.
(١٦) الراوندي، قصص الأنبياء ص: ٨٤.
(١٧) الطريحي، العتبات المقدسة ص: ٧٨.
(١٨) المجلسي، بحار الأنوار ٩٧/ ٤٤٥.
(١٩) الكليني، الكافي ٣/ ٤٩٥.
(٢٠) الطريحي، العتبات المقدسة ص: ١٧٤.
(٢١) الجنابي، بحث في مجلة بغداد ص: ١٦.
(٢٢) المصدر السابق.
(٢٣) الطريحي، العتبات المقدسة ص: ١٨٢.
(٢٤) الجنابي، بحث في مجلة بغداد ص: ١٧.
(٢٥) البراقي، تاريخ الكوفة ص: ١٥٢.
(٢٦) الطريحي، العتبات المقدسة ص: ١٨٥.

في رحاب الفقه

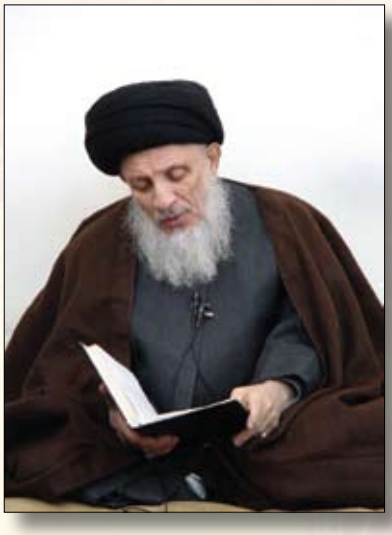

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في
استقبال أسئلتهم الفقهية،
والإجابة عنها في ضوء فتاوى
سماحة المرجع الديني الكبير
السيد محمد سعيد الطباطبائي
الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما مدى اعتبار تحديد البوصلة للقبلة وهل هو تحديد حقيقي أم تقريب؟ وماذا يجب علينا من جهة الصلاة سابقاً ولاحقاً؟

ج: التحديد التقريبي العرفي كاف مع عدم العلم بالجهة الحقيقية للقبلة كما هو المتعارف، ولا يجب تكلّف التعرف على الجهة الحقيقية والمداقّة في ذلك، بل تكفي الجهة العرفية.

س: من المقصود في الآية الكريمة: (وجاء ربك والملك صفا صفا)؟ هل هو الله تعالى مع الملائكة؟

ج: نسبة المجيء إليه تعالى من المتشابه الذي يحكمه قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى: ١١. (وما ورد في آيات القيامة من خواصّ اليوم، والى ذلك يرجع ما ورد في الرّوايات (كرواية عيون الأخبار الجزء ١ ص١٢٥ قال: (سألت الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً) (الفجر:٢٢)، فقال عليه السلام: إن الله سبحانه لا يوصف بالمجيء والذّهاب، تعالى عن الانتقال إنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً) فيكون

المراد بمجيئه تعالى مجيء أمره، قال الله تعالى (وَالأَمْرُ يَوْمَئِذ للّه)(الانفطار: ١٩) ويؤيد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ في ظُلَلٍ منَ الْغَمَام وَالْمَلاَئكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ) (البقرة:٢١٠) بملاحظة قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) (النحل: ٣٣) وعليه فهناك مضاف محذوف والتقدير جاء أمر ربّك. أو نسبة المجيء إليه تعالى بنحو المجاز العقلي.

س: أيهما أفضل للنساء الصلاة جماعة في المسجد أو الصلاة فرادى في بيتها؟

ج: صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وأفضل البيوت المخدع ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ.

س: هل يجوز لبس النظارات التي يكون طرفاها من الذهب أو مطليين بالذهب؟

ج: إذا كان طرفا النظارة من الذهب لم يجز لبسها للرجال وأما إذا كانا مطليين بنحو يكون الطلاء من سنخ اللون عرفاً ولم يكن له جرم معتد به فلا بأس بلبسها للرجال، ويجوز لبسها للنساء في الصورتين، نعم لا يجوز لها إظهار الزينة أمام الرجال الأجانب.

س: هل يجب علي دفع الخمس في الهدية التي حصلت عليها وكانت في حوزتي لأكثر من سنة؟

ج: يجب الخمس في الهدية وفي كل ربح أو فائدة زائدة عن مؤنة السنة عند حلول رأس السنة الخمسية.

س: ما معنى الاعتكاف وأين يكون؟

ج: الاعتكاف أي التعبد لله تعالى باللبث في المسجد والمكث فيه إلى ثلاثة أيام ويشترط فيه مضافاً إلى الإيمان والعقل أمور:

١ـ النية. وهي المكث في المسجد وعدم الخروج منه إلا لحاجة.

٢ ـ الصّوم.

٣ ـ العدد. فلا يشرع الاعتكاف اقل من ثلاثة أيام.

٤ ـ أن يكون في المسجد الجامع في البلد.

والاعتكاف مندوب في نفسه ويستحب في أي زمان ولكن يتأكد استحبابه في شهر رمضان.

س: لقد نذرت أنه إذا رزقني الله ولداً أن اسميه محمداً تيمناً باسم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهل أستطيع أن اسميه محمد حسين أو محمد مهدي بدلاً من الاقتصار على اسم محمد وهو مورد النذر؟

ج: اسم (محمد حسين) أو (محمد مهدي) بنحو التركيب غير اسم (محمد) مجرداً فبذلك لا يتحقق الوفاء بالنذر.

س: إذا لم اعرف أحداً من أهل الخبرة وانعدم شياع المرجع الأعلم فكيف اعرف المرجع الأعلم؟

ج: يجب عليك الاحتياط في العمل أو الفحص عن أهل الخبرة حتى يعينوا لك الأعلم، علماً أن الأمر ليس بهذا التعقيد

وبالإمكان العثور على العديد من أهل الخبرة.

س: هناك بعض الأحاديث تحث على إخفاء العبادة، ولكن إن الإخلاص هو تساوي الظاهر والباطن وعدم الاكتراف بالناس؟

ج: الأحاديث المذكورة لا يراد منها العبادات التي نُص على الإتيان بها أمام الناس وجوباً كالحج أو استحباباً كالصلاة جماعة، بل المراد ما عدا ذلك من العبادات كالنوافل والصدقات.

واللازم على المؤمن أن يخلص بعبادته ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، ولا يكترث لوجود الناس أو عدم وجودهم في عبادته وطاعته.

س: هل يجب تخميس الأموال والهدايا الخاصة بالطفل من قبل الولي أم يجب الخمس عند بلوغ الطفل؟ وإذا كان واجباً هل يكون في يوم خمس الولي؟

ج: يثبت الخمس في مال الطفل ويقوم الولي بإخراجه عنه ويكون الخمس في يوم رأس سنة الطفل، وهو أول يوم حصل فيه على مالٍ في حياته.

س: رزقني الله بمولود ذكر بالنسبة للعقيقة هل صحيح أنه من المستحب أن يعق عن المولود الذكر خروفان ذكران؟

ج: العقيقة شاة أو بقرة أو بدنة وافضل العقيقة كبش خصوصاً عن الذكر، ويستحب تعددها عن الواحد.

س: لو حصل الاطمئنان الشخصي بصحة الحسابات الفلكية في ولادة الهلال وكونه قابلاً للرؤية بالعين المجردة فهل يمكن الاعتماد على هذا الاطمئنان في إثبات الشهر أو العيد مثلاً؟ وخاصة إذا صدرت عن أهل الخبرة في هذا المجال؟

ج: الحسابات الفلكية تحدّد خروج الهلال من الشعاع، ولا تحدّد إمكانية الرؤية بشكل دقيق - التي هي المعيار الشرعي لثبوت الهلال -، إلاّ في حالات معيّنة يعرفها المتخصّص، لان هناك عدّة عوامل تساهم في إمكانية الرؤية، مثل المسافة بين الهلال والشمس ومقدار قربه وبُعده عرضاً وصفاء الجوّ ودرجة نور الهلال، وغير ذلك، فيكون إخبار الفلكيين حدسياً لا حسياً فلا يكون حجة، لذلك لا يمكننا إطلاق القول بالاعتماد على الحسابات الفلكية، لان غير الخبير يقع في الالتباس والخطأ.

س: ١ . في مسألة الموسيقى ما هي الضّوابط الّتي تحدّد كون الموسيقى محلّلة أو محرّمة؟

٢. ما معنى الطّرب المحرّم في الغناء والموسيقى؟ وهل هو مجرّد خفّة الرّوح؟ علماً أنّ كلّ أداء وموسيقى تسبّب خفّة معيّنة وتغيّراً في الرّوح؟ فما هي الحدود الواضحة لتحديد كون الأداء مطرباً؟

ج: ١، ٢ - إذا كانت الموسيقى لهوية

حرم استماعها وإلاّ فيجوز، والمقصود باللهو المحرم كل ما يبتني على التلذذ اللهوي بالخروج عن مقام الجد والواقع الحاضر إلى نحو من العبث المبني على التوجه لباطن النفس وتنبيه غرائزها وهز مشاعرها بالإيقاع الموسيقي إشباعاً لرغبتها في المزيد من الابتهاج والتفجع والفخر أو الغرام أو غير ذلك حسب اختلاف الأغراض وأما الطرب فهو حالة نفسية تنشأ من استعمال آلات اللهو بنحو يؤدي إلى شعور بخفة الروح انسجاماً مع إشباع رغبتها في المزيد من الابتهاج أو التفجع أو الغرام أو غير ذلك مما تقدم.

س: هل يجوز أكل وبيع وشراء الدجاج أو اللحم المستورد من بلدان غير إسلامية مكتوب عليها عبارة (مذبوح على الطريقة الإسلامية) أو (لحم حلال)؟

ج: لا يجوز ذلك لمجرد هذه العبارة، نعم إذا كان البائع مسلماً واحتمل تحققه وإحرازه لتذكيتها جاز شراؤه واكله.

س: هل يجوز للمرأة أن تصلي وظاهر قدمها وباطنه مكشوفان؟

ج: يجوز ذلك من جهة الصلاة والأحوط وجوباً سترهما عن الناظر الأجنبي.

س: فيما لو أعطيتم الوكالة لأحد الأشخاص بجمع أموال الخمس فهل نعتبر هذا تزكية منكم للشخص فتجوز الصلاة خلفه؟ وما الفرق بين الإجازة في الرواية وإجازة الأمور الحسبية؟

ج: الإجازة باستلام الحقوق الشرعية تعني أن من حق الشخص استلامها وإيصالها وإيصال الوصل بالمبلغ إلى صاحب المال ويكفي في ذلك نحو من الوثاقة. ولا تعني الشهادة بعدالة الشخص منح الإجازة له في الرواية التي هي إعطاء إجازة لشخص بالرواية عن المجيز ما يرويه بواسطة مشايخه من النصوص، وهي في هذه العصور تشريفية وليس لها اثر عملي بينما الإجازة في الأمور الحسبية تعني أن المجاز من حقه التصدي لما يحق للحاكم الشرعي أو وكيله التصدي له في الموارد المذكورة في الفقه.

س: ما حكم مادة الكحول شرعاً المستخدم في الأدوية طاهر أم غير طاهر؟

ج: إذا كانت مسكرة مائعة بالأصل كانت نجسة ويحرم شربها وشرب ذلك الدواء المتنجس بها إلا في حال الضرورة بحيث تبيح شرب الخمر أو المتنجس بها! وإذا كانت غير مسكرة أو من المواد المسكرة الجامدة بالأصل ثم تذاب في الأدوية فهي طاهرة، ويجوز شرب الدواء المختلط بها إذا لم يكن مسكراً.

س: الصور المرسومة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) هل يجوز تعليقها في المنزل؟ وهل يجوز الاعتقاد بأنها صورهم؟

ج: يجوز تعليقها في المنزل بما أنها تشير إلى ذلك المعصوم (عليه السلام)، ولا دليل على صحة هذه الصور ونسبتها إليهم (عليهم السلام) ■

القوّة في خطابة الحوراء زينب(ع) في الكوفة والشام

• م. م. عباس علي الفحام
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع قد يعتقد القارئ لسيرة الحوراء زينب عليها السلام أنها امرأة أضعفها الحزن وأقعدتها المصيبة سيما أن سيرتها المباركة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بأحداث كربلاء الدامية المفجعة، صحيح أن مصيبة عاشوراء مما يشق حمله على الرجال فضلاً عن النساء ولكن زينب ليست كأي امرأة أنها وبغير تعريف لها بنت علي بن أبي طالب وبنت فاطمة الزهراء عليها السلام.

في التاريخ قلة من النساء الثواكل أحال الحزن كلماتهن إلى قوة وحماسة في الأداء البياني وليس إلى يأس

وتبكيت، لعل الخنساء في زمن الجاهلية من هذه القلة وهي تبكي أخاها صخراً:

وان صخراً لتأتم الهداة به
كأنه عَلم في رأسه نار

وليس من باب المقارنة ذكر الخنساء لكننا في صدد التسلسل التاريخي وهي ليست بعيدة العهد.

وفي عهد النبوة كانت فاطمة الزهراء عليها السلام المفجوعة بفقد أبيها صلى الله عليه وآله قوية في أدائها البياني الخطابي أحالها الحزن إلى ثورة حقيقية على الانقلابيين كقولها: (وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين...)

وبعدما يقرب من خمسة عقود من هذه الحقبة تقف ابنتها (زينب) بالحدة نفسها من الانفعال والقوة في الكلمات.

ولا شك أن موقف الحوراء زينب أشد إيلاماً ووقعاً على النفس فالمناخ الذي ألقيت فيه خطبتا زينب عليها السلام في الكوفة والشام قائم لا يحتمل: قتل وتنكيل.. ورؤوس مقطعة، محمولة على رماح.. وأسارى من نساء وأطفال تساق سوقاً. بهذا الجو الذي اصطنعه الطغاة دوّت كلمات عقيلة الطالبيين كالصاعقة زلزلت عروش الظالمين وقد ظنوا أن أصوات الحقيقة ستخمد والى الأبد بقمعهم وإرهابهم لذلك بان خورهم أمام قوة الكلمة وراحوا يلتفون على الحقيقة: فهذا يزيد يقول بعد سماعه خطبة زينب عليها السلام في الشام:

يا صيحة تحمد من صوائح
ما أهون الموت على النوائح

وهذا عبيد الله بن زياد قبله يقول بعد خطبة زينب عليها السلام في الكوفة: (إنما أنت سجّاعة وقد كان أبوك سجاعاً)

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام حين فرغت عمته زينب من خطبتها في الكوفة: (يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة).

بهذا المدخل ستكون لدينا وقفات مع القوة في الأداء الخطابي للحوراء.

وللقوة محوران في الخطابة: الأول: قوة في الشكل. والثاني: قوة في المضمون.

الأول: وسندرسه في النقاط الآتية:

قوة اللفظ:

جاءت ألفاظ الحوراء في غاية القوة، روعي فيها اختيار دقيق وفطري لملاءمة الحدث سواء كان في المبنى أم في المعنى.

كقولها في الكوفة تصف الأقدام على قتل أخيها الحسين عليه السلام: (لقد جئتم بها شوهاء صلعاء عنقاء سوداء فقهاء خرقاء). فكل لفظة صورة مستقلة بذاتها قوية في أدائها للمعنى.

وتقول مخاطبة يزيد: (ولا عجب من فعلك وأنى يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السعداء ونصب الحرب لسيد الأنبياء وجمع الأحزاب وشهد الحراب وهز السيوف في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله...)

وقوة الألفاظ وردت في: لفظ، أكباد، الشهداء، نبت، دماء، الحرب، الحراب، السيوف).

وقبل ذلك قولها عليها السلام: (لعمري لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة باراقتك دم سيد شباب أهل الجنة وابن يعسوب الدين وشمس آل عبد المطلب وهتفت بأشياخك وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك ثم صرخت بندائك ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك ولتود يمينك كما زعمت شلت بك عن مرفيقها وحدت وأحببت أمك لم تحملك وأباك لم تلد أو حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم خذ بحقنا وانتقم من ظالمنا وأحلل غضبك على من سفك دمائنا ونقض ذمارنا وقتل حماتنا وهتك عن سدولنا).

وقد جاءت الألفاظ القوية في: (نكأت، استأصلت، إراقة، دم، دماء، يمين، شلت، سخط، مخاصمة، انتقم، ظالم، غضب، سفك، قتل، هتك).

قوة الصياغة:

وصياغة العبارة في خطبتي الحوراء محكمة النسج صادرة عن حماسة وانفعال وقوة تمكن تلمسها في طريقة الأداء وتنوع الأسلوب فقد كثر التوكيد بأساليبه المختلفة: كتكرار أفعال الأمر كما في المثال السابق: (اللهم خذ بحقنا... وانتقم واحلل).

وقولها عليها السلام: (كد كيدك واسع سعيك وأجهد جهدك). وتكرار أسلوب النفي (لا تدرك أمدنا ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا ولا يرحض عنك عارها).

ومن أساليب التوكيد أسلوب القصر بالنفي والاستثناء كقولها: (وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد)، واستعمال (إن) والقسم كقولها: (مع إني والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظم تقريعك)، وأسلوب التقديم والتأخير كقولها: (فإلى الله المشتكى والمعوّل وإليه الملجأ والمؤمل).

ومن أساليب قوة صياغة العبارة تنوع الأساليب بما يناسب مقتضى الحال في الانتقال من الخبر إلى الإنشاء ومن الإنشاء إلى الخبر، كقولها: (أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقت علينا آفاق السماء... فأصبحنا لك في أسار نساق إليك سوقاً في قطار وأنت علينا ذو اقتدار أن بنا من الله هوانا، وعليك منه كرامة وامتنان، وأن ذلك لعظم خطرك.. فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً.. أنسيت قول الله عز وجل...).

ففي هذه الفقرات ثمة انتقال مفاجئ رائع من الأسلوب الإنشائي في بداية الكلام بالاستفهام والنداء إلى أسلوب الأمر والنهي في قولها (مهلاً) بالمصدر النائب عن فعل الأمر والنهي في (لا تطش) وهذا النوع يهب قوة في الأداء ويزيد من انشداد السامعين ويقظتهم.

ومن أساليب صياغة العبارة في الكلام الحوراء الأسلوب السجعي العفوي الذي يأتي بشكل لا يثقل معنى العبارة ولا يقهره على اللفظ بل هي لحظات الانفعال الخطابي والحماسي الذي تكون موسيقى العبارة أظهر صورة. سيما أن الخطبة جاءت مرتجلة ولا يمكن تصور الأعداد لها والحوراء في أذى الأسر والمسير، كقولها تخاطب

يزيداً: (فشمخت بأنفك ونظرت بعطفك تضرب أصدريك فرحاً وتنقض مذرويك مرحاً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور عليك متسقة).

وكقولها عليها السلام: (مهلاً مهلاً لا تطش جهلاً).

وقولها: (فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء).

وقولها: (فلئن اتخذتنا مغنماً لتجد بنا وشيكاً مغرماً).

والحوراء بفطرتها البيانية السليمة تترك السجع إذا استشعرت استثقاله على معنى الجملة كقولها: (الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة وختم لأصفيائه بالشهادة ببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرأفة والرضوان والمغفرة ولم يشق بهم غيرك ولا ابتلى بهم سواك).

قوة الاقتباس:

الاقتباس هو تضمين الكلام بشكل خاص من القران الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر أو المثل بنصه أو يتصرف فيه المقتبس.

وهو دليل ثقافة وعمق المقتبس وهو بعد دليل يدعم به رأيه أثناء الكلام.

وفي خطبتي الحوراء في الكوفة والشام جاء الاقتباس مؤثراً قوياً مناسباً لمضمون كلامها عليها السلام كقولها تخاطب قتلة الحسين عليه السلام في الكوفة: (إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم هل فيكم إلا الصلف والعجب والشنف).

وهذا مثل مقتبس بنصه من القران الكريم والمعنى عدم الانتفاع من خيوط الصوف ولا مما يحاك لأنه ينقض.

ومن الاقتباس القرآني قول الحوراء في الخطبة نفسها: (لقد جئتم شيئاً إدّا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق

صورة نادرة للمرقد الزينبي قبل التعمير

واحة الأدب

الأرض وتخر الجبال هدا، لقد جئتم بها شوهاء صلعاء...)، وأول الفقرة نص آية كريمة من سورة مريم.

وكقولها عليها السلام: (أعجبتم أن تمطر السماء دماً ولعذاب الأخرى أخزى وهم لا ينصرون).

أما خطبتها أمام يزيد فالأثر القرآني المقتبس غير قليل كقولها مستفتحة: (صدق الله ورسوله يا يزيد ثم كان عاقبة الذين أساؤوا أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون)، وكقولها: (أنسيت قول الله عز وجل (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)، وكقولها: (وسترد على رسول اللّه صلى الله عليه وآله برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

ولا عجب أن ترد هذه الكثرة من الاقتباس القرآني في كلام الحوراء فهي من أسرة تنفست القران روحاً ولفظاً.

ومن اقتباس الأمثال قولها عليها السلام: (لعمري لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة)، والشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب. ويقولون: استأصل الله شأفتهم أي أزالهم من أصلهم ومن ذلك حديث الإمام علي عليه السلام قال لأصحابه (لقد استأصلنا شأفتهم) يعني الخوارج.

ومن اقتباس كلام الإمام علي عليه السلام قولها في الكوفة: (فتلك قلوب قاسية ونفوس طاغية... قد عشب فيه الشيطان وفرخ ومن هناك مثلك ما درج). فهذا يشبه قول أبيها الإمام علي عليه السلام وهو يذم أتباع الشيطان: (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً وأتخذهم له اشراكاً فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في جحورهم).

قوة الصورة:

والصورة مجموعة العلاقات البيانية، وهي في غالب الأحيان تعكس نفسية الأديب ورؤيته كما أنها أقدر على تجسيد المعاني وإظهار الانفعالات الإنسانية المختلفة وقوة الصورة في كلام الحوراء جاءت بأشكال عدة:

مرة في المثل القرآني كما مرّ في الاقتباس القرآني في تصوير حيرة القتلة والمروجين لقتال الحسين عليه السلام، ومرة تعقد الحوراء ليزيد مشهداً حياً مكتمل الأجزاء تصوره هو وأشياخه يوم القيامة بجانب خصيمهم رسول الله وأهل بيته بجانب آخر والحكم الله تبارك وتعالى.

تقول عليها السلام: (ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك... حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله...).

وقولها عليها السلام: (وحسبك بالله ولياً وحاكماً وبرسول الله صلى الله عليه وآله خصماً وبجبرئيل ظهيراً).

ومن الصور القوية المؤثرة قولها مخاطبة يزيد لتجسيد فداحة ما ارتكبه من عمل: (ما فريت إلا جلدك وما جززت إلا لحمك).

وقولها عليها السلام: (فهذي الأيدي تنطف من دمائنا وهذه الأفواه تحلب من لحومنا وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات).

وقولها عليها السلام: (ولتردن على الله وشيكاً موردهم ولتودن انك عميت وبكمت وانك لم تقل فاستهلوا وأهلوا فرحاً).

وقولها تصف قتلة الحسين عليه السلام بأنها (أجسام محشوة بسخط الله).

أما المحور الثاني القوة في المضمون: فلا أجد معنى أقوى من التفات الحوراء إلى تفنيد مزاعم يزيد بأنه مؤيد من الله وان هؤلاء الأسارى خوارج عن الدين لذلك حرصت الحوراء في بداية خطبتها عن أبطال هذا المزعم وتفنيده وقد تم لها ذلك فضلاً عما جاء في كلامها عليه السلام من تبيان لفداحة انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل ذريته وأسر حرمة.

والحق لا يسعني إلا أن أشارك (حذيم بن شريك الازدي) رأيه وكان قد سمع خطبة الحوراء في الكوفة إذ قال: (لم أر والله خفرة أنطق منها كأنها تنطق على لسان علي عليه السلام).

وابن شريك وهو أحد أصحاب الإمام زين العابدين لم يبالغ بقوله، فثمة تشابه في قوة البيان وتصادف في المكان (الكوفة) ومن أشبه أباه فما ظلم ■

المصادر

١- القران الكريم
٢- بلاغات النساء/لابن طيفور
٣-الاحتجاج/ للطبرسي ج:٢.
٤- شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ج:١.
٥- لسان العرب /لابن منظور.

فضل صيام رجب وشعبان

* عن علي بن سالم، عن أبيه، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إلي قال لي: يا سالم، هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله. فقال لي: لقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلا الله عز وجل، إن هذا شهر قد فضله الله وعظم حرمته، وأوجب للصائمين فيه كرامته. قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فإن صمت مما بقي شيئاً، هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصائمين فيه؟ فقال: يا سالم، من صام يوماً من آخر هذا الشهر، كان ذلك أماناً له من شدة سكرات الموت، وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر هذا الشهر، كان له بذلك جواز على الصراط، ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر، أمن يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده، وأعطي براءة من النار.

* عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: صيام شعبان ذخر للعبد يوم القيامة، وما من عبد يكثر الصيام في شعبان إلا أصلح الله له أمر معيشته، وكفاه شر عدوه، وإن أدنى ما يكون لمن يصوم يوماً من شعبان أن تجب له الجنة.

أمالي الصدوق ص:٦٥، ٦٨

قصيدة:

وأطل فجر

في رثاء شهيد المحراب سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم قدس سره بمناسبة الذكرى الثالثة لاستشهاده

• **محمود محمد حسين الموصلي**

عهدٌ تولى وانقضتْ أعوامُ ... واندكّ عرشُ البغي فهوَ حطامُ
وتقوضتْ من أسّها أركانُه ... فإذا الديارُ بلاقعٌ وركامُ
هذا العراقُ وكلُّ شبرٍ مدفن ... شهدتْ عليه جماجمٌ وعظامُ
وحرائرٌ غالت بهنّ فواجع ... قد سطّرتها بالدِما أقلامُ
فلهنّ في ليلِ السهاد مواجعٌ ... ودموعهنَّ من البكاءِ سجامُ
أوقدنَ من نارِ الحشاشةِ جمرة ... يقتاتُ منها رضّعٌ أيتامُ
هي نفحةٌ من مكرماتٍ مَنَّها ... البرمكيّ بجودِه صدامُ
هذا الذي جعلَ الرذيلة شرعةً ... وبإسمه كم شرّعتْ أحكامُ
ما الدينُ إلا لعبةٌ يلهو بها ... سيان ما قد حَلّه وحرامُ
وأطلّ فجرٌ قد تشعشعَ ضوؤُه ... فأنارَ وجهُ الكون وهو ظلامُ
وتفتحت زهر الربى مزهوة ... وأفتر ثغرُ الأرض وهو جهامُ
وتجاوبت نشوى سهولُ وأوّبت ... شوقاً جبالٌ وثلثت أنسامُ
وتعانقت في لهفة وتمايلت ... جذلى غصون شاقُها أنغامُ
والطير يصدحُ بالثناء مغرداً ... هيهات حُرٌّ بعد ذاك يضامُ
هيهات منّا سلةً أو ذلةً ... ذا سيدٌ قَد قالَها وإمامُ
رايـاتُ بدرٍ لم تزلْ خفاقة ... يمضي بها صوب العلى إقدامُ
وسواعدٌ للحقّ تبني دولة ... يعلي بناها فارسٌ مقدامُ

مـن مجلس للعدل أثـمـر ينعهُ ... صَرحـاً تَـفـيـأ ظـلّـه الإسـلامُ
قـد زانَـه قـرمٌ أغـرُ وسيـدٌ ... آبـاؤه الـصـيـدُ الأبـاة كـرامُ
هـو بـاقـرٌ للعلم وهـو محمدٌ ... وعليه مـن ربّ الـسـلام سلامُ
من معشرٍ عشقوا البطولة والفدى ... مـا ضرّهـم أن الـطـريـقَ حمامُ
فهم النجومُ الزهر في فلك الدجى ... ولـدى الـضـرابِ مهندٌ وحسامُ
السابقون السابقون ذوو النهى ... للهِ شـأنٌ عـنـدهـم ومـقـامُ
ورِثـوا الفضائل كابراً عن كابرٍ ... أنـى تحـيـط بـحـصرهـا أرقـامُ
سـاروا فما وهنتْ لهم من عزمةٍ ... سـيـان إمـا أتهـمـوا أو شـامـوا
وترسموا نهج الأُولى من هاشم ... أهـل التقى مَـن ذكـرُهـم إعظامُ
مَن ذكرُهم طبُّ النفوس وبَرؤها ... وولاؤهـم يـومَ الحـسـابِ لـزامُ

قصة قصيرة:

انتظـــار

• بقلم: بنت العراق

ينابيع هو الانتظار ما أقساه... وما أشده على النفس إذا طال... لمحته في عيون جدتي وعشت معه... ومع حكاياتها التي لا تنتهي عن ابنها الوحيد (زيد)... جدتي تسكن معنا منذ أن وعيت واعتدت مجالستها في أوقات الفراغ وكان حديثها عن أيامها الماضية سيلاً لا ينضب.

كان لها أربع بنات أكبرهن أمي وقد رزقها الله أخيراً بزيد... وكان شاباً شهماً يأبى إلا أن يحق الحق (هكذا تصفه أمه) ومن يراه يحسبه أكبر من عمره بعشر سنين لرجاحة عقله وحسن تفكيره... وبعد قبوله في كلية القانون انتمى لأحد الأحزاب المعارضة للنظام وشارك فيه مشاركة فعّالة... وكم سعت العائلة لردعه عن هذه الدرب الخطرة... لكنه كان يجيب بحمية إذا سكت أنا... وصمت الآخر... وخاف فلان... فمن الذي يخلصنا... (عامر عبد السلام) كذلك... وهو أقربائنا من بعيد. تطورت علاقته بزيد بعد انتمائه للحزب وشارك معه. كانا يذهبان ويعودان سوية ويتناقشان بسرية... ولكثرة تردد عامر على الدار أصبح كفرد منها يروح ويغدو مثله كمثل زيد لا فرق...

في ليلة شتائية قارصة البرد هجم كلاب النظام على الدار وقلبوه رأساً على عقب... وأخذوا فلذة كبدها (زيد) وزوجها العجوز وتركوها وحيدة...

بعد أيام عاد الأب بعد أن خيّروه بين التطوع في الحزب أو الإعدام... ودعها والتحق بالجبهة... الحرب التي طحنت رحاها جميع الشباب لم يبق إلا الشيوخ ليشتركوا فيها... ودعها وسار في طريق لم يعد منه حتى اليوم...

ظل عامر مخلصاً للعائلة يتردد على البيت ويرعى الأم الوحيدة ويأتيها بالأخبار... كانت تتلقاه بلهفة وتمطره بالأسئلة التي لا نهاية لها... أين أخذوا ولدي...؟! أين سجنوه...؟ سأعطيهم ما يشاؤون... كل ما أملك... أرجوك يا بني... حاول... ثم تبدأ بالبكاء... وعامر يستمع إلى هذه الشكوى الموجعة بين الحين والآخر ويعاهدها بالسعي... بعد شهرين جاء عامر يحمل لها البشرى (أخليّ سراح زيد بشرط أن يلتحق بالجبهة) وهنا شهقت الأم... أيمضي في نفس طريق والده... يا للحسرة... مرت عدة أيام ثقيلة قبل أن يأتي عامر

مسـرعاً بنبأ غير متوقع (لقد استطاع زيد الفـرار إلى إيران الإسـلامية بعد التحاقه بالجبهة... وهو بخيـر الآن...) كان الأولى أن تعم الفرحـة البيت... جمعت الأم بناتها في حفل غداء... إنه يوم سـعيد لقد غمرت الفرحة قلبها المقروح شهوراً طويلة... لقد عـاد إليها ولدهـا وإن كان بعيـداً عنها... الحمد لله.

منذ ذلك اليوم وعامر يتردد على البيت يحمل للأم الملهوفة أخبار الولد الحبيب... وكلهـا مفرحـة ورائعـة... أصبـح عامـر كالـدواء المهدئ الـذي أدمنته (جدتي)... وغالبـاً ما كنت أراه عندما يدخل يصحبه أبي إلى غرفة جدتـي المنزوية ويتحدثون بصوت خافت طويـلاً... ثم ينفرط الجمع وألمح البِشـر يعلو وجه جدتي التي تهمس شـيئاً فـي أذن أمي... وسـرعان ما أعرف بعـد إلحـاح... لقد تـزوج خالي زيـد بفتاة عراقيـة (مُسـفرة مـع عائلتها إلـى إيران) ورزق منهـا بطفل... ومرت أعوام ليكون لديه بيـت... وعمل لا بأس بـه... وثم ثلاثة أطفـال (محمـد، مجاهـد، مريـم) وعلى هذه الطريقة كانـت جدتي تعرف أخبار وحيدها من أعزّ صديق لديه.

سـألتها ذات مرة: من أين يعرف عامر أخبار خالي؟!

فأجابـت: عـن طريـق الحـزب الذي ينتمي إليه يا بنيتي.

ولماذا اعتقلوه؟

الله أراد ذلـك... لربما تركه ليكون حلقة الوصل بينـي وبين ولدي... ولكن... حـذار يا حبيبتي أن تخبـري أحداً بأن لك خالاً... إياك... أفهمت...

قالـت ذلك وفـي عينيها بريق شـديد

يشبه البريق الذي ألمحه في عينيّ القطة عندما تدافع عن صغارها...

قلت برهبة: نعم... فهمت...

ومضى الدهر قدماً أصبحت حياة جدتي تحيطها ثلاثة أضلع عامر وأخباره المسرة... وصورة زيد التي لا تفتأ تتكلم معها... ثم سجادتها ومسبحتها وتضرعها للخالق ليُريها ولدها قبل أن تختطفها يد المنون.

الأعوام التي مرت كالسنين العجاف... وجاء اليوم... الذي قدره لكل ظالم وإذا بصنم الطاغوت يهوي إلى الحضيض ويُسقط معه كل الأرذال والأرجاس... غمرت البلد نسائم الحرية وعمّت الفرحة الناس... غادر العبوس وجه جدتي... فإذا بها كطفل صغير... تحاول إخفاء فرحتها فلا تستطيع... وكانت تبتسم لكل وجه تلاقيه... زارنا عامر بعد زوال الظلم والجبروت وحالته ليست على ما يرام وعندما أستفسر منه...

قال: إنه يخشى على البلد من حرب أهلية متوقعة... وهو مع أفراد الحزب يجاهدون من أجل إقرار الأمن...

قالت جدتي بلهفة: وزيد ألا يعود إلى العراق... قل له إن والدته عاشت أكثر مما يجب... وما أطال الله عمرها إلا لتكتحل عيناها برؤياك... وقد آن الأوان وجاء اليوم الذي ظننت أنه لن يأتي... اسمع يا عامر... فليصحب (محمد ومجاهد ومريم) وأمهم... أريد أن أراهم... ياه... حقاً سأرى أحفادي...!!! عامر... يجب أن يسرع بالعودة... ها... فهمت... ألحح عليه يا ولدي أرجوك... عشرون عاماً مرت وأنا أنتظر... لم يبق عندي ذرة من الصبر... أنت صديقه وأخوه وقادر على إقناعه... قل له ليس أمك مشتاقة لك فحسب... وإنما العراق بما فيه مشتاق لعودتك وعودة كل مغترب نفاه وشرده الطاغية...

رحل عامل بالرسالة الملهوفة إلى مكان نجهله غادرنا... ولم يعد!!... عامر الذي وجد في بيتنا بيت آخر... وأهلاً يحنون عليه طوال عشرون عاماً... اختفى اليوم... واختفت معه أخبار زيد...

زيد أين أنت يا ولدي... سأل أبي عنه في كل مكان... حتى في مقر الحزب الذي ينتمي إليه... دون جدوى... من كان يدري بعد طول سعي ودوار عثرنا عليه اسماً لا جسماً... في مقرات الأمن العامة... في سجل المعدومين يا للصدمة... بل يا للعذاب...

الاسم: زيد عبد الحق

التهمة: انتمائه إلى الحزب...

تاريخ الاعتقال: ١٣/ ١٢/ ١٩٨٢...

تاريخ الإعدام: ٦/ ١/ ١٩٨٣ (بعد ثلاثة أسابيع من اعتقاله)

اسم المبلغ عنه: عامر عبد السلام...

درجة الترقية... الخ...

لم يعد هناك ما يمكن أن تحيا لأجله جدتي... كانت الصدمة كفيلة بما حدث ولربما ندمت على السنين التي عاشتها لتراه كان الأولى بها أن تموت لتلقاه... إذن لا أولاد ولا أحفاد ولا بيت ولا عودة... أرض الوطن التي هي في شوق للابن البار ضمته إلى صدرها منذ عشرون عاماً دون أن تخبر الأم بذلك...

إن ما يدمي الفؤاد أن هذه القصة حدثت على أرض الواقع... وليس من وحي الخيال...■

زينب(٤) والكلم الرائعات

• عميد المنبر الحسيني
الدكتور أحمد الوائلي

على أفق راوية سورة ... لزينب شدت إليه عيون
تألق فيها نسيج نماه ... علي وأبناؤه الطاهرون
تشير لمن أمّ درب النضال ... وتعطي ليقتبس الثائرون
فم يلفظ الكلم الرائعات ... معاجز تلقف ما يأفكون
وبركان من عزمة واجهت ... أشد الذي اجترح المعتدون
وجدٌ لما قضى الله منه ... امرؤ يرى كل شيء يهون
وكون من القيم الصاعدات ... يغذي قرائح من يصعدون
ويهتف بالأنفس الخانعات ... إلى أين ويحكم تذهبون
هو العمر إما وعاء الهوان ... وفي ظل ما رسم الأرذلون
وإما حصيل من المنجزات ... يظل يعيش به الخالدون
فحسبك زينب هذا الخلود ... ليوم إلى ربهم يبعثون

أبو الحسن الثالث

علي بن محمد الهادي (عليهما السلام)

• هادي عيسى الحكيم

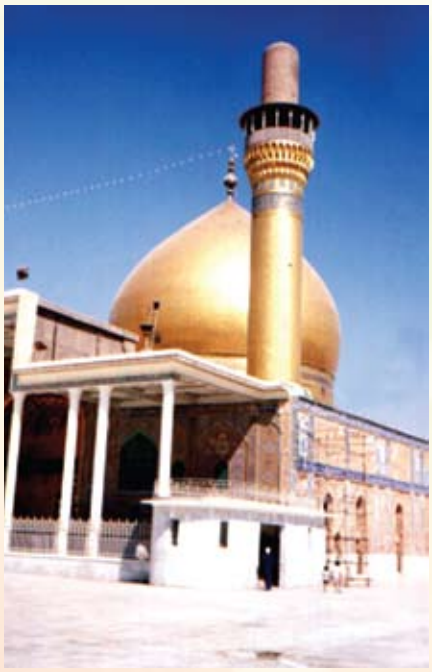

ينابيع الشيعة الإمامية وهم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة والنص يعتقدون بأن الله لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي وأن النبي محمد صلى الله عليه وآله قد نص على الأئمة الاثني عشر بأعيانهم وأسمائهم وصفاتهم وأنه أوصى إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ونص عليه وأوصى علي عليه السلام إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ونص عليهما وأوصى الحسين إلى ولده زين العابدين عليه السلام ونص عليه وهكذا إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام.

وذكر الطبرسي في تفسيره القيِّم (مجمع البيان)، عند استعراضه آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، أن الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم، ثم قال: (إن ثبوت عصمة المعنيين بالآية يدل على أنها مختصة بهؤلاء الخمسة).

وعلى الرغم من أن الآية قد اختصت بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، فإن حديث (الثقلين) المتواتر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وعترتي أهل بيتي) قد أكد تأكيداً قاطعاً على أن عترة الرسول الكريم هم أهل بيته من علي وفاطمة عليها السلام والذين زقوا العلم زقا وتوارثوه أباً عن جد. وقد جاء في الروايات الموثقة (أن علياً عليه السلام تلقى علماً واسعاً عن رسول الله ﷺ، ورثه أبناءه من بعده). إذن، فكل إمام من الأئمة الميامين والهداة المهديين قد ورث العلم من الله عن رسول الله ثم ورثه أبناءه من بعده.

ولما كان الإمام النقي علي الهادي عليه السلام أحد الأغصان اليانعة من الشجرة المحمدية المعطاء، فقد آلت إليه علوم رسول الله ﷺ عن طريق والده الإمام التقي محمد الجواد عليه السلام عن والده الإمام الوفي علي الرضا عليه السلام عن والده الإمام الأمين موسى الكاظم عليه السلام عن والده الإمام الطاهر جعفر الصادق عليه السلام عن والده الإمام محمد الباقر عليه السلام الشبيه بجده المصطفى خلقاً وخلقاً عن والده الإمام السجاد عليه السلام ذي النفثات علي زين العابدين عليه السلام عن والده الإمام السبط الحسين الشهيد عليه السلام عن والده المرتضى علي أمير المؤمنين عليه السلام، باب علم رسول الله وسيد البلغاء والعلماء.

ولد عليه السلام في صريا على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة عام (٢١٤هـ/٨٩٨م)، ودفن في داره بسامراء. وقد شاء الله أن يصبح مرقده الشريف ومرقد ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى جواره مناراً مشعاً بالإيمان ومرفأ رحباً للمؤمنين من محبي آل بيت النبوة عليهم السلام، تعلوه قبة شامخة يحتشد فيه النور وتفوح بالعبق الإلهي وتضج حولها الملائكة بالحمد والتسبيح لتغمرها بالهيبة والجلال.

والإمام علي الهادي عليه السلام من أولياء الله وأنصار دينه ومن حماة الحق، فطاعته فريضة بالنص الجلي عن أبيه التقي عليه السلام وبالإجماع، وشواهد الحال ناطقة بإمامته ولأنه وارث علوم آبائه المنتجبين عن جدهم سيد المرسلين. كان عليه السلام إماماً باراً شجاعاً كريماً فصيحاً لا يكثر في هذر ولا يصمت مفحماً، يعتصم بالتقوى، حيث عرف برحابة صدره وغزارة علمه، يقتدي بعلمه العلماء ويستضيء من مشكاة فضله الفضلاء.

وقد واجه الإمام علي الهادي عليه السلام كثيراً من المشاكل الفكرية التي كانت قد فرضت نفسها على الذهنية الإسلامية لتختزن بها عن الصواب فقد حدثت في زمنه مشكلة الذين يقولون بالجبر.

ويبدو أن وسائل القهر وأسباب المعاناة من بطش واستبداد رموز الحكم العباسي كانت تلاحق الإمام الشهيد

علي الهادي عليه السلام أينما رحل وأنى حل وتضيق على عمره الشريف. فقد عاصر المعتصم في بقية خلافته، ثم الواثق مدة خمس سنين وسبعة أشهر، ثم المتوكل مدة أربعة عشرة سنة، ثم المنتصر لعدة أشهر، ثم المستعين مدة سنتين وتسعة أشهر، ثم المعتز مدة ثمان سنين وستة أشهر، ثم المعتمد الذي استشهد في عهده مسموماً. وبذلك، يكون عليه السلام قد عاش الأربعين سنة، التي تكون عمره الشريف، مع العذاب والقهر والخنق الروحي والديني فضلاً عن معاناته من أمواج الفتن والدسائس والقلاقل التي كانت تعج بها الخلافة الإسلامية في عهد هؤلاء الخلفاء.

فعندما تربع (جعفر المتوكل) على عرش حكمه أو سدة خلافته عام (٢٣٢هـ)، دب الضعف في جسم الدولة واستولى عليه الوهن وتبدلت الأوضاع السياسية والدينية، فساد الجهل والشقاء بفساد الأخلاق وهما آفتا المجتمع ونذير انهياره، وكانت النتائج منطبقة على أحكام عامة توضح حقيقة العوامل المنطقية التي رفعت دولاً وطوحت بآخرين.

لقد قبع المتوكل في قصره بين الندمان والقيان الحسان، وبركته المشهورة الموشاة بالزهور والريحان، والفوضى في جسد الأمة الإسلامية ضاربة أطنابها، ومال الأمة يذهب هباءً، وقتل المؤمنين الأبرياء واعتقال العلماء البلغاء إنما كان الخليفة يقرهما على الظنة والتهمة، حتى كأن ماضينا السحيق يتمثل بحاضرنا القريب حينما ترجم الصنم المجرم وأزلام نظامه المقبور أعمال وأفعال المتوكل العباسي إلى واقع مأساوي يومي يطال العلماء والمؤمنين الأبرياء، ومنهم أهل بيتي أبناء عمومتي.

في هذا الجو المشحون بالحقد والبغضاء والموبوء بكل أسباب القهر والطغيان والعداء، نشط أعداء الإسلام من الجواسيس والطفيليين العملاء لإيقاظ الضغائن والأحقاد بين العباسيين الحاكمين والعلويين المحكومين المستضعفين. فالدولة العباسية، التي قامت على أساس العصبية العلوية لتأييد الدين القيم وقمع الجور والظلم ومنع التجاهر بالمعاصي والتمرد على المبادئ، خلف منها خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات حتى اختلت الأمور الاجتماعية والسياسية منذ عهد المعتصم وزميليه (وصيف) و(بغا) بدليل قول شاعرهم:

خليفة في قفص ... بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له ... كما تقول الببغا

فلا عجب إذا رأينا المتوكل آلة صماء بيد الفتح بن خاقان التركي وزميليه وصيف وبغا والدعي علي بن الجهم وأضرابهم من الطفيليين الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه، وناهيك بدولة وطد دعائمها السفاح والمنصور.

رجال العرب وسراتهم قابعون في بيوتهم لا حول لهم، مبعدون عن دار الخلافة، ثم أن المتوكل أعلن حرباً شعواء ليس على أبناء عمومته من العلويين فحسب، وإنما على التفكير الحر ونكل بفلاسفة العرب وعلمائهم وأدبائهم، فقتل

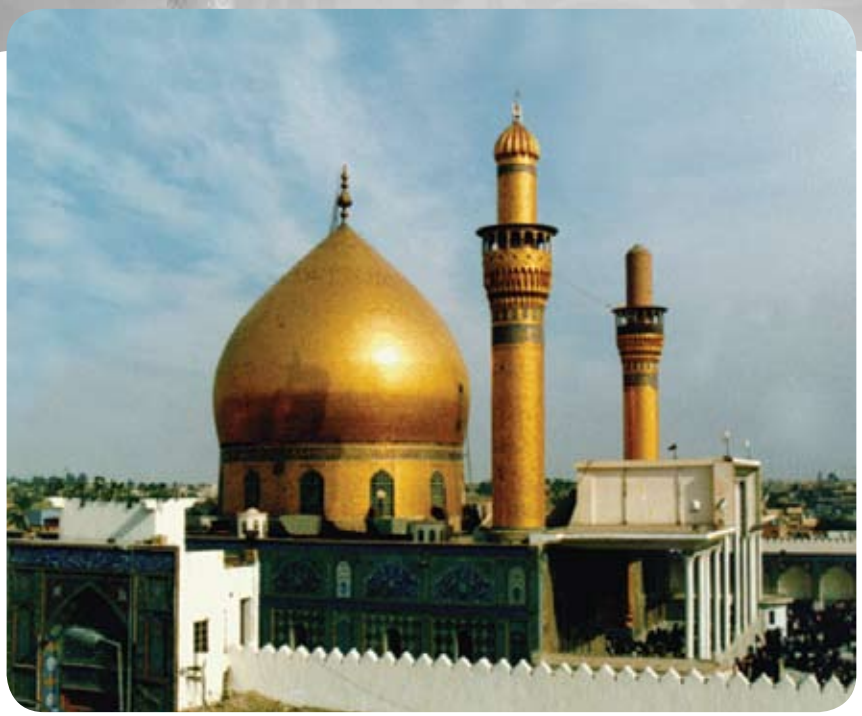

ابن الزيات وابن السكيت وغيرهما من الفطاحل حتى تفرق الآخرون خوفاً إلى البلاد النائية.

وكان الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه مثل إبراهيم بن عبده ومحمد بن موسى النيسابوري محل احترام الناس وتقديرهم من خلال قيادته الفكرية والروحية التي كانت تدخل إلى كل قلب وعقل. وبالرغم من عمره القصير المليء بالأسى والألم والحافل بالعلم والمعرفة، فقد واجه عليه السلام كثيراً من المشاكل الفكرية التي كانت قد فرضت نفسها على الذهنية الإسلامية لتنحرف بها عن جادة الصواب مثل مشكلة الجبر والتفويض. ولأن مبتدعي هذين الاتجاهين في التفكير كانوا خارج المدينة، فإن الإمام علي الهادي عليه السلام أرسل إليهم رسالة عالية المضامين والمعاني في معالجتها الحياة وما يجب أن يكون عليه المسلمون من تحمل لمسؤولياتهم تجاه الخالق تعالى والمخلوق. وتعد رسالة الإمام عليه السلام برنامج عمل إسلامي كامل بعد أن دار الزمن وهجرت أحكام القرآن وانحرف الناس عن جادة الإسلام بغير آدابه.

لقد استلم الإمام الهادي عليه السلام سدة الشرع بعد أبيه بالحرم النبوي الشريف، فاجتمع حوله العلماء والمريدون والمتعلمون حتى لقد عد الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه (الرجال) ١٨٥ علماً من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام من رواة الحديث.

ولم يرق ذلك لعبد الله بن محمد العباسي، عامل الخليفة في المدينة،

حيث تآكل قلبه حسداً وغيظاً، فسعى بالإمام عليه السلام إلى المتوكل انتقاماً منه وحقداً عليه. إلا أن الإمام عليه السلام علم ما تنطوي نفس عامل المدينة عليه، فكتب إلى المتوكل متألماً من تحامل عامله عبد الله عليه فكتب إليه المتوكل جواباً ليناً يعتذر له عما صدر من عامله ويدعوه إلى زيارته.

ولم ير الإمام عليه السلام إلا الإجابة، وتجهز للرحيل. وبعد خروجه، طلع عليه هرثمة بن أعين - أحد قواد المتوكل - ومعه الجند، حافين بالإمام عليه السلام ومواكبين له إلى أن حل بسامراء، العاصمة الجديدة للخلافة. فأنزلوه في دار أعدت له وفرضوا عليه الإقامة الجبرية الدائمية.

لقد ذكر الطبري في تاريخه أن المتوكل أمر عام (٢٣٦هـ) بهدم قبر الحسين السبط الشهيد عليه السلام وكذلك هدم ما حوله من الدور والمنازل وأن يحرث موضع قبره ويبذر ويسقى بالماء، كما منع الناس من زيارة قبره الشريف، وذكر أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين) يقول: كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً في جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم. فرجل يكن هكذا حقد وعداء للحسين وآل بيته ولآل أبي طالب عامة، فكيف ستكون سياسته تجاه الإمام الهادي عليه السلام ؟!

لقد كانت سياسة المتوكل مع الإمام عليه السلام تتسم بالازدواجية والتناقض والرياء، حيث - من جانب - يحترمه ويعظمه بما هو أهله ويستشيره في بعض الأمور، ومن جانب آخر يتربص هو وأزلامه به الدوائر وينصب له الحبائل. فقد سعى بالهادي عليه السلام إلى المتوكل بأن في منزله سلاحاً وكتباً، فوجه إليه ليلاً الجند من الأتراك تسوروا الجدران وهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه في غرفته متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن الكريم. فأخذ على ما وجد عليه في جوف الليل إلى المتوكل الذي كان يعاقر الشراب في مجلس لهوه وبيده الكأس. ولما علم أنه لم يكن شيء في منزله ولم ير حالة يتعلل بها عليه، أعظمه وأجلسه بجانبه محاولاً إيذائه بأن ناوله الكأس الذي بيده. فقال له الهادي عليه السلام: أعفني، والله ما خامر لحمي ولا دمي قط، فأعفاه قائلاً له: أنشدني شعراً، فقال له الإمام عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر، فقال له المتوكل، لابد أن تنشدني فأنشده الإمام الهادي عليه السلام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم
فأودعوا حفراً، يا بئس ما نزلوا

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وأكرم الإمام عليه السلام بأن وفى ديناً كان عليه ورده من ساعته إلى داره. إلا أن ذلك لم يمنع المتوكل من الإيعاز إلى قاضي القضاة والى يحيى بن أكثم لإحراج الإمام الهادي عليه السلام ومعاباته بأن يسألاه مسائل لا يستطيع - حسب ظنه - الإجابة عليها. فعقد المتوكل مجلساً عاماً دعا إليه الإمام الهادي عليه السلام، وتقدم قاضي القضاة ووجه إليه مسائل أعجزت العلماء

والفلاسفة، فأخذ الإمام عليه السلام في تحليلها تحليلاً علمياً كاشفاً عن دقائقها وعللها وأسبابه. فوجم قاضي القضاة مأخوذاً مما دعا يحيى بن أكثم أن ينهض ويخاطب المتوكل بقوله: ما لقاضي القضاة والمناظرة وإنما هو صاحب نحو ولغة وشعر. ورفع قرطاساً فيه مسائل أملاها على الإمام عليه السلام، فتناولها عليه السلام واحدة واحدة، يجلوا غوامضها ويظهر أسرارها ويدحض الشبهات فيها حتى تضائل ابن أكثم وتصاغر واستسلم.

لقد عاش الإمام الهادي عليه السلام متربعاً تحت أفياء الشجرة المحمدية الباسقة المعطاء، شامخاً على هامة العلم والفضل والتقوى، بينما عاش مناؤوه، وعلى رأسهم خليفته المتوكل، في مجالس اللهو والهزل ومواخير الدناءة والحقد والدجل، حيث ذكر المسعودي بأن المتوكل هو أول خليفة من بني العباس ظهر في مجلس اللعب والمضاحك والهزل.

هذا هو الإمام الهادي عليه السلام الذي كان يحث على وحدة الأمة وسعادتها والمحافظة على تماسكها وصون حقوقها والسير بها على أشعة الإسلام الوهاجة وتعاليمه السماوية الوقادة وفق منظور إسلامي ذي خير عميم لكل الإنسانية، وذاك المتوكل الذي خرج من دنياه أعمى وهو في الآخرة أعمى وأظل سبيلاً، حيث شتت شمل الأمة ومزق وحدتها وأرخى تماسكها وهدر كرامتها عند قتله العلماء والبلغاء وإقصائه المفكرين والأدباء وتسليمه مقاليد أمور الأمة إلى الغرباء والأدعياء. وقد قال السيد أمير علي في كتابه (مختصر تاريخ العرب) ما نصه: (وفي عهده، بدأ انحلال الإمبراطورية العربية وتسرب الفساد في جسم الدولة وأمر الناس بالتمسك بالتقليد وأقصى أحرار الفكر عن الوظائف كما تغلب عليه الأتراك وأصبحوا أصحاب الأمر والنهي) ■

المولوي وأخوه

نقل المولوي هذه القصة فقال: كان أخي محمد إسحاق مسلولاً منذ الصغر، وكنا قد يئسنا من شفائه. فأخذه ذات مرة والدي إلى كربلاء وربطه بهيكل الضريح المقدس لأبي الفضل العباس عليه السلام وطلب من أبي الفضل أن يسأل الله له أن يشفي ابنه أو يقبضه إليه. وتركه كذلك وذهب إلى الرواق للصلاة، وعندما عاد إلى الطفل قال له الطفل: أبي إني جائع.

فنظر إلى وجه ابنه فوجد ملامحه قد تغيرت وشفي من مرضه، فأخذه وعاد به.

وفي اليوم التالي طلب مني رمانا فأكل ٨ حبات منه ورغيف خبز كبير، وزال عنه المرض نهائياً. وهو الآن يقطن في مدينة النجف الأشرف يعمل كخباز.

من سيرة الإمام الرضا(ع)
الحلقة ٣ والأخيرة

العودة.. إلى بغداد

• علي سعد النجفي

ينابيع ذكرنا في الأعداد السابقة من هذه المجلة المباركة الأسباب التي دفعت بالخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد باتخاذ قراره الخطير بالعودة إلى بغداد والأحداث التي تزامنت مع هذه القضية واشرنا إلى أن منشأ هذه الفكرة كان الإمام الرضا عليه السلام وأنها كانت مبنية على أساس العودة إلى المدينة المنورة وقد لاقت هذه الفكرة موضع القبول في نفس المأمون ولكنه كتم بنفسه جهد المقصود وكان هذا القرار ـ الخروج من خراسان ـ هو بمثابة الخطوة الأولى في العودة إلى بغداد وما كان لأحد ليعلم بما خطط له المأمون في قراره نفسه وكان المأمون يدرك جيداً بأنه سوف لن يلقى الترحاب عند أهل بغداد بعد أن خرب مدينتهم بحرب ضروس وكذلك العباسيين بالأخص

بعد قتل أخيه الأمين بالإضافة إلى ذلك فانه قد سلب عن بغداد التاج العباسي لسنوات عدة فكيف سيعود وفي حاشيته مَن ذكره يدخل البغض والشحناء في قلوبَ أهل بغداد وتثير القلق في نفوس العباسيين فأخذ يخطط لأمور عظيمة كان لابد له من تجاوزها قبل وصوله إلى بغداد فكان عليه التخلص من

١- وزيره الأعظم الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل وجماعة من المقربين لهم، فما كان جزاء الفضل بن سهل الذي أوصل المأمون إلى عرش الخلافة إلا أن يجازى على فعلته تلك القتل.

٢- ولي العهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والذي اسكن بتنصيبه ولياً لعهده ثورات العلويين المتتالية والتي كادت أن تطيح بالتاج العباسي.

٣- الثائر العلوي محمد الديباج بن الإمام الصادق عليه السلام الذي كان مصدر قلق يؤرق المأمون نفسه فما كان عليه إلا إدراجه في هذه القائمة.

لذلك فكر المأمون في التخلص من جميع هذه الشخصيات خلال طريق عودته إلى بغداد والذي نستطيع أن نسميه بـ(طريق الموت).

محطات طريق الموت:

بعد أن عزم المأمون على التخلص من الشخصيات التي كانت تثير القلق له ومن أجل عدم إثارة الشكوك فيما قد عزم عليه نراه اتخذ جملة من الأمور منها:

١- التثاقل في المسير: فنلاحظ انه قد تثاقل في خطاه نحو بغداد فالمسافة التي كان يمكن قطعها في شهرين على أكثر تقدير بين العاصمتين مرو الجديدة وبغداد الجديدة، ولكنه استغرق سنتين في قطعها من أجل تنفيذ خطته تلك فقد خرج من مدينة مرو في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٢هـ ووصل إلى بغداد في صفر ٢٠٤هـ.

٢- كان لابد له من اتخاذ محطات ليتوقف فيها لتنفيذ مآربه لكي يتخلص من كل شخصية في كل مدينة من المدن التي سيمر فيها في الطريق وكان لابد من إحكام الخطة جيداً في تطبيق ذلك وشاءت الأقدار أن تكون المحطات هي:

المحطة الأولى: مدينة سرخس.

بقي فيها المأمون ما يقارب الستة أشهر وبدأ فيها المأمون بتفعيل خطته فأوعز إلى مجموعة من عصابته لاغتيال الإمام الرضا عليه السلام والفضل بن سهل في حمام (سرخس) فطلب منها الدخول معه إلى هذا الحمام، ويكون هو معهما وذلك لتغطية الأمر، وعدم انكشافه لأي أحد، وكان الإمام يقظاً حذراً فلم تخف عليه هذه المصيدة فرفض الدخول إلى الحمام، ولما علم المأمون برفضه كتب إليه ثانية يلتمسه أو يترجاه ولكن الإمام عليه السلام اعتذر عن دخول الحمام لرؤيا رآها في رسول الله صلى الله عليه وآله ينهاه عن دخول الحمام فنهى الإمام كل من المأمون والفضل بن سهل فأجابه المأمون إلى ذلك بينما مضى الفضل بن سهل إلى قدره الذي بيته له المأمون ولم

يستمع إلى نصيحة الإمام عليه السلام فسالت الدماء وامتزجت بالماء في ذلك الحمام وهرب المجرمون بعد قتلهم الفضل فثارت ثورة الناس على المأمون وهذا الأمر لم يتوقعه المأمون لأنه على الرغم من ذكائه الشديد وأحكامه في تدبير خطته لكنه أخطأ في اختيار المكان فما كان له أن يقتل وزيره وهو بين أهله وقومه فسرخس مدينة الفضل واليها ينتسب فثارت عليه حميتهم وهجموا على بيته فما كان له سوى أن يلوذ بالإمام الرضا عليه السلام ولولاه لما نجى من سيوفهم ولكي يشغل الناس وضع جائزة ثمينة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض على قتلة الفضل وفعلاً تم القبض عليهم وكانوا من حشمه وخدمه فقتلهم ولم يكتف بهذا فقد وجه أصابع الاتهام إلى شخصيات أخرى كانت غير مرغوبة عنده واتهمها أنها المدبرة لهذه العملية فقتلهم وتخلص منهم بتهمة التآمر على قتل وزيره وأرسل برؤوس الجميع إلى الحسن بن سهل في واسط وعينه مكان أخيه وزيراً له.. ولكي يهدئ الأوضاع فقد قرر إقامة عرس كبير في نفس مدينة سرخس لتسكين النفوس وإبعاد الشكوك.

العرس السياسي:

كان المأمون يعلم جيداً بأن أصابع الاتهام ما زالت موجهة إليه في قتل وزيره الفضل بن سهل والشكوك ما تزل في أذهان أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ولكي يحاول إبعاد ذلك عنه فقد قرر إقامة عرس كبير والأهداف منها سياسية بحتة والذي تم في شهر رمضان سنة ٢٠٢هـ

١- تزوج المأمون فيه من بوران بنت الحسن بن سهل ابنة أخ الفضل بن سهل والتي ما زالت صغيرة ولم يدخل بها إلا في سنة ٢١٠هـ أي بعد ثمان سنوات.

٢- زوج الإمام الرضا عليه السلام من أخته أم حبيب أو أم حبيبة وقيل أنها ابنته على بعض الأخبار.

٣- زوج الإمام الجواد من ابنته أم الفضل علماً أن الإمام الجواد عليه السلام كان في عمر سبع سنين.

٤- زوج إسحاق بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام من ابنة عمه إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام.

المحطة الثانية: مدينة طوس.

وعندما انتهى المأمون من جريمة قتل الفضل، غسل يديه من دمه مضى في تنفيذ خطته فأقدم على دس السم للإمام الرضا عليه السلام فقضى نحبه في مدينة طوس في شهر صفر سنة ٢٠٣هـ ودفن عن قبر الرشيد وتظاهر بالحزن عليه وجلس عند قبره ثلاثة أيام لا يأكل الطعام فيها ويمرغ نفسه بالتراب ولكن هذا لم يبعد الشكوك عنه وبقيت أصابع الاتهام موجهة إليه ولكي يقطع حديث الناس أمر الناس بالرحيل في اليوم الثالث إلى بغداد وأرسل كتاباً إلى الحسن بن سهيل يعلمه أن علي بن موسى عليه السلام مات ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته وكتب إلى بني العباس وأهل بغداد يعلمهم موت الإمام الرضا عليه السلام وأنهم إنما نقموا بيعته له من

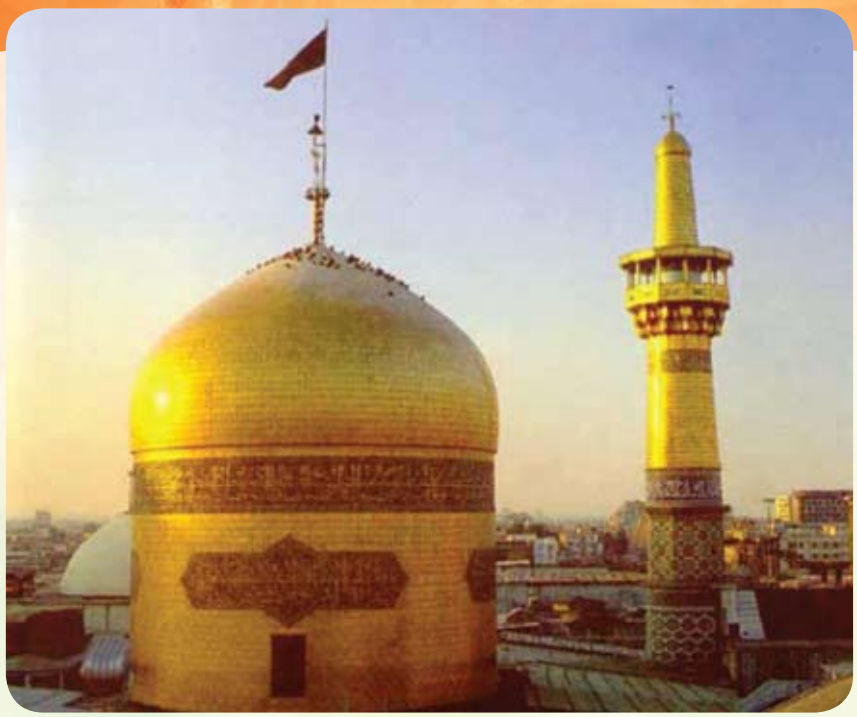

بعده ويسألهم الدخول في طاعته فكتبوا إليه والى الحسن جواب الكتاب بأغلظ ما يكتب به إلى أحد.

المحطة الثالثة: مدينة جرجان.

وفيها دس المأمون السم للثائر العلوي محمد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ولأن الرجل كان له موقفاً سلبياً مع الإمام الرضا عليه السلام فقد أهمل أكثر المؤرخين ذكره لذلك سنسلط الضوء ولو بشيء يسير حول هذه الشخصية ولماذا عزم المأمون على قتله في شعبان سنة ٢٠٣.

هو أبو جعفر محمد بن الإمام جعفر الصادق والملقب بالديباج لجمال وجهه وهو أخو الإمام الكاظم عليه السلام من أمه وأبيه وكان أصغر الثلاثة فيأتي بعد أخيه إسحاق شبيه رسول الله وكان الإمام الكاظم أكبر الثلاثة. كان زاهداً يصوم يوم ويفطر يوم، وكان كريماً تقول عنه زوجته خديجة بنت عبد الله بن الحسين ما خرج من عندنا في ثوب قط فرجع حتى يكسوه، وكان من علماء الطالبيين وأعيانهم روى الحديث عن أبيه جعفر الصادق عليه السلام وروى عنه جماعة عرف الشجاعة وله مواقف مشهورة في ذلك، ولما ثار العلويين في الكوفة سنة ١٩٩هـ كان محمد الديباج منعزلاً عن تلك الأحداث ولم يشترك معهم، ولما أخذ جيش المأمون يسحق ثورة الشيعة بقيادة أبي السرايا في أكثر المناطق ومقتل أبي السرايا وطلب الثوار في الحجاز من محمد الديباج أن يعلن الثورة لينقذ الموقف بعد هزيمة الثوار

في العراق ورضخ لإصرارهم فأعلن الثورة في الحجاز والتف معه بقية الثوار من العلويين وبايعوه بالخلافة وإمارة المؤمنين سنة ٢٠٠هـ، فأرسل المأمون جيشاً بقيادة عيسى الجلودي فحاصره وأعطاه الأمان له ولأصحابه فحمله إلى خراسان مع الإمام الرضا عليه السلام، وكان المأمون يتحمل منه ما لا يتحمل من غيره لشجاعته، فدس له السم في جرجان وأشاع بان سبب موته (انه جامع ودخل الحمام وافتصد في يوم واحد، فمات فجاءةً) وشارك في تشيع جنازته وحملها وصلى عليه ثم دخل قبره فلم يزل فيه حتى بنى عليه وقال هذا حق ضيع من مائتي سنة.

المحطة الرابعة: واسط.

بعد قتل الفضل بن سهل في سرخس والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في طوس أدرك الحسن بن سهل نوايا المأمون وبما عزم عليه في الفتك بجملة من الشخصيات المهمة التي كانت معه لذلك أراد التخلص من بطش المأمون فبعد وصول كتاب المأمون إليه يخبره بوفاة الإمام الرضا عليه السلام تظاهر بالجنون بعد أن غلبت عليه السوداء وانه مرض مرضاً شديداً فهاج به من مرضه تغيير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت وكتب بذلك قواده إلى المأمون وأتاه جواب الكتاب من المأمون بعزله وتعيين دينار بن عبد الله ويعلمهم انه قادم على أثر كتابه. وبذلك نجا الحسن بن سهل من كيد المأمون ولما تجاوز المأمون طريقه أفاق من جنونه وكتبت له سلامة حتى أدرك زواج ابنته بوران سنة ٢١٠هـ.

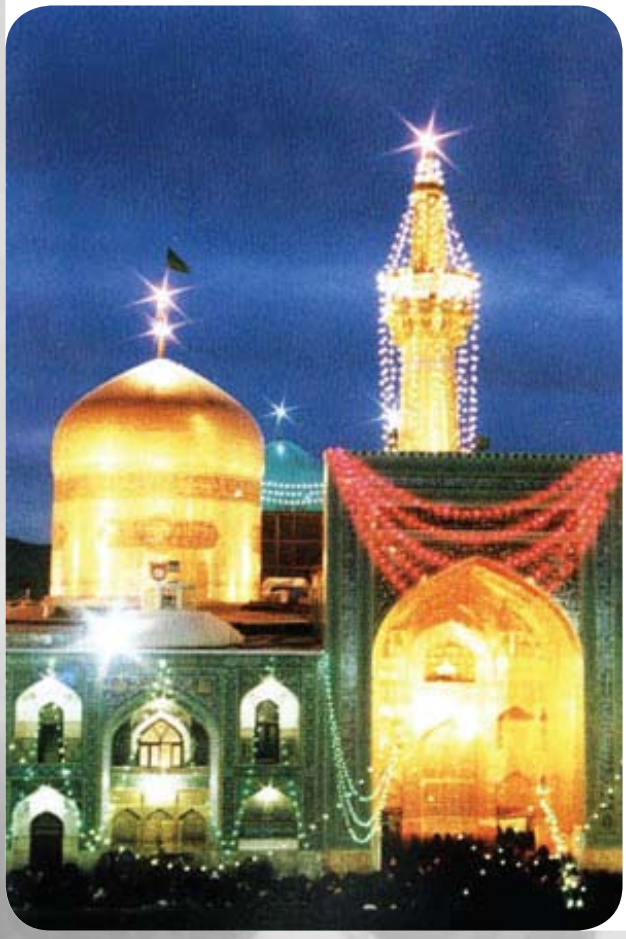

المحطة الأخيرة: بغداد.

بعد أن تخلص المأمون من جميع الشخصيات التي كانت تسبب له بعض المخاوف والقلق عند دخوله لبغداد أخذ يجد في السير فجعل يسير المنازل ويتم اليوم واليومين حتى صار إلى النهروان فكتب إلى طاهر بن الحسين أن يلحق به فدخل بغداد بجيش عظيم في ١٦/ صفر سنة ٢٠٤هـ وقال كلمته المشهورة والتي كان يعني كل حرف فيها:

(كان معاوية بعَمره، وعبد الملك بحجّاجه وأنا بنفسي).

وبهذا أثبت أن الشخصية القوية التي استطاعت تثبيت الدولة العباسية والتي كانت في مهب الريح ووصف نفسه بأنه أفضل من معاوية لاستعانته بدهاء عمرو بن العاص وأفضل من عبد الملك الذي استعان بالحجاج في تثبيت ملكه بالبطش والقوة ■

المصادر

تاريخ الطبري

تاريخ بغداد

الإرشاد/ للشيخ المفيد

الأعلام/ للزركلي

تاريخ جرجان

الزهراء(٤) يوم القيامة

عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، ، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة، ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد. فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد، إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة بنت محمد، فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله، فتزج بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي، احكم بيني وبين من ظلمني، اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي، واشفعي تشفعي، فوعزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم.

فتقول: إلهي وسيدي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي، ومحبي ومحبي ذريتي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذريتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة.

أمالي الصدوق ص:٦٩

الشيخ علاءالدين الشفهيني
شاعر الحلة وعالمها

• سعد الحداد
كاتب ومحقق

ينابيع مثلما اختلف المترجمون للشيخ الشفهيني في ضبط لقبه فقد اتفقوا على تقدمه وعلو مكانته وغزارة علمه وأدبه ورصانة شعره.

إذ اختلف من ترجم له في ضبط نسبه، فورد في مجاميع المطبوعة والمخطوطة اختلاف واضح لأسماء شتى هي:

(الشفهيني الحلي) و(الشفهيني العاملي) و(الشفهيني) و(الشهيفي) و(الشفهي) و(الشفيهيني) و(الشيهفني) و(ابن الشفهية) و(ابن الشفهينية) و(الشاهيني).. وربما غيرها من الأسماء.

وهذا الاختلاف بتغيير أو تقديم أو تأخير حرف من حروف الاسم لا يؤثر البتة على اتفاق ما ذكره المترجمون بأنه:

(الشيخ علي بن الحسين المكنى بأبي الحسن علاء الدين) المعاصر للشيخ الشهيد الأول محمد بن مكي (المقتول سنة ٧٨٦هـ).

إن الاختلاف ربما نتج بسبب النسخ مما حدى بالمتأخرين السير عليه بالضبط، وفاتهم أن يصححوا ما أخطأ فيه النساخ، فلم يعرف على وجه الدقة الأصح.. وغير أن جميع المترجمين المتأخرين فضلوا إطلاق اسم (الشفهيني) لا غير.. وعرف به عند العامة منذ عقود كثيرة، وما زال متداولاً كما هو إلى يومنا هذا وهو:

(أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي ابن الحسين الشفهيني الحلي).

والشفهيني عالم فاضل، وأديب كامل، أما الاختلاف الحاصل في حليته فلم أجد مصدراً يجزم بحليته أو عدمها وما ورد أن ما استشفها أصحابه من خلال شعره.

فقد نسب صاحب الروضات إلى جبل عامل[1] بينما نسب مؤلف أمل الأمل إلى الحلة[2].. وذهب آخرون بنسبته إلى (شفهين) وهي قرية في جبل عامل أو البحرين، ليس في كلا القطرين قرية تعرف بهذا الاسم، ومنهم صاحب أدب الطف[3].. في حين قال صاحب رياض العلماء (ابن الشفهينية وهذا اسم أمه)[4].

وذكر الخاقاني عن نسبته بـ(الشافيني) ما أورده ياقوت الحموي في معجم بلدان ٤٢٨/٥ بقوله: (شيفيا ويقال شافيا قرية على سبعة فراسخ من واسط ، وقد نسب إليها جماعة ولعلها حرفت وصحفت شافهين وشفهيني)[5].

ورجح ذلك السيد جواد شبر حين قال: (وبعد ابتداء الخراب في واسط وما جاورها من القرى وضواحي على أثر سقوط الدولة العباسية وغارات التتار على البلاد هاجر المترجم إلى الحلة لكونها في ذلك العهد دار الهجرة ومحط رجال العلماء والأدباء)[6].

أما الشيخ اليعقوبي فيقول: (ويؤكد مما رجحناه من عدم كونه حلياً بالأصل حنينه في شعره إلى بلد كان قد نشأ فيه واستوطن قبل الحلة فتراه دائما يتذمر من غربته في قصائده التي قالها في الحلة ويبكي لنأي أحبابه ويندب فيها عصر شبابه ومن ذلك قوله[7]:

أبكي اشتياقاً كلما ذكروا
وأخو الغرام يهيجه الذكر
ورجوتهم في منتهى أجلي
خلفاً فأخلف ظني الدهر
وأنا الغريب الدار في وطني
وعلى اغترابي ينقضي العمر

وفّند السيد هادي كمال الدين ما ذهب إليه الشيخ محمد علي اليعقوبي فقال: (بأنه لم يصب كبد الواقع وانه اشتبه اشتباه كبيرا فيما ذهب إليه فأنه صرح بأنه غريب الدار في وطنه، فلماذا اعتبر اليعقوبي لفظة الغربة ولم يعتبر الوطن.. وقد قال الشاعر أنا غريب الدار في وطني.. بأن يستدل بـ(عن) فمعنى تجاوز حدود وطنه، ولكنه عبّر بـ(في) الظرفية..

فحتى لو افترضنا تصريح الشاعر بغربته لجواز التعبير في شعره ببعض أسفاره عن شوقه إلى بلد الحلة.

والغريب عدم التفات اليعقوبي إلى هذا المعنى من قول الشاعر نفسه:

إذا غبتموا عن ربع حلة بابل
فلا سحبت للسحب فيه ذيول

للفضيلة نجومها

وما النفع فيها وهي غير أواهل
ومعهدهـــا ممن عهدت محيل
تنكر منها عرفــها فأهـــيلها
غريب وفيــها الأجنبي أهيـل[٨]

وفصل الشـيخ يوسف كركوش القول في الأبيات التي أوردها الشـيخ اليعقوبـي فقال: (إن الشـاعر عاش في الحلة في عهد الجلائري، وما تخلل ذلك من هجوم تيمورلنك على الحلة مرتين، ويمكـن انـه أدرك تسـلط الخـروف الأسـود (القره قويونلو) وهي مجموعة من القبائل التركمانية الأغزية وكان شعارهم الخروف الأسود، حيث غزت العراق وعاثت في أرضه قتلاً وتشريداً وهضمـاً للحقوق وهـدراً للكرامات. ويظهر من شعر المترجم أنه قد نكب بأفراد أسرته وأخلائه، وبقي وحيداً في شـيخوخته. هذا بالإضافـة إلى تحكم الأجنبـي الغريب بأهـل الحلة، فكان لذلك يتفجع فيقول من قصيدة:

أبكي اشتيـــاقاً كلما ذكروا
وأخو الغرام يهيـجه الذكر

ويقول أيضاً في قصيدة له:

وقد كنت أبكي والديار أنيسة
وما ظعنت للظاعنين قفول
فكيف وقد شط المزار وروعت
فريق التداني فرقة ورحيل
إذا غبت عن ربع حلة بابل
فلا سحبت للسحب فيه ذيل
وما النفع فيها وهي غير أو أهل
ومعهدها ممن عهدت محيل
تنكر منها عرفها فأهيلها
غريب، وفيها الأجنبي أهيل[٩]

وخلاصة القـول أن الآراء المتقدمة لا يمكـن الجـزم بصحتهـا أو رفـض قبولهـا مـا دام الاجتمـاع معقـولا على وجود الشاعر في الحلة وسكنه وعيشه فيها، ومدفنه في ثراها.

شعره وشاعريته:

الشاعر الحلي علاء الدين الشفهيني جمع بين العلم والأدب وكانت قصائده قـد خلدّتـه بيـن الشـعراء فقـد (اتفق المترجمون له على أنه كان عالم أديباً شـاعراً طويل النفـس والغايـة، يغلب علـى شـعره الجناس والطبـاق وغيرها من المحسـنات البديعية. وقد نشـأ في العصر الذي فسـدت فيه معاني الشعر وألفاظـه... بيد أن شـيخنا عـلاء الدين تتجلـى براعتـه وعبقريتـه فـي امتيـاز شـعره الـذي قالـه في أهـل البيت عليهم السلام - وليـس في أيدينا غيـره - بقوة المعاني وسلاسـة المبانـي، ومتانة الأسـلوب، مع ما فيه من المحسـنات البديعية التي كانت تأتي عفوا بلا تكلف وتطاوعه من غير قصد[١٠].

وقال صاحب الرياض عن الشفهيني: (شاعر بليغ وله كتاب ديوان، وعندنا قصيدة من جملة ديوانه، وهي في مدح مولانا علي عليه السلام مجنّسـاً وللشهيد شرح عليها)[١١].

وقال فـي موضع آخـر: (رأيت من أشعاره بعض مراثيه للحسين عليه السلام وهي سـبع قصائـد فـي مجموعـة بأردبيل، وكانت المجموعة بخط الشيخ محمد بـن علي بن الحسـن الجباعـي العاملي تلميذ ابن فهد)[١٢].

وقال الشيخ كركوش: (وهو شاعر فحل، متين الأسلوب، يطرز شعره بالمحسنات البديعية)[١٣].

وجاء في فقهاء الفيحاء: (الشفهيني ممن طغت سمعته الشعرية فأخفت سمعته العلمية أو كادت مع انه من زعماء الحركة العلمية، وقد جلى في الشعر حتى كان من عباقرته)[١٤].

وقال الخاقاني عن الشفهيني: (جاء شعره رصيناً محكم السبك والديباجة مشرق الأسلوب، قوي التركيب... ولقوته من لفة الخواطر ونشرها نال إعجاب أدباء العصر الحاضر، فإذا ما تلي شعره برواية الجميلة تهتز له المشاعر كما تصغي أرباب الذهنيات الأدبية الواسعة، والحق أنه استطاع ان يمكن شعره من نفوس مختلف الأدباء في مختلف العصور)[١٥].

وكتب الشيخ محمد السماوي في الطليعة قائلاً: (كان فاضلاً نقياً ناسكاً وشاعراً، اختصر شعره بأهل البيت عليهم السلام فأضاء أضاءة الزجاجة بالزيت، ولم يكد يخلو مجموع من شعره الامامي ولا محفل من الذكر السامي)[١٦].

وأضاف الشيخ الأميني في غديره قائلا: (وقصائده الرنانة السائرة الطافحة بالحجاج الزاهية والرقائق، المشحونة بالدقائق، المتبلجة بالمحسنات البديعية على جزالة في اللفظ، وحصافة في المعنى ومتانة في الأسلوب وقوة في المبنى، ورصانة في النضد، ورشاقة في النظم في مدائح أمير المؤمنين ومراثي ولده الإمام السبط أعدل شاهد بعبقريته وتقدمه في محاسن الشعر، وثباته على نواميس المذهب، واقتفائه أثر أئمة دينه عليهم السلام)[١٧].

وقد شرح بعضاً من شعره الشهيد الأول أبو عبد الله محمد بن مكي عندما كان في الحلة مستقلاً بالتدريس فيها في القرن الثامن الهجري وعرف بتدريسه لقواعد العلامة والتهذيب وعلل الشرائع وكتب أخرى في الفقه والأصول والحديث.. فقد شرح قصيدة الشيخ الشفهيني التي يمدح فيها الإمام علي عليه السلام وحين وقف الشيخ الشفهيني على الشرح أعجب به فأرسل إلى الشهيد الأول عشرة أبيات يمدحه فيها منها:

فكأنه وجواده وسنانه
وحسامه والنقع داج أسود
فلك به قمر وراه مذنب
وأمامه في جنح ليل فرقد

ولعل القصيدة التي شرحها الشهيد كما رجحه الشيخ آغا بزرك في الذريعة التي مطلعها:

يا عين ما سفحت غروب دماك
إلا بما ألهمت حبّ دماك

ويبدو أن هذا الشرح كان من عمل الشهيد في أوان دراسته[١٨].

وفاته ومدفنه:

أجمعت المصادر على أن وفاة الشيخ علاء الدين الشفهيني كانت في الحلة ولم تعرف سنة وفاته مثلما لم نتوصل إلى معرفة سنة ولادته.

للفضيلة نجومها

وكل ما دونته المصادر التي ترجمت له بأنه عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري.

لكن صاحب الحصون المنيعة قال: (توفي في الحلة في حدود سبعمائة للهجرة)[١٩]، ويرجح الخاقاني (أنه قد توفي في أواخر النصف الأول للقرن الثامن الهجري)[٢٠]، بينما يذكر الشيخ السماوي في الطليعة[٢١] والشيخ الأميني في الغدير[٢٢] والشيخ كركوش في تاريخ الحلة[٢٣] بأن للشيخ الشهيد الأول محمد بن مكي المعاصر للشفهيني والمقتول سنة سبعمائة وست وثمانين شرح إحدى قصائده وهو شرح بديع اشتمل على فوائد جمة، ولما وقف الشفهيني على ذلك الشرح فخربه ومدح الشارح بمقطوعة شعرية كما أسلفنا.

وما تقدم يخالف ما ذهب إليه كل مرة صاحب الرياض نفسه حين قال: (لعله معاصر لابن فهد الحلي)[٢٤] وصاحب الطليعة بقوله: (توفي في حدود السبعمائة في الحلة)[٢٥].

فالأول أن وفاة الشيخ ابن فهد الحلي كانت سنة إحدى وأربعين وثمانمائة للهجرة.

والثاني أن الشيخ الشفهيني حين أعجب بشرح الشيخ الشهيد لقصيدته مدحه بمقطوعة شعرية ثناء عليه. ومولد الشهيد الأول (محمد بن مكي) هو سنة سبعمائة وأربع وثلاثين ووفاته كما أسلفنا كانت سنة سبعمائة وست وثمانين.

أما قبر الشيخ الشفهيني فمعروف بالحلة مشهور وقد وصفه الشيخ محمد حرز الدين فقال: (مرقده بالحلة عامر مشيد ويقع في ملتقى زقاقين نافذين، عليه قبة صغيرة بيضاء، وقبره اليوم معروف مشهور عند الحليين لا ريب فيه)[٢٦].

وفي هامش المراقد يقول المحقق:

(في محلة المهدية إحدى محلات مدينة الحلة، وقبره يشكل زاوية ملتقى شاعرين اليوم، ولقبره على كل من الشارعين شباك.

وقد فتح لنا سادنه باب المرقد فكان على قبره صندوق من الخشب، وكل من أبعاده الثلاثة لا تتجاوز ١،٥ متراً والى جانبه غرفة أخرى متصلة به كرواق للقبر، وكان على الغرفة الأولى القبة البيضاء المتوسطة الحجم والارتفاع)[٢٧].

ويقول الشيخ السماوي: (له قبر معروف يزار وتتبرك به وتستجاب عنده الدعوات وتفاض البركات)[٢٨].

ويقول الشيخ اليعقوبي: (أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسن المعروف بـ(الشفهيني) المتوفى في حدود الربع الأول من القرن الثامن والمدفون في الحلة حيث يعرف قبره الآن في محلة المهدية وكم تحريت قبره منقباً في الزوايا التي تحت قبته لعلي أجد صخرة أو لوحة عليها تاريخ وفاته فلم أجد شيئاً)[٢٩].

ومثل هذا القول ذكره الشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة المخطوط[٣٠].

أقول: وقبره كما وصف مشهور في محلة المهدية في الشارع الذي يربط بين منطقة التابية والسوق الكبير مقابل حمام المهدية في غرفة مربعة الشكل تبلغ مساحتها ٢٠ متراً مربعاً تقريباً.

كان القبر تعلوه قبة خضراء تهدمت قبل عقد من الزمان حتى امتدت يد المحسن الحلي الحاج محمود الحاج حسان مرجان إلى اعمار المرقد والمسجد المقابل للمرقد والذي نعتقد انه كان مدرسة علمية، تم الاعمار فيها عام ٢٠٠١م وظهر بحلة جميلة..

والقيم على المسجد والمرقد اليوم هو (الشيخ حاتم المرشد) ■

---

(١) روضات الجنات: ٥٩٣/٤.
(٢) أمل الأمل: ٢.
(٣) أدب الطف: ١٤٧/٤.
(٤) رياض العلماء: ١٠٧/٤.
(٥) شعراء الحلة: ٤٠١/٣.
(٦) أدب الطف: ١٤٩/٤.
(٧) البابليات: ٩٦/١.
(٨) فقهاء الفيحاء: ٢٤٢/١.
(٩) تاريخ الحلة: ٨٧/٢-٨٨.
(١٠) البابليات: ١-٩٦-٩٧.
(١١) رياض العلماء: ٤٢٧/٣.
(١٢) رياض العلماء: ١٠٧/٤.
(١٣) تاريخ الحلة: ٨٦/٢.
(١٤) فقهاء الفيحاء: ٢٣٩/١.
(١٥) شعراء الحلة: ٤٠٣/٣.
(١٦) الطليعة من شعراء الشيعة: ٢٧/٢.
(١٧) الغدير: ٣٦٦/٦.
(١٨) الدروس ٣٨/١ وشرح اللمعة ١١٨/١.
(١٩) الحصون المنيعة (خ): ٣٤٤/٩.
(٢٠) شعراء الحلة: ٤٠١/١.
(٢١) الطليعة: ٢٩/٢.
(٢٢) الغدير: ٣٣٦/٦.
(٢٣) تاريخ الحلة: ٨٩/٢.
(٢٤) رياض العلماء: ٣٠/٢.
(٢٥) الطليعة:
(٢٦) مراقد المعارف: ٣٩٢/١.
(٢٧) مراقد المعارف: ٣٩٢/١.
(٢٨) الطليعة: ٣/٢.
(٢٩) البابليات: ٩٣/١.
(٣٠) الحصون المنيعة (خ): ٢٩/٢.

الشيخ عبدالحسين البشيري
من أعلامنا المنسيين

• حيدر المالكي

ينابيع يجد المتتبع لتاريخ علمائنا الأعلام رجالاً عاشوا لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم، لكن الغريب في الأمر أن تسليط الأضواء على حياة العلماء الأعلام يختلف قولاً وضعفاً من شخص إلى آخر، فكم عَلَم نحرير ومصلح كبير كان نصيبه من الترجمة مساحة صغيرة جداً فيما كان نصيب غيره أضعافاً مضاعفة من التعريف وتفصيل الأحوال.

وإن من أوضح النماذج واظهر المصاديق للنمط الأول من أولئك الأعلام المعمورين هو العلامة المجاهد الكبير حجة الإسلام الشيخ عبد الحسن البشيري الذي لم يترجم له في حدود علمي في كتاب قط مع ما كان عليه من العلم والفضيلة والصلاح ودعوة العباد إلى مهيع الرشاد، ومن هنا رأينا أن نخصّه بهذه السطور المبتسرة التي نرجو أن تكون محفزاً لشحذ همم بعض الباحثين لكتابة دراسة ضافية عن هذه الشخصية الجليلة. ومع قلة المعلومات التي بين أيدينا حول هذا العالم الفاضل فقد استطعنا أن نلملم شذرات من هنا وهناك عن مختصر سيرته العطرة، وإلى القارئ الكريم هذه النبذة الوجيزة عن شيخنا

البشيري:

هو العلامة الفقيه المجاهد المصلح الشيخ عبد الحسين بن عباس البادكوبي المعروف بالبشيري نسبة إلى منطقة بشير حيث سكنها لأداء الوظائف الشرعية من قبل المرجعية الدينية العليا يومئذ.

وبشير (قرية تركمانية شيعية صرفة هدمها النظام المباد ورجعت بعد السقوط للظهور ثانية، ويعد البشيري من أبرز شخصياتها)[1]. وتقع بالقرب من قرة تبة في شمال العراق.

ولد في منطقة باكو (بادكوبه) عاصمة جمهورية آذربيجان ولم نقف على تاريخ ولادته، لكن يمكن تقديره استنباطاً من تاريخ وفاته المعلوقة فإنه توفي عام ١٩٥٠م عن خمس وخمسين سنة فيكون تاريخ ولادته عام ١٨٩٥م.

نشأ في تلك البيئة تحت أكتاف أسرته الكريمة إلى أن هجمت روسيا الشيوعية على بادكوبه وما والاها من بلاد آذربيجان فأضطر هو وأسرته إلى النزوح إلى بلاد إيران ونزل مدينة قم ومنها اخذ المقدمات والسطوح ثم حضر البحوث العلمية على أكابر العلماء. وبعدها هاجر إلى النجف الأشرف فأكمل دراسته العالية على علمائها وفي مقدمتهم مرجع الشيعة الأكبر أبي الحسن الأصفهاني وقد كان السيد قدس سره يشيد بفضله ويعتمد عليه في هداية الإمام ونشر الأحكام.

ومن آيات ذلك أن اختاره من بين مجموع أعلام عصره ليكون وكيله في شمال العراق حيث تسكن طوائف غلاة العلوية الذين ضلّوا عن طريق الحق وفسدت عقائدهم وبات من المتعذر هدايتهم إلى طريق الصواب.

فقد أخذوا الأقوال على ظاهرها دون تمحيص، وكان موقف الأئمة عليهم السلام منهم هو الرفض أو البراءة، وقد غالوا في الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وزعموا أنه إله، فنفى بعضهم، وحرق البعض الآخر بالنار، وهو ما أشار إليه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: (إن أمير المؤمنين كان يركب على بغلة في شهر رمضان في الكوفة، فرأى جمعاً يتناولون الطعام في شهر رمضان، فقال لهم: هل أنتم نصارى؟ فأجابوه بالنفي.

للفضيلة نجومها

ثم قال عليه السلام: أيهود أنتم؟ وكان الجواب بالنفي. ثم سألهم هل هم قوم سفر؟ فأجابوا أيضاً بالنفي.

فقال عليه السلام: أمرضى أنتم؟ فأجابوا بالنفي...

فأدرك عليه السلام المراد حينما قالوا: بل أنت أنت. فنزل ومرغ وجهه بالتراب وقال: أنا عبد الله. فأجابوه أنت أنت. ثم أرسل ابن عمه عبد الله بن عباس ليحاججهم، فلم يتراجعوا، فحرقهم بالنار ثم قال:

ألا ترون قد حفرت حفرا
إني إذا رأيت أمراً منكرا
وقدت ناري ودعوت قنبرا[٢]

كما أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كانت له مواقف علمية وجريئة في الرد على الغلاة وأنه عليه السلام تبرأ من أبي الخطاب (المغيرة بن سعيد) حينما وقف على غلوّه، في حين وقف الإمام العسكري عليه السلام موقفاً حازماً ضدهم حيث تبرأ عليه السلام من ابن نصير ولعنه على غلوّه، وحذّر منه ومن قبول دعوته.

أما موقف العلماء منهم فقد بيّن الشيخ المفيد بقوله: (الغلاة ضلّال كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالكفر والخروج من الإسلام).

لكن الشيخ البشيري بثاقب رأيه وبالغ حكمته وسعة علمه وإحاطته

مسجد بشير في منطقة قره تبة الذي أزاله النظام المقبور

بمدلول الشريعة الغراء، استطاع أن يقتلع تلك العقائد الفاسدة من جذورها خلال مدة وجيزة، ويعيدهم إلى حضيرة الإسلام الصحيح التشيع المعتدل وكان مسجده في تلك المنطقة مركز إشعاع للهداية وللإرشاد وقد أشار الكاتب الكبير الأستاذ جعفر الخليلي في ترجمة السيد أبي الحسن الأصفهاني من كتابه القيم (هكذا عرفتهم) إلى بعض ما يتصل بمهمة الشيخ البشيري في هداية أولئك الغلاة.

حيث قال: (قال لي الشيخ عبد الحسين البشيري وهو من العلماء الروحانيين الذين أوفدهم السيد أبو الحسن إلى الشمال واليه يرجع الفضل قسم غير قليل من المغالين الذين يغدقون على الإمام علي عليه السلام صفات لا يجيزها الإسلام إلى (حظيرة الإسلام) قال لي الشيخ البشيري: (لم يبق لديّ شيء بعد أن غيرت لتلك الطائفة عقائدها وطقوسها إلا أن احملها على اكرام شواربها (وقد كان الجميع من تلك الطائفة تقدس الشوارب وتعنى بها وتتعهدها).

فقلت: قال البشيري: سأنتهز من يوم (زيارة الأربعين) التي يقوم فيها الزوار على زيارة كربلاء والنجف نم جميع الجهات لأعرض هنالك الفكرة على السيد (أبي الحسن) واطلب أن يشير على من يزوه من تلك الطائفة إشارة خفيفة برغبته في اكرام الشارب وتخفيفه على الأقل وأنا الضمين بأنهم سيفعلون ذلك عن طيبة خاطر إذا أحسوا برغبة السيد أبي الحسن وقال لي البشيري وحين ذاكرت السيد أبا الحسن بذلك انتفض السيد وقال: مالك وهذه القشور ولم لا تترك الناس على سجيتهم)[٣].

وهكذا ظل هذا العلم الخفّاق يواصل جهاده في سبيل الله بين أولئك الناس الذين وفق لهدايتهم إلى أن مرض مرضاً شديداً في بشير فنقل إلى بغداد لغرض العلاج ولكن مرضه كان من الخطورة بحيث يئس منه الأطباء، فحمل إلى كربلاء لغرض تجديد عهده بزيارة سيد الشهداء، لكن المنيّة وافته وهو بجوار سيد شباب أهل الجنة ثم نقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الحيدري الشريف على آخر يمين الداخل من باب الطوسي قريباً من الزاوية وكان ذلك عام ١٩٥٠م.

وقد صاهره على إحدى كريمتيه سماحة آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي، الذي درس في النجف الأشرف ثم انتقل إلى مدينة قم المقدسة ليحل فيها مرجعاً دينياً فما لبث برهة إلا واتجهت إليه الأنظار واليوم يحتل مكانة مرموقة بين العلماء الأعلام في إيران، فكان نعم الصهر لنعم العم ■

---

(١) مجلة ميزوبوتوميا ع٨-٩ نيسان ٢٠٠٦ ص١٣٥.
(٢) شرح نهج البلاغة ج٥ ص٦.
(٣) هكذا عرفتهم ١/ ٦٧.

الشيخ فرج العمران القطيفي.. معطراً بأزهاره الأرجية

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع لعل من الواضح والمناسب أن يستذكر المرء بين الفينة والأخرى عظماء أمته، وأبرزهم تلك الوجوه التي جمعت بعد أن حصدت تاريخاً سوياً مستضيئاً بنور الأعراف والتقاليد من جهة والتشريع من جهة أخرى...

ولذا فقد اشتهر عدداً كبيراً من علماء الأمة الإسلامية بفنون مختلفة وفي مجالات عدة استفهم منها الجيل بطولات وأمجاد رجاله وحقائق مجتمعة وتاريخية الوضاء.. وقد أخذت شخصيات جليلة ومن خلال حقبة مليئة بالعلم والعلماء على عاتقها أن تلم شتات ما تحمله تلك الحقبة في جعبتها من نظريات وأفكار ومجالس تاريخية... وقد أنجبت مدن مشهورة تلك الشخصيات لما تحمله من تاريخ وحضارة واسعة اشتهرت بين تاريخنا الإسلامي...

فمن تلك المدن، مدينة شريفة، شرفها بتاريخها وعلمائها، والتي أنجبت نماذجاً طيبة منهم مترجمنا الجليل، فهي القطيف.. مدينة الينابيع المتدفقة.. مدينة العراقة والآثار، تضرب بجذورها

في أعماق تاريخ الجزيرة العربية، ويرد اسمها في التاريخ الإسلامي كواحدة من أبرز المدن الشيعية ومن أفضلها في السعودية... وكان لعلمائها دور في نشر التشيع في هذه البقعة من دنيا الله...

ومترجمنا هذا من تلك البقعة المباركة ومن علمائها الذين كان لهم دور واسع في نشر الثقافة الإسلامية عموماً والشيعة بالدرجة الأخص، ذلك هو الشيخ فرج العمران القطيفي...

حياته الأسرية:

هو الشيخ فرج بن حسن بن أحمد ابن حسين... ابن عمران بن محمد بن علي بن عبد المحسن القطيفي...

وهو من أسرة آل عمران إذ إنها أسرة شريفة كريمة، ومن بيت علم وتقى ومجد وشرف وترف وغنى، أجداده من أصحاب العلم والفضيلة واحداً بعد واحد.

وأما والده فهو الحسن، حسن الأخلاق والاسم والصفات، صاحب دين وحياء، خالص الإيمان، إذ كان شغله الشاغل الكتابة وتعليمها، فكان خطه من أجود الخطوط، مولده كان سنة (١٢٨٠هـ) تقريباً. أما والدته فهي السيدة النجيبة الحسينية، هاشمية بنت السيد حسين البلادي، والمولودة سنة (١٢٩٦هـ) تقريباً.

ولد مترجمنا الشريف في الساعة الثانية من ليلة الجمعة الثانية من شهر شوال المبارك سنة (١٣٢١هـ) وقد أرخها بنفسه مناجياً به إذ يقول:

يا رب يا ذا المن والطول
أرجوك أن تعطيني سؤلي

إلى أن يقول:

أرجوك غفرانا كما قد أتي
في مولدي تاريخه (اغفر لي)

ومن اللطيف ما حدث له، إذ أن وقت ولادته كان من الأوقات السعيدة، وكما يقول أصحاب النجوم ولد وكانت الشمس في برج الجدي والقمر في برج الدلو في أواخر سعد الأخبية، إلا أن تلك السنة كانت من السنوات الموبية والعياذ بالله، حتى أصيب بذلك الوباء خالته التي كانت تعين أمه على رعايته...

عائلته الكريمة:

في ليلة العشرين من شهر ذي القعدة

للفضيلة نجومها

سنة (١٣٤٣هـ) تزوج شيخنا الجليل بالحرة المصونة (شهربان) المولودة في السابع من شهر ربيع الثاني سنة (١٣٢١هـ) بنت ملا حسن...

رزقه الله في أول مولد له في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة (١٣٤٦هـ) وهي ابنته المصونة خديجة ثم توالى عليه الرزق من الأولاد والبنات فكان محمد ثم حسن ثم علي ثم فاطمة ثم حسين ثم عمران ثم زينب ثم علي ثم زهراء ثم الأخير سعيد أسعده الله بهم وقد أرخ ولادتهم جميعاً.

حياته العلمية:

لما أكمل مترجمنا الخمس سنوات من عمره وضعته والدته عند المعلمة أنذاك، فتعلم عندها جزئي عم وتبارك، ثم بعد سنة تقريباً وضعته عند معلم آخر وهو المسمى بـ(مجمد الجني)، فتعلم عنده تمام القرآن.

ثم وضعته والدته عند مجموعة من المعلمين ليتعلم منهم الكتابة وحسن الخط وغيرها...

بعد أن ضبط القراءة والكتابة أصبح من المحبين لصناعة الشعر القريض، فبدأ كتابة الشعر وعرضه على بعض العلماء حتى قال له بعضهم وهو الفاضل الشيخ عبد الله: (عليك بدراسة العربية حتى تهذب قصائدك بنفسك)، وبالفعل ومن تلك اللحظة توجه شيخنا إلى دراسة العربية مبتدئاً من الاجرومية ثم شرح القطر ثم شرح النظام وحاشية التهذيب وشرح الألفية وبعض شرح الشمسية على أول أساتذته هو الشيخ باقر بن الحاج منصور الجشي، ثم قرأ تمام شرح الألفية وبعض شرح اللمعة وشطراً من رسائل مرتضى، وطائفة من كفاية الأصول، وبعضاً من طهارة الرياض عند الفاضل الشيخ محمد حسين بن الشيخ المقدس حسين آل عبد الجبار البحراني القطيفي، وقرأ مغني اللبيب وكتاب الشرايع وشرح التلخيص عند الشيخ أحمد بن الحاج سنان...

ولما أنهى كتب المقدمات من النحو الصرف والمنطق وأكمل كتب السطوح من الفقه والأصول لم تكن في وطنه القطيف أبحاث خارجة توجب الترقي إلى معارج الكمال وحصول ملكة الاجتهاد واستنباط الأحكام استفزه الشوق إلى الرقي عن حفيض التقليد إلى أوج الاجتهاد فنفر من وطنه متوجهاً إلى مدينة العلم الكبرى مدينة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النجف الأشرف وصولاً إليها في الليلة الثانية من شهر رمضان عام (١٣٥٦هـ)، وبعد ذلك حضر علمي الفقه والأصول على جملة من فطاحل علماء النجف وعظمائها منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني والسيد حسين الخراساني والشيخ علي الجشي...

مكانته العلمية:

بعد أن ذاع صيته في الأوساط العلمية، تسنم الشيخ وكالة السيد

الشيخ فرج العمران القطيفي معطراً بأزهاره الأرجية

أبي الحسن الموسوي الاصفهاني قدس سره في منطقته القطيف، فقد كان ثقته ومعتمده في تلك المنطقة، وبعد وفاة السيد أبي الحسن، تولى زمام المرجعية المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم قدس سره، تسلم الشيخ الجليل وكالته الجديدة من السيد الحكيم، وخلال وجود الشيخ في النجف حصل على إجازات عدة من مراجع الحوزة العلمية وفضلائها منهم الشيخ هادي آل كاشف الغطاء والشيخ محمد حسين الأصفهاني وغيرهم...

وقد تصدى إمامة الجماعة في السابع والعشرين من شهر صفر سنة (١٣٥٤هـ) في مسجد السدرة الواقع بمنطقته في القطيف.

أسفاره:

بعد هذه المعاناة من الدراسة والتدريس حاول الشيخ أن يعطي لنفسه بعض القسط من الراحة، حيث بدأ بوضع الملامح الأولى للدخول إلى عالم جديد لعله يستسقي منه اللبنة الأولى إلى تثبيت مراحله القادمة.

فبدأ بأسفاره إذ قسمها إلى قسمين:

أ ـ اسفاره قبل هجرته إلى النجف، وهي على ثلاثة أسفار: إذ توجه في اليوم الرابع من ذي القعدة الحرام سنة (١٣٤٢هـ) إلى زيارة أئمة العراق برفقة بعض أصحابه فتوجهوا إلى مرقد الكاظمين عليهما السلام أولاً ثم إلى سامراء ثم إلى كربلاء رجوعاً للكاظمية بعدها توجهوا إلى النجف الأشرف لزيارة

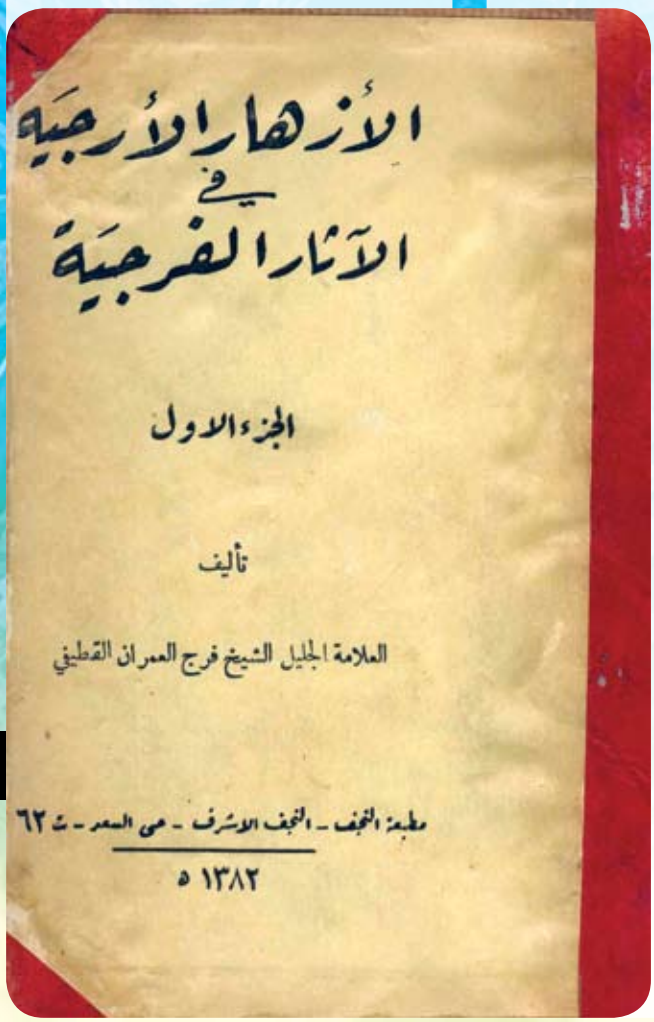

للفضيلة نجومها

أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، ثم عاد إلى كربلاء فأكمل بها شهر محرم الحرام إلى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام بعدها عاد من كربلاء إلى البصرة إلى بلده منتهياً بذلك السفر الأول عام (١٣٤٣هـ).

أما سفره الثاني فكان عام (١٣٤٧هـ) إذ توجه من القطيف لزيارة أئمة العراق ثم لزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

وكان سفره الأخير سنة (١٣٤٩هـ) بصحبة بعض أصدقائه وأحبائه وقد استطاع من خلال هذه الرحلة الحصول على بعض إجازاته الشريفة.

ب ـ القسم الثاني من أسفاره: وقد بدأ بعد زواجه وتكوينه لعائلته العفيفة، إذ توجه إلى العراق وغيره جامعاً بذلك أزهاره الأرجية كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أزهاره الأرجية:

إن من الغرائز الإنسانية وما جبلت عليه طبائع البشر، حب الذكر الجميل والحياة الخالدة الثانية ورسم الآثار في جبهات الدهور وإيداع الشخصيات في سطور التاريخ، تلك الضالة المنشودة والبغية المقصودة تلك الغاية السامية القصوى التي أعطت رجال السمو ونوابغ الفضيلة رغبة في العلم ونشاطاً في العمل وقوة على الجد في طلب الرقي من حضيض الهمجية إلى أوج الحضارة والتمدن الصميم، ولعمر الشرف إن تلك الغاية السامية برزت ناصعة لكل رواد الحقيقة وبلغت مبلغاً في البروز لا يقبل التشكيل، ومن الصعب جداً إقامة البرهان على أي مدع لو افتقر الصبح إلى دليل.

بهذه الكلمات المعطرة ابتدأ شيخنا المترجم أزهاره معللاً بذلك بأنه شاعر أحب الذكر الجميل والحياة الخالدة وأحب أن تبقى آثاره مسطورة في طروس التاريخ لذلك عنون كتابه بهذا العنوان (الأزهار الأرَجَية في الآثار الفَرَجية).

ابتدأ قطف أزهاره هذه بعد أوبته الثانية من النجف الأشرف إلى وطنه القطيف بتاريخ ١٣٥٨/٥/١٤هـ.

في هذا الكتاب الذي يقع في خمسة عشر جزءاً أسهم الشيخ في تثبيت حركة القطيف الفكرية والتاريخية، فكان له دوراً كبيراً في الحفاظ على آثار وتراث علماء القطيف وشعرائها وأدبائها وزعمائها السياسيين وشخصياتها المرموقة، ولولا جهوده الجبارة لضاع هذا التاريخ وأصبح في خبر كان، فقد قام بتنقيح وتصحيح وتحقيق كل المعلومات التاريخية وأصبح مثله كمثل النحلة التي تنتقي الزهرة الفواحة وتترك تلك التي ليس لها رائحة.

فضلاً عن ذلك فقد جمع تاريخ غير القطيفيين ودون أهم لقاءاته مع علماء النجف وشخصياتها المعروفة.

والحق يقال: إن هذا الكتاب عند قراءتي له وكأنني في بستان من بساتين هذه الدنيا، أشم رائحة عطره من أزهاره المونقة، فتمنح النفس راحة تبعدها من الهموم، فجمع في كتابه

هذا الشعر والشاعر، المجلس والعالم، اللطيفة والنكتة، المعلومة الفقهية والعقائدية، فهو مزيج من الأدب والفقه والفكر والتقاليد والأعراف.

شعره:

أولع الشيخ ومنذ نعومة أظفاره بكتابة الشعر وقراءاته وكما أسلفنا في مقدمة هذا البحث، فقد كان يراعه محفوفاً بقصائد جميلة أخذت صداها في الأوساط العلمية، أما منهجية وأسلوب شعره فقد سار على ظلال المدرسة الكلاسيكية التقليدية كمدرسة النجف قديماً التقليدية، فشعره أسلوب ينبع من ينبوع المدرسة التقليدية، وكان الشيخ يتمنى أن ينهج على أسلوب المدرسة الرومانسية الحديثة، ولكنه لم يستطع كما نقلوا عنه ذلك، لأنه منفتح الآفاق... ومن شعره قصيدة تحت عنوان (المعراج) وهذه بعض من أبياتها:

عقل يرى المعراج: حلماً صادقاً
وأراه: قولاً للعروج تؤولاً
يا عقل! كيف يصح تأويل ارتقا
قنن الكمال... بأنه حلم حلا
ويراه عقل: كان سير الفكر في
طلب الحقيقة: سائحا، متجولا

وفاته وآثاره:

رحل مترجمنا الشريف إلى جوار ربه الكريم في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام (١٣٩٨هـ)، وترك مجموعة من الآثار بين مخطوط ومطبوع ذاع صيتها بين أقرانه ومحبيه ومجتمعه فكان المطبوع منها:

١- تحفة أهل الإيمان في تراجم علماء آل عمران.
٢- مستدرك التحفة.
٣- الرحلة النجفية.
٤- مجمع الأنس في شرح حديث النفس.
٥- الأزهار الأرجية.
٦- الدرر المجازات في الرخص والإجازات.
٧- الروض الأنيق في الشعر الرقيق.
٨- تعليقة على (ماضي القطيف وحاضره).
٩- الدرر الغرر.
١٠- سفط الغوالي وملتقط اللآلي.
١١- الكلم الوجيز في ذكر خبر الأراجيز.
١٢- ليلة القدر.
١٣- مرشد العقول في علم الأصول.
١٤- ثمرات الإرشاد.
١٥- قبل القطيف.
١٦- المرقد الزينبي.
١٧- وفاة زينب الكبرى.
١٨- الأصوليون والإخباريون فرقة واحدة.
١٩- نخبة الأزهار في شرح منظومة لا ضرر ولا ضرار.

وله بعض الآثار المخطوطة لم تصل إلينا إذ أنها محفوظة عند أهله الآن في القطيف... والحمد لله رب العالمين ■

الصحيفة السجادية..

للإمام زين العابدين عليه السلام

ملحمة المعارف.. وذخيرة العطاء الحي

• السيد محمد علي الحلو
باحث وكاتب إسلامي

الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام)

ينابيع كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد رجع بعد واقعة الطف وهو يحمل ذكريات الفاجعة الأليمة التي ألقت بظلالها على المعطيات العامة من الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية العامة، فعلى الصعيد الاجتماعي تركت الفاجعة أثرها على الوجدان الشعبي الذي راح يؤنب الضمائر ويستنهض الهمم للانتقام على خلفيات مصرع الحسين وأهل بيته عليهم السلام فوقع هذا الوجدان باتجاه الثورة والتصحيح حتى كانت ثورة التوابين وحركة المختار وانتفاضات العلويين والمنتصرين لهم.

وعلى الصعيد السياسي كانت توجهات النظام محفوفة بالتوجسات المختلفة حيال عاملها مع الإمام علي بن الحسين عليه السلام حتى أفرزت هذه الحالة حذر السلطة الأموية من أي نشاط يصدر عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ومعنى هذا فرض الإقامة على جميع تحركاته وتوجهاته.

في ظل هذه الظروف المتوجسة والحذرة يعمد الإمام عليه السلام إلى تحديد تحركاته واتصالاته بقطاعات شيعته التي تغلي نفوسها وتجيش ضمائرها بسبب ما تركته واقعة الطف حيث ألقت بظلالها على توجهات العامة التي احتبست مشاعرها في صدورها وعبّرت عن احتقانها بثورات عارمة تعبّر عن رفضها للنظام ومن المعلوم أن أي لقاء بين الإمام زين العابدين عليه السلام وبين جماهير الأمة سيوظفه النظام إلى غير صالح الإمام ويعتبرونه بأنه تنظيم يتزعمه الإمام وإن أية حركة معارضة أو تمرد عسكري، أو انتفاضة شعبية، أو تحرك معارض، أو نشاط اجتماعي، أو توجه ثقافي يستغله النظام ليجعله إدانة (قضائية) أو ثغرة قانونية يدين من خلالها الإمام عليه السلام ويعرضه ويعرض شيعته إلى القتل والتنكيل.

ويحتج النظام - وبكل بساطة - بأن علي بن الحسين يسعى لأخذ الثأر من النظام لمقتل أبيه الحسين، هذه التحسبات كانت - على ما يبدو - مأخوذة في نظر الإمام عليه السلام لذا كان لابد من أخذ موقف الإنعزال عن لقاء أي قطاع من قطاعات الأمة والنظام يعيش حالة التوجس من تحركاته وشيعته كذلك.

لكن ذلك لا يعني أن الإمام سينعزل من ممارسة مهامه فعلاً، أو يتجرد من مسؤلياته حقيقية، بل يرجح الإمام زين العابدين عليه السلام تحركاته وفق خطط محسوبة يكون من خلالها قد مارس قيادته للأمة بشكل فعلي، فكان عليه السلام من جملة تحركاته في تربية الأمة ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة أن عمل على شراء العديد من الإماء والعبيد فيمكثون لديه فترة من الزمن حتى يعلمهم ويربيهم تربية إسلامية صحيحة، ويفتح لهم آفاق العلوم والحكم وينشئهم على القول بإمامة أهل البيت عليهم السلام فيأخذون منه الأدب والحكمة والأخلاق الفاضلة ثم يعمد إليهم فيعتقهم ويبثهم في المجتمع ليقوموا بنشر ما سمعوه، وبث ما وعوه من القول بإمامة أهل

البيت عليهم السلام حتى استطاع بجهده هذا أن ينشئ قاعدة جماهيرية عظيمة تقول بإمامة الأئمة عليهم السلام، وهذه إحدى تحركاته البعيدة عن عين الرقيب الحاكم، وعلى الصعيد نفسه حاول الإمام زين العابدين عليه السلام برمجة تربوية أخرى وهي نشر علوم أهل البيت عليهم السلام بشكل لا يتيح للسلطة الأموية من ملاحقة هذا الجهد واتهامه بالتحريض ضدها، فكانت أدعية الإمام زين العابدين التي من خلالها يبث أطروحته الإلهية بين أوساط الأمة، وكانت تقرأ الفكر الإمامي على أنه دعاء وتهجد إلى الله تعالى إلا أن في مطاوي هذا الدعاء كانت ثقافة الإمامة تنساب إلى الأوساط العامة دون أي محذور وهذه من أهم المحاولات التربوية التي ابتكرها الإمام زين العابدين في تربية الأمة وكانت الصحيفة السجادية أحدى الآليات الإعلامية التي حاول الإمام عليه السلام استخدامها في تنمية الروح الإسلامية الأصيلة.

الصحيفة السجادية

تعد الصحيفة السجادية أهم تراث ورثه شيعة أهل البيت عن أئمتهم عليهم السلام ويحق لهم أن يعدوا هذه الصحيفة من أروع التراثيات الثقافية والموروث الفكري الإمامي الذي يفتخر به الإمامية، بل يحق للإنسانية أن تفتخر بهذا السفر الإنساني العظيم الذي أوضح إمكانية التعامل الإنساني بكل صيغة متاحة من قبل أهل البيت عليهم السلام لا كما تترجمه شعارات حقوق الإنسان (المسيسة) لصالح مجموعة أو المبرمجة في توجهاتها لصالح قضية ما.

فالصحيفة السجادية ملحمة من العلوم الإنسانية والسياسية والاقتصادية وكل ما يحتاجه المجتمع الذي يصبو إلى مدنية متكاملة تتعهد بضمان حقوق الإنسان واحترام توجهاته الإنسانية، كما أنها ترجمة لسلوكية الإنسان المتكامل بغض النظر عن دينه وعقيدته.

كيف وصلت الصحيفة السجادية؟

لم يزل أئمة أهل البيت عليهم السلام يعيشون في محذور النظام الذي أوعز لرجالاته بمتابعة تحركاتهم، والعمل على احتواء جهودهم الشريفة، إلا أنه لم يفلح ضمن عناية الأئمة وحساباتهم الدقيقة في هذا الشأن، وكانوا حريصين على عدم تسرب شيء من هذه العلوم إلى الآخر خشية مصادرته وتحريفه، أو الاستفادة منه استفادة سلبية، كما حدث في استيلاء معاوية بن أبي سفيان على ثروة علمية (جاهزة) من خلال استمكانه من مصادرة عهد مالك الأشتر بعد محاولة اغتياله والعثور على هذا العهد ضمن أمتعة مالك رضوان الله عليه، فاستفاد منه معاوية بعد أخذه وادخاره في خزانته.

لم يعد لهذا التفريط (الثقافي) شأن

بعد استحكام الأئمة عليهم السلام قبضتهم على تراثهم وذلك من خلال ادخاره في خزائنهم وتحميله لأوثق أصحابهم من أجل نشره بحذرٍ محسوب.

هذه التجربة نشاهدها في انتقال الصحيفة السجادية إلى الثقاة من رواة الشيعة بعد أن نقرأ قصة انتقالها بحذرٍ تام، استخدمه أهل البيت عليهم السلام في التعاطي مع هذه الصحيفة.

قصة السند ورواية التناول

جاء في سند الصحيفة السجادية هذه السلسلة من الرواة لينقلوا لنا ملحمة روائية رائعة تحكي ملاحقة السلطة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ومطاردة أبنائهم وأتباعهم، وكيف كان تعامل أهل البيت عليهم السلام المشوب بحذرٍ شديد أوصل هذه الصحيفة سالمة دونَ أن تمسها يد السلطة والعمل على إقصائها ومصادرتها، واليك السند ورواية الانتقال:

رفع عن عمير بن متوكل الثقفي البلخي عن أبيه متوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان بعد قتل أبيه فسلمت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت من الحج فسألني عن أهله وبني عمه بالمدينة وأحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن علي عليه السلام فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي عليه السلام أشار على أبي بترك الخروج وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام؟ قلت نعم قال: فهل سمعته يذكر شيء من أمري؟ قال: بم ذكرني خبرني؟ قلت: جعلت فداك ما أحب إن استقبلك بما سمعته منه. فقال: أبالموت تخوفني؟ هات ما سمعته. فقلت: سمعته يقول: انك تُقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب، فتغير وجهه وقال: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) يا متوكل إن الله عز وجل أيّد هذا الأمر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجمعا لنا وخصّ بنو عمنا بالعلم وحده. فقلت: جعلت فداك أني رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر بن محمد عليه السلام أميل منهم إليك والى أبيك فقال: إن عمي محمد بن علي وابنه جعفراً عليهما السلام دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت: يا بن رسول الله أهم أعلم أم أنتم؟ فاطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم ولا نعلم كل ما يعلمون.

ثم قال لي: أكتبت من ابن عمي شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أرنيه.

طروحات عامة

فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه عليّ أبو عبد الله عليه السلام، وحدثني أن أباه محمد بن علي عليهما السلام أملاه عليه وأخبره أنه من دعاء أبيه علي بن الحسين عليهما السلام من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره وقال لي: أتأذنُ في نسخه؟ فقلت: يا ابن رسول الله أتستأذن فيما هو عنكم؟ فقال: أما لأخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل مما حفظه أبي عن أبيه، وإن أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها.

قال عمير: قال أبي: فقمت إليه وقبلت رأسه وقلت له: والله يا ابن رسول الله لأدين الله بحبكم وطاعتكم واني لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم، فرمى صحيفتي التي دفعتها إليه إلى غلام كان معه وقال: أكتب هذا الدعاء بخط بين حسنٍ وأعرضه عليّ لعلي أحفظه فانيٍ كنت أطلبه من جعفر (حفظه الله) فيمنعنيه، قال متوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدرِ ما أصنع، ولم يكن أبو عبد الله عليه السلام تقدم إليّ ألا أدفعه إلى أحد ثم دعا بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبله وبكى، ثم فضه وفتح القفل ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينه وأمرّها على وجهه وقال: والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي أنني اقتل وأصلب لما دفعتها إليك ولكنت بها ضنيناً، ولكني أعلم أن قوله حق أخذه عن آبائه، وانه سيصح فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أمية فيكتموه ويدخروه في خزائنهم لأنفسهم فاقبضها واكفنيها وتربّص بها فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، فإنهما القائمان في هذا الأمر بعدي، قال المتوكل: فقبضت الصحيفة فلما قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فحدثته الحديث عن يحيى، فبكى واشتد وجده به وقال: رحم الله ابن عمي والحقه بآبائه وأجداده، والله يا متوكل ما منعني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه.. إلى آخر الرواية.

وبغض النظر عن سند الرواية فان إمكانية الأخذ بها اعتماداً على دلالتها تكون قريبة الاحتمال كون أن مفاهيم الرواية قريبة جداً من الواقع المعاش لتلك الفترة.

فالراوي يتحدث عن ملاقاته الشهيد يحيى بن زيد رضوان الله عليه ويؤكد المشهد على عمق العلاقة الطيبة بين الإمام الصادق عليه السلام وبين يحيى وذلك بإحفائه السؤال عن الإمام الصادق عليه السلام وخصه لوحده

بالسؤال عن حاله يشير إلى حالة الترابط بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام وذكر يحيى أن الإمام الباقر عليه السلام أشار على أبيه زيد بترك الخروج وعرّفه مصيره إن هو خرج حيث القتل والصلب وهذا لا يعني التشكيك بمشروعية زيد في خروجه بقدر ما هو اخبار إرشادي عما يؤول إليه مصيره إن هو خرج وهو شبيه بإخبار الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه عن مصيرهم المحتوم من القتل حيث أشار عليهم بالانصراف فأبوا إلا المشاركة معه والشهادة بين يديه وهذه لا يعني عدم مشروعية مشاركتهم في القتال، بل هو أمر إرشادي وليس أمراً مولوياً.

بعض ما ورد في الصحيفة السجادية

لا يمكن أن نفاضل بين الأدعية السجادية من حيث الأهمية فالجميع لها أهميتها بمكان، نعم في معرض الاستعراض عن بعض الدواعي التأسيسية لهذه الأدعية منها ما ورد في دعائه عليه السلام لأهل الثغور، فبالرغم من وجود السلطة الأموية غير الشرعية فان الإمام عليه السلام يؤكد في دعائه هذا على أمرين:

الأول: حرصه على سلامة الدولة الإسلامية وعلى وحدتها من أي هجوم خارجي.

الثاني: التأكيد على قيادته الشرعية والقانونية للدولة الإسلامية، فعلى الصعيد الشرعي فإن القائد يجب عليه المحافظة على بيضة الإسلام المتمثلة في الشعار الإسلامي للدول - بغض النظر عن ماهية التعاطي مع هذا الشعار - وعلى الصعيد القانوني فان مهام القائد القانونية توفير الحماية لحدود الدولة والتصدي لأي اعتداء أو هجوم خارجي من شأنه أن يقوض بنية الدولة، إذن لا يعني دعاءه عليه السلام لأهل الثغور الاعتراف بمشروعية النظام القائم، ففرق بين تشكيلة الدولة في الأطروحة السياسية الإسلامية وبين النظام التنفيذي لهذه الدولة حيث يمكن التفكيك بينهما على الأساس القانوني للمفهومين، فمفهوم الدولة يعني مجموعة الحيثيات القانونية التي تتدخل في تركيبة الدولة وهيكليتها، من حيث النظام الحاكم وهو آلية التنفيذ فيمكن أن يكون قانونياً مشروعاً - حسب نظام الدولة - من حيث انتخابية النظام - هذا في الصيغ الوضعية - أو من حيث إقراره من قبل الحاكم الشرعي وهذا في النظام الإسلامي الشرعي، وبذلك فان دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لأهل الثغور لا يعد دفعا شرعياً قانونياً للنظام الأموي بقدر ما هو إلغاء لمشروعية النظام واثبات لأحقية قيادة الإمام عليه السلام الشرعية والقانونية.

فقد جاء في بعض مقاطع الدعاء من حيث رعايته في تعبئة المسلمين العسكرية قوله عليه السلام: (**اللهم صل على محمد وآله، وكثر عدتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحد بكفاية**

مؤونتهم، وأعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر).

وهذا المقطع يؤكد على حرصه عليه السلام في مجال تعبئة المحاربين واهتمامه عليه السلام بالإمداد العسكري من حيث العدة والعدد.

وفي الجانب التربوي في الإعداد الروحي لهؤلاء المحاربين قال عليه السلام:

(اللهم صل على محمد وآله، وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة والغرور، وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنة نصب أعينهم، ولوّح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن الخلد، ومنازل الكرامة والحور الحسان، والأنهار المطّردة بأنواع الأشربة، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر، حتى لا يهم أحد منهم بالأدبار، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار).

بعد ذلك يعكف عليه السلام بالدعاء على العدو حيث الالتفات لطرفي الحرب ومعالجتها من قبله عليه السلام نظرة متوازنة في التشخيص والمعالجة لأي حديث حيث قال عليه السلام:

(اللهم افلل بذلك عدوهم، وأقلم عنهم أظفارهم وفرق بينهم وبين أسلحتهم، واخلع وثايق أفئدتهم، وباعد بينهم وبين أزودتهم، وحيرهم في سبلهم، وضللهم عن وجوههم، واقطع عنهم المدد، وانقص منهم العدد، واملأ أفئدتهم الرعب، واقبض أيديهم عن البسط، وأخزم ألسنتهم عن النطق، وشرد بهم من خلفهم، ونكل بهم من ورائهم، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم).

هذا دعاء عليه السلام على أعدائه حيث يتحرى مواضع الضعف في بنية تشكيلاتهم متوخياً بذلك وهنهم وخذلانهم وهذا شأن القائد فعلاً.

ثم قال عليه السلام:

(اللهم عقم أرحام نسائهم، ويبس أصلاب رجالهم، واقطع نسل دوابهم وأنعامهم، لا تأذن لسمائهم في قطر، ولا لأرضهم في نبات).

هنا الإمام عليه السلام يأخذ في حساباته النمو السكاني والرفاه الإقتصادي.

فالأول يعني انحلال حضارة العدو وانهيارها على المستوى السكاني وهذا يشير إلى تفشي الأمراض والأوبئة القاضية بالقضاء على التركيبة السكانية.

أما الثاني فهو التركيز على الانهيار الاقتصادي بسبب الوباء الحيواني إضافة إلى المشكلة الإروائية التي تنعكس على الازدهار الاقتصادي بسبب تدني المستوى الزراعي للعدو.

وأكاد أجزم أن ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بحكم قيادته الإلهية تفوق إمكانية أية قيادة وضعية يدعيها الآخرون.

وقال في مقطع له عليه السلام:

(اللهم وامزج مياههم بالوباء، وأطمعتهم بالأدواء).

الإمام عليه السلام يؤكد على حقيقة علمية أغفل عنها الجميع في وقته عليه السلام وهي إشارته إلى أن الوباء ينتقل من خلال المياه، وبالفعل فان منظمات الصحة العالمية اليوم تؤكد على سلامة المياه وعدم تعرضه لتلوث بيئي يهدد سلامة هذه المياه وأمنها من انتقال الأوبئة التي تتعرض إليها.

دور الصحيفة السجادية في حفظ الحديث النبوي من الضياع

بعد أن فرضت الأنظمة حظراً تقليدياً على الحديث النبوي في ظل توجس الأنظمة من التعاطي معه وكونه أداة لفضح هذه الأنظمة المتسلطة وإلقاء شرعيتها المدعاة، حاول الإمام زين العابدين عليه السلام من إمكانية رفع الحظر عن الحديث النبوي وذلك من خلال بث الحديث النبوي في الأوساط العامة، حيث ضمن مفهوم الحديث النبوي المحظور في دعائه عليه السلام فمثلاً:

(**اللهم صل على محمد وآل محمد كما شرفتنا به، وصل على محمد وآل محمد كما أوجبت لنا الحق على الخلق بسببه...**).

وفي هذا المقطع أكد عليه السلام صلته بالنبي صلى الله عليه وآله وأوضح مدى علاقته وارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله فهو لحمته وحامته وخاصته، وهم أهل بيته المصطفين، فكما خصهم الله بعلاقتهم به، خصهم كذلك بحقوقهم على العباد، وفرض طاعتهم على الخلق.

وفي دعاء له عليه السلام: وأعذني من الشيطان الرجيم.. ومن شر كل من نصب لرسولك ولأهل بيته حرباً من الجن والأنس.

فهو إشارة لأهمية التمسك بهم وولائهم ونبذ كل وليجة دونهم، ومعاداة أعدائهم، حيث أراد عليه السلام من خلال دعائه أن يثبت قول رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته حربكم حربي، وقوله صلى الله عليه وآله لعلي: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله.. ومعلوم أن هذه الأحاديث لا يمكن تداولها أو التعاطي معها لحظر النظام الأموي لها بكل الطرق إلا أن الإمام عليه السلام حاول تصدير هذه المفاهيم والأحاديث المحظورة من خلال دعائه عليه السلام.

هذا شأن الصحيفة السجادية ملحمة المعارف وذخيرة العطاء الإلهي..■

الشعراء والنمل

قيل: دخل بعض الشعراء على الأديب جمال الدين ابن نباتة فرأى في نواحي منزله نملاً كثيراً فأنشأ يقول:

مالي أرى منزلَ المولى الأديبِ به
نملٌ تجمّعَ في أرجائِه زُمَرا

فأجابهُ ابن نباتة بقوله:

لا تعجَبنَّ إذنْ من نملِ منزلِنا
فالنملُ من شأنِها أن تتبعَ الشُعرا

الصلة بين مفهوم الدين والدولة

دولة الإمام المهدي(٤) أنموذجاً

• ثائر عباس النصراوي

ينابيع الدين لغة يعني (الطاعة)[1] وهو أيضاً مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة، والدين يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء، أساسه الوجدان، وللعقل فيه مجال أيضاً، حيث يقول الجرجاني: (الدين وضع إلهي يدعو اصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول)[2].

وأيضاً يطلق الدين بمعنى (العادة)[3] ويطلق بمعنى أوسع على الحق والباطل ويشمل أصول الشرائع وفروعها لأنه عبارة عن وضع إلهي سابق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات[4]. وقد يطلق على الأصول أي أصول الدين خاصة أو فروعه[5].

أما الفرق بين الدين والملة والمذهب فهو أن الدين منسوب إلى الله، والملة منسوبة إلى النبي أو الرسول، والمذهب إلى المجتهد[6].

أما الشريعة فتضاف إلى الله والنبي والأمة وهي من حيث إنما يطاع بها فتسمى ديناً، ومن حيث أنها يجتمع عليه تسمى ملة، وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض، ولهذا قيل أنها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار[7].

أما الدولة ففي الحرب بمعنى أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى حيث يقال كانت لنا عليهم الدولة أي الغلبة[8].

والدولة أيضاً بمعنى مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية متميزة عن المجتمعات الأخرى المماثلة والتي تربطه بها العلاقات. وتختلف الدولة فيما بينها من حيث تكوينها ونظام الحكم فيها فمنها كبيرة وصغيرة ومنها ملكية وجمهورية[9].

والدولة هي تنظيم سياسي يكفل حماية القانون وتأمين النظام لجماعة من الناس تعيش على أرض معينة بصفة دائمة[10]، يقول (سارتر): (إن سلطة الدولة هي سلطة الأب القبلي، وتعتبر الدولة اتحاداً من عدد من الأسر تحت سلطة الحاكم ذي السيادة، ويبرر البعض سلطة الحاكم بأنها مستمدة من الله سبحانه وتعالى حيث أن الحاكم هو خليفة الله في الأرض. وتعتبر بعض النظريات (الثوقراطية) أي الدكتاتورية من أقدم النظريات تبريراً لاستبداد الملوك.

وفي القرن السابع عشر برزت نظرية العقد الاجتماعي باعتبار أن السلطة السياسية يجب أن تعبر عن إرادة الشعب، ويحدد الشرع في الإسلام وظيفة الحاكم حتى ليقصرها على الصلاحيات التنفيذية، فالولاية أمانة وسلطان رئيس الدولة واجبان وكان هذا الأساس الإسلامي هو آخر ما وصل إليه الفكر السياسي الغربي نتيجة للثورات الفكرية والاجتماعية المستمرة[11].

وذهب البعض إلى تبرير خضوع الدولة للقانون بنظرية التضامن الاجتماعي وعلى أي الأحوال فإن الإرادة في الدولة القانونية ليس لها أن تتصرف إلا بموجب نص قانوني، والدولة في الماركسية هي التنظيم السياسي للطبقة السائدة في الاقتصاد ويؤرخون لظهورها بانقسام المجتمع إلى طبقات يقوم تشكيلها على الجهاز الحاكم المزود بالجيش والبوليس والسجون.

طروحات عامة

والمجتمع القائم على الملكية تكون الدولة إدارة قمع في يد الطبقة المستغلة والدول الاشتراكية هي التي يشكلها مجتمع اشتراكي، ودولة الشعب تعبير شيوعي وهذا يعني أن المجتمع قد دخل مرحلة الإدارة الذاتية العامة والشيوعية[١٢].

وإجمالاً فالدولة هيئة ذات كيان معنوي قانوني تتكون من منطقة مسكونة ذات حدود معينة هيئة حاكمة، ويتولى المسؤولية العليا في الدولة ملك أو دكتاتور أو رئيس جمهورية، مع رئيس الوزراء في غير النظام الرئاسي، وعدد من الوزراء يتكفل كل منهم الإشراف على جانب من جوانب المجتمع المهمة كالخارجية والدفاع والمالية والاقتصاد... الخ وغير ذلك مما تحتاجه الدولة في إدارة شؤونها مما قد يزيد وينقص باختلاف الدول.

ويوجد في جملة من الدول مجلس للبرلمان يتكفل بالسلطة التشريعية في البلاد، والأساس النظري الذي يقوم عليه هو تمثيل أعضاء المجلس لفئات الشعب المختلفة لكي تكون موافقتهم على القوانين موافقة للشعب نفسه حتى يكون القانون النافذ على الشعب كأنه صادر من الشعب نفسه.

ويوجد في الدولة أحزاب بعضها سري وبعضها علني وبعضها يمارس الحكم فعلاً أما بمفرده أو مع غيره من الأحزاب، وترى أكثر الدول نفسها حق منع الأحزاب والاذن لها بالنشاط طبقاً لما ترى الدولة لنفسها من المصالح ويمثل كل حزب أيديولوجية معينة، أي نظرة خاصة إلى الكون والحياة، ومن هنا يقع التناحر النظري والاجتماعي والمصلحي بين الأحزاب بشكل خفي حيناً وسافر أحياناً.

وإذا مارس الحزب الحكم في الدولة وحده كان ذلك يسمى بنظام الحزب الواحد ويطبق الحزب الحاكم على المجتمع نظرته الخاصة إلى الكون والحياة، ويرى الحزب الحاكم - عادة - حرية الرأي والنشاط السياسي والاجتماعي لنفسه ومنع رأي ونشاط حزبي أو فردي آخر.

والوزارات في الدولة تدار من قبل مديريات عامة أو مؤسسات يتكفل كل منها الإشراف على جانب من جوانب المجتمع حسب الحاجة، وتتكفل الدولة عادة الإشراف على المؤسسات والمرافق العامة التي يصعب على الأفراد الإشراف عليها، كالجيش والشرطة والسجون والكمارك والبريد والتعدين... الخ وتزيد الدول الاشتراكية على ذلك الإشراف على كل التجارات والشركات والبنوك وعمليات الاستيراد والتصدير والصناعات الكبيرة وغير ذلك[١٣].

وهكذا فإننا نجد أن لهذين المفهومين تأصل تاريخي عميق يمتد إلى ما قبل ظهور الحضارات، حيث نلاحظ

أن الحفريات والآثار قد أثبتت أن الدين قد رافق الإنسان منذ بدأ الخليقة، ويقول الدكتور (سليم حسن) في هذا الصدد (دلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة ديناً يسيرون على هديه ويخضعون لتعاليمه)، ويقول المؤرخ الإغريقي (بلوتارك) منذ نحو (٢٠٠) سنة (من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولا آداب ولا مسارح ولكن لم ير الإنسان قط مدينة بلا معبد أو لا يمارس أهلها العبادة)[١٤].

وبعد ذلك نلاحظ تجمع الناس على شكل مجتمعات صغيرة ثم قرى ثم تبلورت بعد ذلك إلى دولة مختلفة كما نظام حكم خاص، كما ذكرنا ذلك مسبقاً.

أما الربط بين هذين المفهومين ـ أي الدين والدولة ـ فسوف نقتصره على دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) القائمة على أساس ديني حيث أن دولة الإمام عليه السلام دولة فطرية إلهية عالمية، وذلك لأن النظام الدولي الذي يسبق ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) قائم على أساس الإنحراف والفساد الأخلاقي والعقائدي، وقيامه ايضاً على أساس المصلحة والأنانية المحضة والتي لا يكون لها وجود في دولته عليه السلام بل سيتبدل الحال إلى ملاحظة المصالح العامة الواقعية وتطبيق العدل الكامل والعبادة المحضة لله تعالى، الأمر الذي ينتج تغييراً أساسياً في سير التاريخ البشري.

والنظام الدولي أيضاً قائم على المادية في فهم الكون، والعلمانية في فهم المجتمع، وإعطاء زمام قيادة الإنسان بيد الإنسان، أما في دولة الإمام المهدي عليه السلام التي تقيم العدل الكامل على ركائز مؤمنة بالعطاء الإلهي والقدرة والحكمة الإلهيتين.

وأيضاً فإن دولة الإمام عليه السلام لا تعترف بالتجزئة البشرية للحدود والدول، بل دولته عليه السلام دولة عالمية واحدة برئاسة وقيادة واحدة، يتوصل الإمام عليه السلام إلى إنجازها عن طريق الفتح العالمي[١٥].

أما شكل دولته عليه السلام فتكون على أساس ديني وذلك من خلال:

١ـ أن الرئاسة العليا في الدولة لن تكون ملكية ولا رئاسية ولا دكتاتورية بل ستكون إمامية، لأن الحاكم الأعلى سيكون هو الإمام عليه السلام المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى، وسيمارس هذا المنصب الإمام المهدي عليه السلام بنفسه مادام موجوداً ويمارسها خلفاؤه من الأولياء الصالحين من بعده.

٢ـ أن دولة الإمام عليه السلام ستخلو بطبيعة كيانها العقائدي من البرلمان بصفته السلطة التشريعية، حيث أن هذه السلطة ليست للشعب ولا لممثليه بل هي لله عز وجل وحده طبقاً لتشريعه العادل الكامل.

٣ـ أما الشكل الإداري للحكم فسيمارس على الشكل المعهود للناس في زمانه، أي على الشكل المعهود للناس قبل ظهور الإمام عليه السلام مباشرة من دون ادخال تغييرات كبيرة على الأذهان فيه ـ أي في ذلك الزمان ـ وإن

طروحات عامة

شملته إصلاحات بطبيعة الحال.

٤- أما ناحية الأحزاب في دولة الإمام عليه السلام فهو غير جائز على غرار ما هو حاصل اليوم من انقسام الأحزاب إلى يمينية ويسارية وما إلى ذلك، وقد يستحق الفرد القتل فيما لو تضمن اتجاهه مخالفة صريحة للاطروحة العادلة الكاملة لدولة الإمام عليه السلام ولدين الإسلام.

٥- وأخيراً فإن دولة الإمام عليه السلام تلاقي القبول التام من قبل أغلب الشعوب، وذلك لأن شعوب العالم قد عانت الكثير من الظلم والاضطهاد من قبل دولها وأنظمتها وهي تبحث عن نظام جديد يقوم على أساس ديني منقذ يوصلها لحالة الاكتفاء الذاتي من جميع النواحي فضلاً عن تحقيق العدالة الاجتماعية.

وعلى هذا فدولة الإمام عليه السلام ترفض العنصرية، ونتيجة لذلك فإنها تصل إلى كل البشرية على حد سواء، ومما لاشك فيه أن المتتبع لأخبار دولة الإمام عليه السلام سوف تتضح الصورة لديه بانكشاف وجهات القصور والنقص والظلم وزيف الدعوات والمبادئ التي تسبق ظهور الإمام عليه السلام ومخالفتها للمصالح العامة لعدم صدق أهدافها على جميع الأصعدة، وستنكشف له مضامين التيارات التي يدعي بها الغرب بين الحين والآخر كالعولمة مثلاً كما انكشفت لهم الشيوعية وشعاراتها الزائفة ■

---

(١) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص٢١٨.
(٢) إبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص٨٦.
(٣) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٣٥٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٥٩.
(٦) المصدر نفسه، ص٣٥٩.
(٧) المصدر نفسه، ص٣٥٩.
(٨) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص٢١٥.
(٩) إبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص٨٥.
(١٠) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٣٥٢.
(١١) المصدر نفسه، ص٣٥٢.
(١٢) المصدر نفسه، ص٣٥٣.
(١٣) محمد صادق الصدر، تاريخ ما بعد الظهور، ص٤٦١-٤٦٢.
(١٤) أحمد أمين، التكامل في الإسلام، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص٣-٤.
(١٥) محمد صادق الصدر، تاريخ ما بعد الظهور، ص٤٦٠.

الديمقراطية..
بين المنهج والتطبيق

• ضيـــاء المؤذن

ينابيع لـم تختلـف معاجـم اللغـة أو المصطلح السياسـي في الإشارة إلى أن أصـل الديمقراطية يوناني وأنها مكونة مـن مقطعيـن (ديمـو Demo) ومعنـاه الشـعب و(كراسـي Cracy) ومعنـاه حكـم أو سـلطة ـ أي حكـم الشـعب ـ وعرفهـا آخـرون بأنهـا Ruled by People، أي الحكـم من قبل الشعب. لكنها اليوم ليست شأناً يونانياً فقط بل هي جزء حيوي مـن أدب الخطـاب السياسـي فـي الغـرب وهي موجهـة إلى العالم بأسـره شـاء أم أبـى... مرسلة بوسـائل الإعلام أو الإصدارات أو مزجاة على ظهر الأساطيل. وسنحاول في السـطور التالية أن نتفحص ما أعده لنـا المطبخ السياسـي في الغـرب على أنـه وجبـة صحية سـائغة تسـتوفي كل الشـروط اللازمة لسـلامة الإنسان، بل وأكثر من ذلك وصفة سـحرية لسعادته

طروحات عامة

وخلاصة.

الديمقراطية ليست آلة تنتزع وتترك لتؤدي نمطاً وظيفياً معداً. إنها كائن يتنفس وينمو ويمرض ويعاق ويموت... إنها حركة تدافع مستمر وجدلية أزلية بين رغبة ومصلحة الأغلبية من جهة وأنانية الأقلية المتنفذة من جهة أخرى... هي كفاح متواصل لتثبيت الوضع الأفضل... إنها جزء من ثقافة الأمة وليست درساً في الأخلاق بقدر كونها سمة من سمات الواقع اليومي المعاش.

الديمقراطية ليست وثيقة خلافية يرجع لها في الأرشيف إذ لا يكاد يخلو دستور من الإشارة إلى المعاني السامية في تداول الحكم والمضمون الإنساني في العمل السياسي لكن الواقع يفتقد مثل ذلك. إذن ينبغي أن نستشعرها من خلال وضع النظرية في حيز التطبيق الذي يفترض أن يبلغ في تواصله مع الواقع إلى المستوى التلقائية التي يتفهمها ويقرها الجميع... شيء نرتضيه كارتباط رائحة القهوة الطيبة بطعمها المر اللاذع.

ولولا العرب قديماً تقول: (وراء الأكمة ما وراءها) لما توقفنا عن نقطتين جوهريتين:

أولاً: الذين رفعوا لواء الديمقراطية ووضعوا منطلقاتها النظرية واحتسبوها من نتاج عقلية حرة، متفتحة ومتقدمة على الفهم العادي ثم فعلوها على أرض الواقع بما أرسوه من (مؤسسات دولة) سماها السياسيون بـ(المؤسسات الثابتة) ويعود عمرها في بريطانيا إلى بضع مئات من السنين، وفي مثل هذه البيئة التي تداولت الديمقراطية كابراً عن كابر حتى أصبحت حاضرة في لهوهم وجدهم هل يجوز لنا أن نتساءل إن كانت الديمقراطية قد طبقت هناك، في المجتمعات التي ولدت فيها وانطلقت منها، أم لا؟

للوهلة الأولى قد تكون الإجابة: نعم، فهناك هامش من الحرية وبضمنها حرية التعبير عن الرأي ولا مانع أن تتحول إلى صراخ أو جدل يقوم ولا يكاد يستقر. ورؤساء وحكومات تروح وتغدو طبقاً لنتائج الانتخابات وربما تستقيل أو تُقال ومسؤولون كبار تلقى عليهم الطماطة والبيض الفاسد وينعتون بأبشع الأوصاف. هل يجوز لنا بعد كل هذا أن نشك بالديمقراطية وهي محصلة الواقع المعاش في الغرب؟

ليس مجرد الشك بالديمقراطية بل ننفي وجودها. إن جلية ما يجري فيما يسمى بـ(العالم الحر) هو صراع سياسي مستمر وعقيم لا يختلف عن وصف (الدوامة). فحرية التعبير متاحة مادامت غير مؤثرة أما إذا أصبح لها وزن وفاعلية فلن تتوانى السلطة عن الردع. وفي أم الديمقراطية (بريطانيا) تعرض المفكران والزعيمان السياسيان

(برناردشو) و(برتراند رسل) إلى المضايقة الشديدة والسجن وأخيراً طرد (رسل) من التدريس في الجامعة بسبب آرائهم الانتقائية. إن حرية التعبير لا تعدو كونها مبادرة للتنفيس وليست مشاركة في العمل السياسي وقد شاهدنا مئات الألوف يتظاهرون في أنحاء العالم رافضين التدخل العسكري في العراق والنتيجة معروفة.

ولو جزمنا جدلاً أن الرئيس يأتي بالأغلبية ثم جزمنا جدلاً بأنه معرض للنقد والمحاسبة والعزل وكل ذلك يجري أمامنا بشفافية. فإن هناك مسألة جوهرية تكمن فيما يلي: (الرئيس الذي جاء حسب رأي الأغلبية، هل حقق رغبة بعد فوزه؟)، وهنا يكمن محور اللعبة السياسية: (دغدغة مشاعر الناخب بعد دراسة احتياجاته ثم إطلاق الوعود ومحاولة التأثير عليه لتحريكه كأداة في الحملة الانتخابية ثم لا شيء بعد ذلك غير (الأنا) والمصالح الشخصية والحزبية).

وهكذا نجد أن الرؤساء يتغيرون والحكومات يدفع بعضها بعضاً لكن الوضع على حاله خاضع لقوانين سوق السياسة التي يباع كل شيء من أجل كسب معركة الوصول إلى القمة والمكوث فيها أطول فترة ممكنة. ولو كانت الديمقراطية الصحيحة هي التي جاءت بالرئيس الأمريكي الحالي لأشار إلى إنجازاته التي قدمها لناخبيه ولما احتاج إلى أن يجمع فقط في مستهل حملته الانتخابية (مئتي مليون دولار) لأغراض الدعاية، والبقية تأتي.

إن الأغلبية التي مارست العملية الديمقراطية والتي دفعت المرشح إلى الصدارة لازالت تراوح في مكانها متمثلة مشاكل الأمن والطاقة والبطالة والتأمين الصحي والتعليم والعيش دون مستوى الفقر في قائمة مكررة بينما تتواصل الممارسة الديمقراطية مثل حركة الطواحين وفي كل مرة ينتظر الناس فيها (الدقيق) يخرج من باب آخر فيزداد الغني غنىً والفقير فقراً.

ثانياً: إن الديمقراطية في الغرب انطلقت من الشكل السياسي لتكون

طروحات عامة

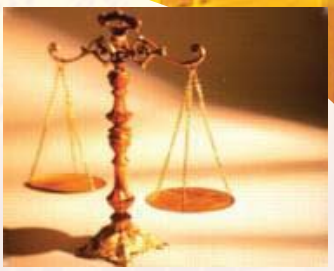

جزءاً من ثقافة المجتمع دون أن تتقيد بمنهجية محددة. إذ ينبغي أن يكون الأصل في الممارسة هو (الدستور) ولابد أن يكون الدستور قد استخلص من منطلقات فكرية تستند إلى العوامل البارزة المؤثرة في حركة مجتمع ما والمكونة لخصوصيته الحضارة ومنها: الدين، الطائفة، العرق، التاريخ، التوجهات الفكرية والأعراف والتقاليد التي يتبناها الناس وهذه بدورها تشكل نظام مراقبة يتضمن (التوجيه) و(الاستجابة) في المجتمع وليس مجرد (الاستجابة) فقط.

إن الاستجابة المطلقة غير المنظمة لرأي الأغلبية سيقضي إلى مجتمع غريب مبني من الخارج على نزعة الأغلبية لكنه قلق من الداخل وغير متماسك لأن الجميع فيه مهددون بواقع عدم وجود ضوابط تنظم توجهات المجتمع وهذه الضوابط مستمدة من القانون المستمد بدوره من التشكيلة الفكرية والعقائدية والعرفية للمجتمع. فانعدام المبدئية المنظمة للممارسة الديمقراطية سيترتب عليه تغيرات اجتماعية كبيرة وغير محسوبة تنتج نسيجاً اجتماعياً مشوهاً لأن مبدأ الخطأ والصواب سيرجع فيه إلى تيارات اجتماعية متغيرة بدلاً من مفاهيم ثابتة تحدد صلاحية التوجهات ضمن مجتمع ما.

في الثمانينات من القرن المنصرم عزل رئيس حلف شمال الأطلسي من منصبه لأنه شوهد في أحد نوادي الشذوذ الجنسي في مدينة (كولون) الألمانية ولم يمض عقد من الزمن على ذلك الحدث حتى أصبح الشاذون جنسياً في التسعينات مظهراً اجتماعياً مميزاً ومعترف به على نطاق رسمي وأصبح للشاذ هوية وبرنامج رعاية صحية خاص به كما تولت الكنيسة في الغرب عقد القران بين المتماثلين جنسياً. حدث هذا بفضل الديمقراطية غير المهذبة التي كيفت الانحراف ليصبح سنة اجتماعية كما أصبح الشذوذ الذي اتفقت على ضرورة معالجته كافة الإصدارات في علم النفس بل وأدرج كشكل من أشكال الجنون في مجال علم الانحراف العقلي (Psychiatry)... أصبح اليوم وضعاً اجتماعياً مستقراً ولا يتوانى أفراده عن إبراز ما يميزهم مثل ارتداء الأقراط في أذن واحدة للاستدلال عليهم.

وفي معرض نقده لجوانب من مشروع (قانون الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية) ذكر المرجع الديني الكبير آية الله السيد علي السيستاني واحداً من تداعيات الديمقراطية المنفلتة عندما أشار إلى أن البند (أ) من المادة الثالثة عشر نص على أن (الحريات العامة والخاصة مصانة)... وقد رفض معظم أعضاء المجلس أن يضاف إلى ذلك جملة

(مع رعاية الآداب العامة) وذلك من أجل أن تنطلق من عقالها في المستقبل كل الانحرافات بحجة الحرية الشخصية التي هي نفس كريه من أنفاس الديمقراطية السائبة.

إننا نمتلك في الإسلام منهجاً يتيح لنا حرية الانتقاء بين عدة خيارات صحيحة وينظم رغبتنا في اختيار ما يصلح أمرنا. فالحرية والدافع الذاتي موجود ولكن ليس بمعزل عن الدافع الموضوعي. والمعنى الحقيقي للإشارة الحمراء في الشارع أنها تنظم السير ولا توقفه لأنها في الواقع ستختار الوقت المناسب للحرة وفي عقيدتنا مثل هذه الإشارة التي تختار للحرية ما يزينها ومن مبدأ التنظيم لا التقييد.

وهكذا نصل إلى استنتاج اثنين من الملامح غير الصحيحة للديمقراطية:

الأول: أنها غير مطبقة بالفعل لأن من يرشحه الأغلبية سوف لن يتمثل طموحاتها ورغباتها بعد أن يتمكن بأصواتها من الاستحواذ على مركز القرار. وهذا يبقي النخبة في الصدارة ويبقي الأغلبية في حلم مستمر بزعيم يحقق مطالبها.

الثاني: إنه ليس هناك منهج واضح ومحدد للديمقراطية سوى مبدأ (رأي الأغلبية) والذي لا يقوم دليل على أنه صائب على الدوام.

وهذا يؤدي بنا إلى استنتاج أن العالم بحاجة إلى نظام أكثر من حاجته إلى حكومة ديمقراطية، وبثبوت النظام فهو بحاجة إلى دولة أكثر من حاجته إلى قيادة سياسية وبثبات مؤسسات الدولة فهو بحاجة إلى العدل والحرية أكثر من حاجته إلى السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية. نقول ذلك لمجرد تثبيت الأولوية وللإشارة إلى أن أسماءً مثل الحكومة الديمقراطية والقيادة السياسية والسلطات الثلاث موجودة في العالم بأشكال متعددة ولكنها لا تؤدي عملاً صحيحاً لأنها منقطعة الصلة بما أشرنا إليه من أولويات ■

حدود فدك

روي أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: خذ فدكاً حتى أردها إليك، فيأبى حتى ألح عليه فقال عليه السلام: لا آخذها إلا بحدودها قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردها؟ قال: بحق جدك إلا فعلت.

قال أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: إيها، قال: والحد الثاني سمرقند، فاربد وجهه. والحد الثالث إفريقية، فاسود وجهه وقال: هيه. قال: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي.

قال موسى عليه السلام: قد أعلمتك إنني إن حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله.

مناقب آل أبي طالب ج:٣ ص:٤٣٥

الحجامة..
بين الماضي والحاضر

• م. م. نبيل سليم تويج
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع منذ أن أوجد الله تعالى البشرية على سطح الأرض والإنسان يحاول أن يتخلص من آلام جسده، ويعمل دائماً على أن يطور ويبتكر طرقاً جديدة للعلاج، تعينه على قهر المرض.

الحجامة عند قدماء المصريين: رسوم تدل عليها في مقبرة الملك توت عنخ آمونو نقوش معبد كوم امبو الذي كان يمثل أكبر مستشفى في ذلك العصر صورة لكأس يستخدم لسحب الدم من الجلد.

الحجامة في الصين: ورد ذكر العلاج بكأسات الهواء في كتاب الإمبراطور الأصفر للأمراض الداخلية الصيني قبل حوالي أربعة آلاف سنة.

الحجامة في الهند: يقطعون أطراف القرون المجوفة لبعض الحيوانات ثم يضعون الجزء الواسع منها على الجلد وبعدها يمصون بالفم بقوة من الطرف الضيق إلى أن يتم تفريغ الهواء داخل القرن ثم يغلقون هذا الطرف بالإبهام مع الضغط بشدة على القرن ثم استبدلت قرون الحيوانات بكأسات من الفخار والبامبو أو الزجاج.

الحجامة عند الأغريق: يقومون بتسريب كمية من دم المريض

(الحجامة) بغرض مغادرة الأرواح الشريرة مع الدم لجسم المريض!!

الحجامة عند الرومان: نقلوا إلى بلادهم إبان عودتهم إليها بدودة العلقة (هيلينا).

الحجامة عند العرب والمسلمين: عرف العرب الطب قبل الميلاد بزمن طويل، وكان طبهم مقتصراً على الحجامة والكي ووصف بعض الحشائش والنباتات وظلت هذه الأعمال الجراحية شائعة، وقد تأثر العرب بهذه العملية وانتشرت بينهم.

الحجامة في أوروبا: أدخلت عبر بلاد الأندلس عندما كان الأطباء المسلمون و مد و نا تهم العلمية المرجع الأول في علوم الطب.

الحجامة في العصر الحديث: وعلى امتداد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الحجامة تترك الساحة الطبية تدريجياً للوسائل الطبية الأحدث التي جذبت الأطباء ولكن بمرور الوقت تسببت الآثار والنتائج السلبية لتعاطي العقاقير في ميلاد مشاكل صحية جديدة كما إن عجز الطب الغربي عن معالجة العديد من الآلام دفع بالعديد من الأطباء إلى إعادة التفكير في جدوى الطرق العلاجية

١- رسم تخطيطي يحدد منطقة الحجامة على الكاهل

٢- مرحلة وضع كأس الحجامة لإحداث الاحتقان الدموي

٣- منطقة الاحتقان الجلدي التي احدثها كأس الحجامة

٤- وضع كؤوس الحجامة في منطقة الكاهل لإحداث الاحتقان

٥- إجراء التشطيبات الجراحية السطحية لإخراج الدم المحتقن الهرم

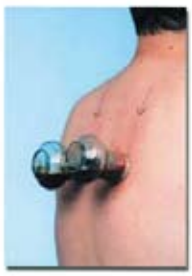

٦- سحب الدم الهرم بواسطة كأسي الحجامة

٧-التشطيبات الجراحية البسيطة بعد إنتهاء عملية سحب الدم الفاسد

طروحات عامة

التقليدية وأهم ممارساته الحجامة.

ما هي الحجامة؟

الحجامة ممارسة طبية قديمة، عرفتها العديد من المجتمعات البشرية، تتمثل بسحب الدم الفاسد من الجسم الذي سبب مرض معين أو قد يسبب مرض في المستقبل بسبب تراكمه وامتلائه بالأخلاط الضارة والحجم يعني التقليل أي التحجيم أي التقليل من الشيء.

والحجامة تنقي الدم من الأخلاط الضارة التي هي عبارة عن كريات دم هرمة وضعيفة لا تستطيع القيام بعملها على الوجه المطلوب من إمداد الجسم بالغذاء الكافي والدفاع عنه من الأمراض فبالحجامة تسحب هذه الأخلاط الضارة من كريات الدم الحمراء والبيضاء ليحل محلها كريات دم جديدة.

أدوات الحجامة:

كأس (أو برطمان صغير) بفوّهة قطرها (٥سم) به ثقب من جانبه، موصول به خرطوم، والخرطوم له محبس. ويغطى فوهة الكأس ببالون مطاط، ويستعمل الحجّام قفاز طبي ومشرط معقم.

مواضع الحجامة:

للحجامة ثمانية وتسعون موضعاً، خمسة وخمسون منها على الظهر وثلاثة وأربعون منها على الوجه والبطن، ولكل مرض مواضع معينة للحجامة (موضع أو أكثر لكل منها)من جسم الإنسان. وأهم هذه المواضع وهو أيضاً المشترك في كل الأمراض، وهو الذي نبدأ به دائماً (الكاهل) (الفقرة السابعة من الفقرات العنقية أي في مستوى الكتف وأسفل الرقبة).

وترجع كثرة المواضع التي تعمل بها الحجامة؛ لكثرة عملها وتأثيراتها في الجسد.

❖ فهي تعمل على خطوط الطاقة، وهي التي تستخدمها الإبر الصينية، وقد وجد أن الحجامة تأتي بنتائج أفضل عشرة أضعاف من الإبر الصينية، وربما يرجع ذلك؛ لأن الإبر تعمل على نقطة صغيرة، أما الحجامة فتعمل على دائرة قطرها (٥سم) تقريباً.

❖ وتعمل الحجامة أيضاً على مواضع الأعصاب الخاصة بردود الأفعال، فكل عضو في الجسم له أعصاب تغذيه وأخرى لردود الأفعال، ومن ثم يظهر لكل مرض (أي فعل) رد فعل يختلف مكانه بحسب منتهى العصب الخاص بردود الأفعال فيه، ويسمي هذا (رفلكس Reflex)، فمثلاً لها مكانان في الظهر، وعندما تمرض المعدة نقوم بالحجامة على هذين المكانين، وكذلك البنكرياس له مكانان، والقولون له (٦) أماكن... وهكذا.

❖ وتعمل الحجامة أيضاً على الغدد الليمفاوية، وتقوم بتنشيطها فهذا يقوي المناعة ويجعلها تقاوم الأمراض والفيروسات مثل فيروس (C).

❖ وتعمل أيضاً على الأوعية الدموية وعلى الأعصاب، وعلى تنشيط جميع الغدد وتقوية المناعة، وعلى تنشيط مراكز المخ وغيرها.

الحالات التي تفيد بها الحجامة:

تفيد الحجامة فيما يقرب من ثمانين حالة ما بين مرض وعرض، وذلك طبقاً لنتائج الخبرة العملية التي سجلها الممارسون هنا وهناك، ومن تلك الحالات على سبيل المثال: الروماتيزم، والروماتويد، البروستاتا، والغدة الدرقية، والضعف الجنسي، وارتفاع ضغط الدم، وقرحة المعدة، والقولون العصبي، والتبول اللاإرادي في الأطفال فوق خمس سنوات، وضيق الأوعية الدموية، وتصلب الشرايين، والسكر، ودوالي الساقين والخصية، والسمنة، والنحافة، والعقم، والصداع الكلي والنصفي، وأمراض العين، والكبد، والكلى، وضعف السمع، والتشنجات، وضمور خلايا المخ، ونزيف الرحم، وانقطاع الطمث، والنقرس والشلل النصفي، والكلى، وضعف المناعة، والبواسير، وغير ذلك كثير.

وكذلك تفيد تنظيم عمل الجهاز العصبي اللاإرادي، تنظيم إفراز الغدد الصماء التوازن الهرموني لتهدئة الأعصاب، تنشيط الدورة الدموية، تنشيط مراكز الحركة في الجسم، تنشيط الموصلات العصبية.

أنواع الحجامة:

أولاً: الحجامة بدودة العلقة Blood-sucking leech.

يقول ابن منظور في لسان العرب العَلَقُ: دُويدة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن وتمص الدم، وهي أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصها الدم الغالب على الإنسان. والمعلوق من الدواب والناس: الذي أخذ العلق بحلقه عند الشرب. وقد يشرط موضع المحاجم من الإنسان ويرسل عليه العلق حتى يمص دمه. والعلقة: دودة في الماء تمص الدم، والجمع علق.

والإعلاق:
إرسال العلق على الموضع ليمص الدم. وفي حديث عامر: خير الدواء العلق والحجامة؛ العلق: دويدة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن وتمص الدم، وهي من أدوية الحلق والأورام الدموية.

وفي الحديث: (خير الدواء اللدود والسعوط والمشي والحجامة والعلق) بفتح العين واللام بضبط المصنف دويبة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن وتمص الدم وهي من أدوية الحلق والأورام الدموية لمصها الدم الغالب على الإنسان، انظر فتح القدير شرح الجامع الصغير ولا تزال هذه الطريقة تستخدم في معظم دول العالم يتعالجون في العلق بأنواعه حتى يومنا هذا، يقول ابن القف ٦٣٠-٦٨٥هـ: والعلق جذبه للمواد الدموية ابلغ من جذب الحجامة ولو أنه أقل من الفصد. ومن العلق ما طبعه السمية ومنه ما هو خال من السمية وهو المستعمل في المداواة الطبية وتصاد قبل يوم أو يومين ثم تكب على رؤوسها حتى يخرج جميع ما في أجوافها حتى يشتد جوعها وتلتقم الجلد حتى إذا امتلأت أجوافها تسقط ويعلق غيرها إذا لزم الأمر. بعد ذلك تعلق المحاجم على مواضعها وتمص مصاً قوياً لجذب الدم المتبقي في الموضع.

ثانياً: الحجامة الجافة.

وهي عملية تكوين احتقان دموي في الموضع المطلوب بواسطة كأس الهواء بدون تشريط وتكون عادة لبعض أمراض النساء وللأطفال وكبار السن.

وتتم الحجامة الجافة كالآتي:

أ- يتم وضع الكأس على المكان المحدد (طبقاً لنوع المرض أو العرض).

ب - يتم شفط الهواء من خلال الخرطوم حتى يتم تفريغ الهواء، (ويتم الشفط إما عن طريق الفم أو باستخدام شفاط أو سرنجة).

ج - يتم شفط قطعة من سطح الجلد داخل الكأس.

د - يحبس الهواء عن طريق غلق المحبس.

هـ - يترك الكأس هكذا لمدة تتراوح من ٣- ٥ دقائق.

و- ثم ينزع الكأس فنجد دائرة حمراء على سطح الجلد مكان فوهة الكأس. وتسمى هذه الطريقة بكأس الهواء Cupping.

ثالثاً: الحجامة التدليكية أو المتزحلقة.

وهي عبارة عن دهن الموضع بزيت الزيتون أو زيت النعناع ثم الشفط البسيط وتحريك الكأس على وحول المكان المطلوب لجذب الدم وتجميعه في طبقة الجلد وهي تسبق في الكثير من الحالات الحجامة الرطبة وخصوصاً الأمراض المستعصية مثل الشلل والصرع وغيره وهي تشبه الحجامة الجافة ولكنها متحركة.

رابعاً: الحجامة الرطبة.

وهي بعد تكوين احتقان دموي نقوم بعملية التشريط البسيط للسماح للدم بالخروج ثم نضع الكأس لسحب الدم ويتم تحديد نوع الحجامة حسب المرض وحالة المريض وسنه يحدد طريقة التعامل معه فمريض السكر والضغط المرتفع والطفل وكبير السن كل له معاملة خاصة.

يضاف إلى ما سبق:

أ- تشريط الطبقة الخارجية من الجلد بعمق قليل جداً حوالي ١،٠ ملم يشبه الخدش وبطول حوالي ٤ مم وبعد ١ شرطة أو أكثر أو أقل موزعة على ثلاثة صفوف، يتم وضع الكأس ثانية فوق الدائرة الحمراء، وتتم عملية الشفط وحبس الهواء ثانية، مما يؤدي لخروج كمية من الدم تختلف بحسب المرض، ثم تنزع الكأس بحرص شديد مع وضع منديل أسفل الكأس ويفرغ الهواء تدريجياً من خلال المحبس، ويتم وضع منديل آخر داخل الكأس لامتصاص الدم، ثم يتم مسح الدم بالمنديل الموضوع أسفل الكأس في اتجاه من أسفل إلى أعلى، وإذا لاحظنا خروج الدم ثانية من الشرط يتم تكرار العملية.

ونستطيع التكرار خمس مرات حتى نلاحظ عدم خروج الدم. وبعد آخر مرة يجب تطهير مكان التشريط مباشرة بعسل النحل أو حبة البركة أو بأي مطهر عادي.

ويمكن تغطية المكان بـ(بلاستر) وبالنسبة لمرضى السكر والسيولة في الدم يستخدم الوخز بالإبرة الطبية المعقمة بدلاً من التشريط، ويحذر على الحامل بعض الأماكن حسب شهر الحمل ■

أشعب والدينار

قيل: جاءت جارية أشعب بدينار وقالت: هذا الدينار وديعة عندك، فجعله بين ثني الفراش، فجاءت بعد أيام فقالت: بأبي الدينار.

فقال لها: ارفعي الفراش وخذي ولده، وكان قد ترك إلى جنبه درهماً، فتركت الدينار وأخذت الدرهم. ثم عادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وعادت في الثالثة كذلك فلما رآها في الرابعة بكى، فقالت له: ما يبكيك؟

قال: مات الدينار في النفاس.. قالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟!

قال: يا فاسقة.. تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس.

قراءات في..

أصول الثقافة النجفية

• حيدر نزار السيد سلمان
كاتب وصحفي

ينابيع عندما حط الشيخ الجليل الطوسي رحاله في النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ بعد هجرته من بغداد نتيجة لما تعرض له من إحراق مكتبته العامرة والاعتداء على منزله بعد الفتنة الطائفية التي وقعت فيها بدفع من الأتراك السلاجقة بدأت مرحلة جديدة ومفصلة في التاريخ العام لهذه المدينة التي احتضنت رفاة سيد البلغاء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد تقاطرت على المدينة جموع الطلبة وراء أستاذهم العظيم الذي وضع حجر الأساس لمدرسة النجف العلمية الدينية وحوزتها المشهورة بتقاليدها وأصالتها حين بدأ الشيخ الطوسي دروسه مرسخاً ومؤكداً الدور العلمي والتأريخي لهذه المدينة المقدسة.

شكل طلبة العلوم الدينية في النجف الأساس للفئة المثقفة بل هم النخب المثقفة الأصيلة فيها وفي حلقات الدرس والمذاكرة التي كانت تجري في الجوامع والمساجد والحسينيات وأركان الصحن الحيدري الشريف تكون الامتداد الطبيعي للثقافة النجفيّة فمن بين طلبة العلوم الدينية ظهر أدباء المدينة ومثقفوها وشعراؤها ومفكروها وأشاع الجو العلمي والفكري والتعليمي السائد في الحوزة العلمية ومدارسها والقائم عن أساس المحاورة والنقاش والجدل وحرية الفكر والتعبير النواة لنشوء هذه الثقافة بمعاييرها وصيغها المعروفة، ولما كان الطلبة المنتشرون في كل مكان بالمدينة لاسيما في عصرها الذهبي زمن الشيخ الطوسي والقرنين الذين تليا ذلك بحاجة إلى الكتب وما يزودهم بالمعرفة والعلوم فقد بدأت تظهر حرف جديدة موازية ومكملة للنهوض العلمي في المدينة فظهر النسّاخون والورّاقون والعاملون على جلب الكتب وبيعها إلى الطلبة وحسب ما تشير الدراسات التاريخية المتوفرة فأن محلة الحويش المحاذية للصحن الحيدري الشريف من جهته الجنوبية الغربية كانت المكان الأول لانتشار محال بيع وشراء الكتب ونسخها ومحال الوراقين والمتعاملين بهذا الشأن والحقيقة التي لابد من ذكرها هنا إن محلة الحويش وحتى منتصف الخمسينات من القرن الماضي كانت سوقاً للكتاب بكل صنوفه والخدمات الملحقة به من تجليد ونسخ وطبع ويمكن اعتبار ذلك امتداداً طبيعياً للسوق القديم الذي بدأت فيه تجارة الكتب وما يخصها.

كان طلبة العلوم الدينية في المدينة هم الفئة المثقفة الوحيدة ومن بين هؤلاء برز أدباء النجف وشعراؤها ومفكروها لاسيما إذا علمنا أن الفئة المتعلمة الوحيدة هم أولئك الطلبة فضلاً عن أن المدينة يشكل الطلبة المتعلمون الجزء الأكبر من سكانها وعلى الرغم من إن الأدب النجفي كان يطغي عليه الطابع الديني فإن هناك من الأدب ما يميل إلى الوجدانية والعاطفة والمدح والرثاء وغيرها من الصنوف والمؤكد أن المجالس الأدبية

طروحات عامة

والمنتديات والمناسبات الدينية كانت مجالاً مفتوحاً للإبداع والنتاج الثقافي ودائماً ما يبرز في هذه المجالات طلبة العلوم الدينية الذي جمعوا مع توجههم العلمي عشق الأدب والشعر مع العلم أن المدارس النجفيّة تهتم كثيراً باللغة والأدب والنحو وكل هذا ساهم في بلوغ الإنجاز الأدبي مرحلة متقدمة وظهور الفئة المثقفة من بين زوايا الحوزات وحلقاتها وبذلك يمكن القول إن الأدب والثقافة النجفيّة قد خرجت من معطف الحوزة العلمية بالمدينة أي أن الثقافة النجفيّة هي الوليدة الشرعية لهذه الحوزة إذ يمكن ملاحظة الطابع الروحاني الديني على أغلب الآداب النجفيّة.

كان التطور الذي أصاب الثقافة النجفيّة وأدواتها تطوراً تدريجياً فبعد أن كان يتم نسخ وخط الكتب في محال الوراقين الذي ضمتهم المدينة، وتطور الأمر إلى الطباعة الحجرية في القرن السابع عشر الميلادي، وكان النجفيّون يعتمدون في هذا المجال على مطابع الهند وإيران في الوقت الذي تكدست فيه بالمدينة المحبة للثقافة والنشاط الفكري آلاف العناوين من الكتب والمخطوطات التي كان بعضها يأتي إلى النجف عن طريق الهدايا والهبات من الملوك والسلاطين والتجار الشيعة في كل مكان في الوقت الذي بذل فيه مثقفوا المدينة جهوداً كبيرة لجمع الكتب والمخطوطات النادرة في كل مكان والحقيقة أن الولع بالكتاب ارتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس في هذه المدينة فلا يكاد بيت من بيوت النجف القديمة لا يملك مكتبة كما يمكن الإشارة إلى كتاب الشيخ الجليل محمد رضا الشبيبي عن عشق الناس للكتاب والحكايات عن الصراع من أجل الحصول على كتاب ومن الأمثلة على ذلك الدأب والعشق القوي عند الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفى عام ١٩٣٦م وهو والد الشيخ الجليل محمد حسين كاشف الغطاء ١٨٧٦- ١٩٥٤م. إذ كان الشيخ علي من هواة وعشاق الكتاب وحكاية ذهابه إلى اسطنبول والمدن الأخرى للبحث عن الكتب ونسخها معروفة حتى احتوت مكتبته على النوادر والنفائس من الكتب وفي كافة العلوم.

ولابد من التأكيد على الخزين الضخم الذي تحويه مكتبات النجف العامة والخاصة من المخطوطات والكتب النادرة وقد تعرضت هذه الثروة النجفيّة إلى حرب عنيفة سواء عن طريق حكومة البعث الساقطة أو من قبل الباحثين عن الثراء والمال من خلال المتاجرة بالمخطوطات والنوادر فقد شهد عقد التسعينات من القرن العشرين تهريباً ونهباً لأعداد كبيرة من المخطوطات إلى خارج العراق

بواسطة مهربين وتجار همهم الرئيس البحث عن الربح في الوقت الذي دك جيش الحكومة البعثيّة بعد هزيمته في حرب الكويت ١٩٩١م المكتبات المشهورة في النجف الأشرف أثناء قمعه لانتفاضة آذار الشعبية فقد أحرق جنود مهزومون مخطوطات وكتباً نفيسة من أجل التدفئة فيما تم نقل وسرقة المخطوطات من المكتبة الشوشترية إلى مركز صدام الوطني للمخطوطات وتهريب البعض الآخر إلى الخارج.

ومع النشاط الثقافي والعلمي في النجف فقد أنشئت المكتبات العامة التي تعد من الصروح الحضارية للمدينة وتقدم هذه المكتبات خدماتها المجانية للباحثين والمطالعين والقراء لما تحويه من كتب في كافة الاختصاصات قد لا تتوفر في أماكن أخرى وهو ما يمكن ملاحظته من خلال حضور الباحثين سواء من داخل العراق أو من خارجه ولا تزال بعض المكتبات تحوي مخطوطات لم تحقق لحد الآن والحقيقة أن هذا التكامل جعل من النجف بيئة ثقافية تمتاز بالتسامح والعقلانية والاتصال بالعالم الخارجي وحسب التطور الذي شهدته النجف في الحركة العلمية والثقافية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين وزيادة النشاط الثقافي وتطلع الفئة المثقفة النجفيّة إلى اتصال أوسع مع العالم لاسيما بعد ورود المجلات والصحف والكتب الحديثة نتيجة تطور وسائل الاتصال فقد وصلت النجف في عام ١٩٠٧م مطبعة حبل المتين كأول مطبعة لتلبية حاجة المدينة لطباعة نتاج مثقفيها وتوالت فيما بعد المطابع لتعيش عصرها الذهبي حين أصبحت الطباعة النجفيّة ماركة معروفة ومحترمة في العراق وخارجه وزاد تأثير النجف الثقافي والعلمي مترافقاً مع ظهور الصحافة حيث أصدر السيد المجدد العلامة هبة الدين الشهرستاني مجلة (العلم) ١٩٠٩م والتي تعد أول مجلة عراقية رصينة هدفها نشر العلوم والفكر الحديث وتقوية النشاط الثقافي وعند الاطلاع على أعداد من هذه يمكن تقييم حالة التقدم والانفتاح الذي عاشته الثقافة النجفيّة في مدينة مقدسة وصفت بأنها مقر المرجعية الدينية العليا والمرجعية كانت على طول الخط متقدمة في فكرها ومتناسقة فيما يحصل بالعالم من أحداث وتطورات فقد سمحت المرجعية الدينية وكدليل على العقلانية والتجدد على إدخال ترجمة المفكر اللبناني (شبلي شميل) لنظرية دارون إلى النجف في مطلع القرن العشرين على أن يرد عليها فكرياً وهو ما حصل حين رد الشيخ محمد جواد البلاغي على هذه النظرية ليؤكد الجانب الحواري والعقلاني الذي يتمتع به الفكر الشيعي بدل الجمود والانغلاق الذي عاشه الآخرون وهذا ما دفع المفكر والمؤرخ (البرت حوراني) إلى النظر إلى مدرسة النجف باحترام وتقدير حين اعتبرها

طروحات عامة

متقدمة في تدريس الفلسفة والعلوم العقلية على المدارس الأخرى ومنها جامع الأزهر.

قدمت الثقافة النجفيّة نماذج رائعة بالازدهار وقوة الإبداع وكان رموزها من عمالقة الأدب العراقي والعربي فالجواهري والشبيبان والشرقي والصافي النجفي وآخرين كانوا بناة الثقافة العراقية الحديثة مثلما كان هؤلاء قد خرجوا من رحم مدرسة النجف العلمية وهنا لابد من ذكر عالم الدين الكبير المجاهد السيد محمد سعيد الحبّوبي وإبداعه الشعري المميز، ويقدم الكاتب والصحفي الموسوعي جعفر الخليلي في كتابه الرائع (هكذا عرفتهم) سرداً جميلاً لجزء مهم من التاريخ الثقافي للنجف وعلاقات واتصالات علماءها ومثقفوها بالعالم فهذا المفكر والرحالة العربي أمين الريحاني والذي ارتبط بصداقة حميمة مع الشيخ الجليل محمد حسين كاشف الغطاء حيث أنتجت هذه الصداقة والمحاورات كتاباً رائعاً هو: (المراجعات الريحانية) الصادر عام ١٩١١م وبعد ذلك حل أمين الريحاني ضيفاً على مدينة النجف الأشرف عام ١٩٢٢م.

وهذه الأمثلة تعطي دليلاً على أن النخب المثقفة النجفيّة كانت في أغلبها تنحدر من فئة طلبة العلوم الدينية كما أن العاملين في النشاط الثقافي والفكري ينحدرون من هذه الفئة.

كان لأغلب العوائل النجفيّة مجالسها اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية أو الموسمية، وكانت هذه المجالس مكاناً خصباً لتلاقح الأفكار والنقاش وتداول الشعر وأغلب شعراء المدينة عملت هذه المجالس على تقوية ملكتهم الشعرية وأبرزت مواهبهم وكانت هذه المجالس تشهد الندوات السياسية التي يتم فيها تناول القضايا السياسية حيث نشرت الوعي بين الناس لكن الشعر كان غالباً على نشاط هذه المجالس لحب النجفيّين للشعر وبروزهم فيه حتى وصف النجفيّون بأنهم شعراء كلهم وهي حقيقة تثبتها الوقائع المعروفة والعدد الكبير من الشعراء في المدينة.

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تصل النجف المجلات والصحف الصادرة في إيران ومصر والهند وكان هذا دافعاً قوياً لمثقفي المدينة لإصدار المجلات والصحف، فقد شهد النجف صدور مجلات رصينة امتازت بمواضيعها الجادة والمؤثرة كما هو الحال في مجلات وصحف مثل الهاتف والراعي لجعفر الخليلي والدليل والغري والعقيدة والبذرة والنجف والإيمان، وتعد هذه المجلات والصحف حالياً مصدراً مهماً للدارسين والباحثين حيث حَوت على النشاطات الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية للنجف تلك المدينة التي كانت مناراً

في نشاطها المتعدد الجوانب فهي أمل طلاب العلوم الدينية في كل مكان للدراسة في مدارسها لما تتمتع به من سمعة علمية عالية ورقي أساتذة التدريس فيها فالقوجاني صاحب الكتاب المثير (سياحة في الشرق) يقدم صورة رائعة للجو الدراسي بالنجف ورحلته الشاقة والصعوبات الجمة التي واجهها من أجل أن يكون طالباً في مدارس هذه المدينة الروحانية المقدسة.

كانت المدارس الدينية ولا تزال هي المعين الأكثر ثراءً في رفد الحركة الثقافية والنجفيّة وعلى الرغم من الحرب الشرسة التي شنها البعثيّون على الثقافة النجفيّة وأفول نجمها في وقت من الأوقات إلا أن الأمل أصبح قائماً في استعادة هذه الثقافة لبريقها ووهجها بعد أن انفتحت الأبواب أمامها فهي ستبقى مؤثرة ولها رأي واضح ومسموع في كل الأماكن ما دامت سمتها الانفتاح والاعتدال والقبول بالرأي الآخر كجزء من مبدأي الاجتهاد والعقل الذين امتازت بهما مدرسة النجف ومرجعيتها الدينية البعيدة عن الإنغلاق والجمود والانعزال عن العالم فعلى سبيل المثال أصدر المرجع المجدد الشيخ محمد كاظم الآخوند في مطلع القرن العشرين فتوى بتحريم قتل الارمن وإبادتهم على يد الدولة العثمانية.

هذه الإشارة واضحة إلى شمولية النظرة عند المرجعية في النجف الأشرف وإنسانيتها، وبالتالي إنسانية الثقافة النجفيّة وارتباطها بهذه الأرض الصلبة ■

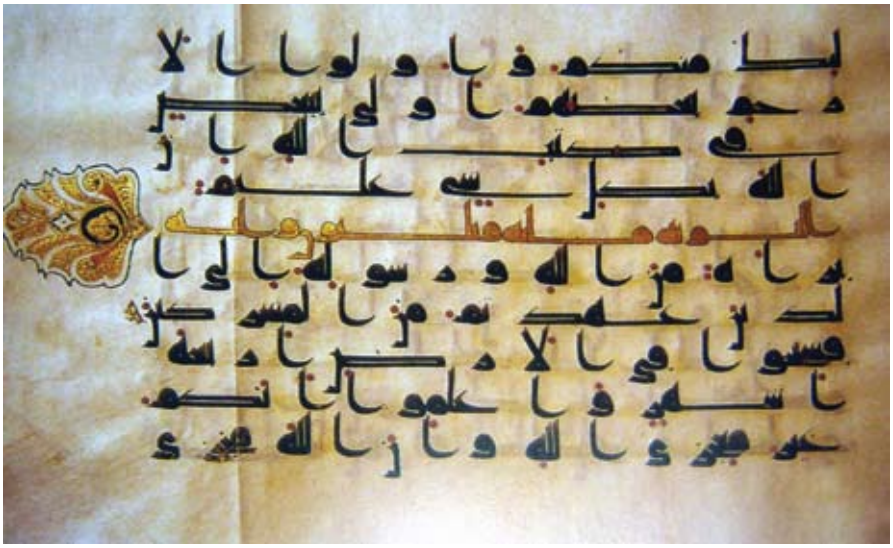

نموذج من خط الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أجوبة مسابقة العدد الحادي عشر وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. ذعلب اليماني.

السؤال الثاني: ج. ٢٧١ هـ.

السؤال الثالث: أ. ذات السلاسل.

السؤال الرابع: ب. يوم عيد الغدير.

السؤال الخامس: أ. أبو القاسم داود الجعفري.

السؤال السادس: ب. طلب النبي ﷺ أن يكتب لهم كتاباً ولم يطيعوه.

السؤال السابع: ب. إسحاق المؤتمن.

السؤال الثامن: ج. عمرو بن الحمق.

السؤال التاسع: أ. ثلاثة مراتب.

الفائز بالجائزة الأولى: باسم عبد الرزاق/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

الفائز بالجائزة الثانية: قيس جواد السماوي/ كربلاء ـ قضاء الهندية.

الفائز بالجائزة الثالثة: علي الناصري/ النجف الأشرف.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ ابن شهرآشوب صاحب كتاب المناقب، عالم عارف بالرجال والأخبار، إضافة لذلك فهو أديب وشاعر، توفي في حلب ودفن عند جبل الجوشن. ففي أي عام توفي؟

أ ـ ٥٨٦ هـ

ب ـ ٥٨٨ هـ

ج ـ ٥٩٠ هـ

٢ عام الحزن عام أوجع قلب رسول الله ﷺ إذ فقد فيه عزيزين وناصرين وقفا إلى جانبه وهما عمه أبو طالب وزوجته خديجة. فمن هو أول من فقده؟

أ ـ أبو طالب

ب ـ خديجة

ج ـ كلاهما في آن واحد

٣ تعرض الإمام الحسن عليه السلام لعدة محاولات اغتيال، وكانت محاولة جراح بن سنان أغدر محاولة، حيث ضربه بخنجر مسموم حتى بلغ فخذه. فأي مكان شهد هذا الحدث؟

أ ـ المدائن

ب ـ المدينة

ج ـ الكوفة

٤ **سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا**
فإن بها ما يدرك الطالب الوترا

بيت من قصيدة تمثل به أخ عندما سمع بخبر مقتل أخيه، فمن القائل ومن هو أخوه؟

أ ـ الإمام علي عليه السلام / جعفر

ب ـ الإمام الحسين عليه السلام / العباس

ج ـ إبراهيم أحمر العينين / محمد ذو النفس الزكية

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (١٣) رجب ـ شعبان ١٤٢٧هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ أويس القرني من الصفوة التي اتبعت طريق الحق، كان معروفاً بزهده وعبادته، استشهد في معركة مشهورة، فما اسم هذه المعركة؟

أ ـ صفين

ب ـ الجمل

ج ـ النهروان

٦ **هذا الذي تعرف البطحاء وطأته**
والبيت يعرفه والحل والحرم

أبيات مشهورة قيلت في حق الإمام زين العابدين عليه السلام فمن القائل؟

أ ـ الكميت الأسدي

ب ـ الفرزدق

ج ـ السيد الحميري

٧ فقيه أصولي من أئمة التقليد والفتيا، من أهم مؤلفاته تنبيه الأمة وتنزيه الملة، توفي في شعبان عام ١٣٥٥هـ فمن يكون؟

أ ـ الشيخ محمد حسين النائيني

ب ـ السيد إسماعيل الصدر

ج ـ الشيخ علي كاشف الغطاء

٨ أول ليلة جمعة من شهر رجب، ليلة عظيمة يستحب فيها صلاة اثنى عشر ركعة ما بين العشاءين، ما اسم تلك الليلة؟

أ ـ ليلة الرحمة

ب ـ ليلة المحيا

ج ـ ليلة الرغائب

٩ عبدالله بن عبدالمطلب والد رسول الله صلى الله عليه وآله كان له عدة أخوة، فكم أخ له من أمه وأبيه؟

أ ـ أخ واحد

ب ـ أخوان اثنان

ج ـ أخوة ثلاث

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شوال/١٤٢٧هـ.**